

الْبَيْتُ الْاِثْنَيْنِ وَالْاِثْنَيْنِ

﴿ في التواريخ ﴾

الإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

— 45 —

(الطبعة الأولى - سنة ١٣٥١ هـ)

بنقطة المطبعة السلغية و مطبعة السعادة و مكتبة الخانجي

الحمد لله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أمر . قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ثم غزا نجداً يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . قال ابن اسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ثم رجع ولم يلق كيداً . وقال الواقدي : بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بنى أمر يريدون حربه ، فخرج اليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب أحد عشر يوماً وكان معه أربعمائة وخمسون رجلاً ، وهربت منه الاعراب في رؤوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله ﷺ فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمراى من المشركين ، واشتغل المشركون في شئونهم ، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد ، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكرر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدرى فوقعت لظفري فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله والله لا أكرر عليه جمعاً ،

وجعل يدعو قومه الى الاسلام . قال : ونزل في ذلك قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ الآية . قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فلعلهما قصتان ، قلت : ان كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ولم يكن عاهد النبي ﷺ أن لا يقاتله . والله أعلم

غزوة الفرع من بجران

قال ابن اسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الاول كله أو الا قليلا منه ثم غدا يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حتى بلغ بجران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع . وقال الواقدي : انما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فله أعلم

خبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدي انها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة فله أعلم وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ كَتَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيْبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال ابن اسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزور رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع . قال وكان من حديثهم ان رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فانكم قد عرقتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم . فقالوا : يا محمد انك ترى انا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس . قال ابن اسحاق : فحدثني مولى يزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم ﴿ قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتَلْبِسُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ ﴾ قد كان لكم آية في فئتين التقتا يعني أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ففئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كفره يرونهم مثلهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا أول يهود تقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد . قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر [بن عبد الرحمن] بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بحلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ هناك منهم فجعلوا

يريدونها على كشف وجهها فأبّت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعمده الى ظهرها فلما قامت انكشفت
سوأها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدّت اليهود على
المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى
قينقاع . قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على
حكمه فقام اليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن في موالىّ وكانوا
حلفاء الخزر ج قال فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال يا محمد أحسن في موالى فأعرض عنه قال فأدخل
يده في جيب درع النبي ﷺ قال ابن هشام وكان يقال لما ذات الفضول فقال له رسول الله ﷺ
أرسلني وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه طملاً ثم قال ويحك أرسلني قال لا والله لأرسلك
حتى تحسن في موالىّ أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدكم في غداة
واحدة أنى والله امرؤ أخشى الدوائر . قال فقال له رسول الله ﷺ هم لك . قال ابن هشام واستعمل
رسول الله ﷺ في محاصرته أيام أبا لبابة بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته أيام خمس عشرة
ليلة . قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو
قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت
الى رسول الله ﷺ وكان من بنى عوف له من حلفهم مثل الذى لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم الى
رسول الله ﷺ وتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين
وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال وفيه وفى عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) الآيات حتى قوله
(فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نحشى أن تصيبنا دائرة) يعنى عبد الله
ابن أبي الى قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) يعنى عبادة بن
الصامت . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير

سرية زيد بن حارثة

الى عير قريش صحبة أبي سفيان أيضاً وقيل صحبة صفوان * قال يونس عن بكير عن ابن
اسحاق وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر . قال ابن اسحاق وكان من حديثها أن قريشاً خافوا
طريقهم التى كانوا يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق
فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهى عظم تجارتهم واستأجروا رجلاً من بكر
ابن وائل يقال له فرات بن حيان يعنى العجلي حليف بنى سهم ليدلهم على تلك الطريق . قال ابن

اسحاق فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقبهم على ماء يقال له القرادة فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله ﷺ فقال في ذلك حسان بن ثابت :
 دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاذ كافواها الخاض الاوارك
 بايدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
 اذا سلكت للغور من بطن عاج قولا لها ليس الطريق هنالك .

قال ابن هشام وهذه القصيدة في أبيات لحسان وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث . وقال الواقدي كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم ابن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم فشرّبوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الاموال فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الاموال وأعجزهم الرجال وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير فحسبها رسول الله ﷺ فبلغ خمسها عشرين ألفاً وقسم أربعة أخماسها على السرية وكان فيمن أسر الدليل فرات بن حيان فأسلم رضي الله عنه . قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وادخلت عليه في جمادى الآخرة منها

مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من بني طيء ثم أحد بني نهبان ولكن أمه من بني النضير . هكذا ذكره ابن اسحاق قبل جلاء بني النضير وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير والصحيح ما ذكره ابن اسحاق لما سيأتي فان بني النضير انما كان أمرها بعد وقعة أحد وفي محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه بطريقه ان شاء الله . قال البخاري في صحيحه قتل كعب بن الأشرف حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ من لكعب بن الأشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال نعم . قال فأذن لي أن أقول شيئاً قال قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال ان هذا الرجل قد سأنأ صدقة وانه قد عذانا واني قد أتيتك أستسلفك . قال وأيضاً والله لنمكته . قال إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا قال نعم ارهنوني قلت أي شيء تريد قال ارهنوني

نساء كم فقالوا كيف نرهنتك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنتك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنتك اللأمة . قال سفيان يعني السلاح . فو اعدة أن يأتيه ليلا فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاة فدعاهم الى الحصن فنزل اليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو قالت أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم . قال انما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيى أبو نائلة . ان الكريم لو دعى الى طعنة لبلى لاجاب قال ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين فقال اذا ماجاء فاني مائل بشعره فأشبهه فاذا رأيتموني استمكنتم من رأسه فدو نكم فاضربوه وقال مرة ثم أشمكم فنزل اليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب فقال ما رأيت كاليوم ريحاً أى أطيب وقال غير عمرو قال عندى أعطر نساء العرب وأجمل العرب قال عمرو فقال أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال نعم . فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لى ؟ قال نعم . فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فاخبروه . وقال محمد ابن اسحاق كان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيء ثم أحد بنى نهبان وأمه من بنى النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما تيقن عدو الله الخبر خرج الى مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن صبيرة السهمي وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمه وجعل يحرض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر فدكر ابن اسحاق قصيدته التي أولها :

طحننت رحي بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تستهل وتدعم

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره . ثم عاد الى المدينة فجعل يشب بنساء المسلمين ويهجو النبي ﷺ وأصحابه . وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بنى النضير أو فيهم قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء وركب الى قريش فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك أديننا أحب الى الله أم دين محمد وأصحابه ، وأينا أهدى في رأيك وأقرب الى الحق ؟ إنا نطعم الجزور الكوماء ونسقى اللبن على الماء ونطعم ما هبت الشمال . فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلاً . قال فأنزل الله على رسوله ﷺ : ألم تر الى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً وما بعدها . قال موسى ومحمد بن اسحاق : وقدم المدينة يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ وجعل يشب بأبى الفضل بن الحارث وبغيرها من

نساء المسلمين . قال ابن اسحاق : فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من ابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يارسول الله أنا أقتله ، قال فافعل إن قدرت على ذلك ، قال فرجع محمد بن مسلمة فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال يارسول الله قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أم لا . قال : إنما عليك الجهد . قال : يارسول الله ، إنه لا بد لنا أن نقول ، قال : فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك . قال : فاجتمع في قبة محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل . وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشهل وابن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة ، قال فقد موا بين أيديهم إلى عدو الله كعب سلكان ابن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً — وكان أبو نائلة يقول الشعر — ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف أنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فآتكم عني ، قال أفعل . قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب وورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر يصير إلى ما أقول ، فقال له سلكان : أنى قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك ، قال ترهنوني أبناءكم ؟ قال لقد أردت أن تفضحننا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها . فقال : إن في الحلقة لوفاء . قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فاخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق فحدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقم وجههم وقال : « انطلقوا على اسم الله . اللهم أعزهم » ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته وهو في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيها وقالت : أنت امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ، قال إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله أنى لأعرف في دوته الشر . قال : يقول لها كعب لو دعى الفتى لطلعة أجب ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن نتمشي إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال إن شئتم . فخرجوا فشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كاليمة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمان ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودي رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ! فاختلفت

عليه أسيافهم فلم تكن شيئاً . قال محمد بن مسلمة قد كرت مغولاً في سبني فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار ، قال فوضعت في ثنثيه ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه أصابه بعض سيوفنا ، قال فخرجنا حتى سلكننا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بُعَاث حتى أسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتاننا يتبع آثارنا فاحتملناه فحُتْنَا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه . قال ابن جرير : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته بأيدينا مشيرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلاً إلى كعب أخا كعب يسير
فما كرهه فأنزله بمكر ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بنى النضير ستأتى . قلت : كان قتل كعب ابن الأشرف على يدى الأوس بعد وقعة بدر ، ثم ان الخزرج قتلوا أبارافع بن أبى الحقيق بعد وقعة أحد كما سيأتى بيانه ان شاء الله وبه الثقة . وقد أورد ابن أسحاق شعر حسان بن ثابت :

لله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم مرحاً كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفاً بيض دقف
مستبصرين لنصر دين نبهم مستصغرين لكل أمر مجحف

قال محمد بن اسحاق : وقال رسول الله ﷺ « من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسى على ابن سفينه — رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم — فقتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدو الله أقتلته ؟ أما والله لأرب شحم في بطنك من ماله . قال محيصة : قتل والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ، قال فوالله إن كان لأول اسلام حويصة وقالوا لله لو أمرك محمد بقتلى لتقتلى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربت بها . قال : فوالله ان ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة . قال ابن اسحاق : حدثني بهذا الحديث مولى لبنى

حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها . وقال في ذلك محيصة :

يلوم ابن أم لو أمرت بقتله لطبقت ذفراه بأبيض قارب
حسام كلون الملح أخلص رقبته متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرفني أنى قتلتك طامعاً وأن لنا ما بين بصرى ومارب

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة عن أبي عمرو المدني أن هذه القصة كانت بعد مقتل بنى قريظة فان المقتول كان كعب بن يهودا فلما قتله محيصة عن أمر رسول الله ﷺ يوم بنى قريظة قال له أخوه حويصة ما قال فرد عليه محيصة بما تقدم فأسلم حويصة يومئذ . والله أعلم

﴿ تنبيه ﴾ : ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد والصواب إيرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن اسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أن الحزب حرمت لىالى حصار بنى النضير وثبت في الصحيح انه اصطبج الحزب جماعة ممن قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الحزب كانت اذ ذاك حلالاً وانما حرمت بعد ذلك فتبين ما قلناه من أن قصة بنى النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم

﴿ تنبيه آخر ﴾ : خبر يهود بنى قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم وكذلك قتل كعب بن الاشرف اليهودى على يدى الاوس وخبر بنى النضير بعد وقعة أحد كما سياتى وكذلك مقتل أبى رافع اليهودى تاجر أهل الحجاز على يدى الخزرج وخبر يهود بنى قريظة بعد يوم الاحزاب وقصة الخندق كما سياتى

غزوة أحد في شوال سنة ثلاث

﴿ فائدة ﴾ ذكرها المؤلف في تسمية أحد قال سمي أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال وفي الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبه » قيل . معناه أهله وقيل لأنه كان يشره بقرب أهله اذا رجع من سفره كما يفعل الحب وقيل على ظاهره كقوله ﴿ وأن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ وفي الحديث عن أبى عبيس بن جبر « أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة ، وعير يفضنا ونفضه وهو على باب من أبواب النار » قال السهيلي مقولاً لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه السلام قال « المرء مع من أحب » وهذا من غريب صنع السهيلي فان هذا الحديث انما يراد به الناس ولا يسمى الجبل امراً . وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ومالك قال ابن اسحاق للنصف من شوال وقال قتادة يوم السبت المادى عشر منه قال مالك وكانت الوقعة في أول النهار وهي على المشهور التى أنزل الله فيها قوله تعالى ﴿ واذا غدوت من أهلك فبؤى المؤمنين . مة أعد للقتال والله سميع عليم ﴾ اذ هممت فائقتان منكم أن تفشلا والله رايمهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون * ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * الآيات وما بعدها إلى قوله : ﴿ ما كان الله ليجعل المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلمعكم على الغيب ﴾ وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة . ولنذكر هنا ملخص الواقعة مما ساقه محمد بن اسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رح وكان من حديث أحد كما حدثني محمد ابن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث بيعض هذا الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا أو من قال منهم : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب التليب ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبوسفیان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبناءهم وأخوانهم يوم بدر فكلمو أبوسفیان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . فقالوا : يا معشر قريش ، ان محمداً قد وترككم وقل خياركم فأعينونا بهذا المال على حرب به لعلنا ندرک منه ثاراً ، ففعلوا . قال ابن اسحاق : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى ﴿ ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾ قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبوسفیان وأصحاب العير بأحاديثها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان في الاسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، انك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج ممنا فقال : ان محمداً قد منّ على فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنا بنفسك فلك الله ان رجعت أن أغنيك وان قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول :

يا بني عبد مناة الرزام أنتم حماة وأبؤكم حام
لا يعدوني نصركم بعد العام لا تسدوني لا يحل اسلام

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جهم إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول :

يا مال مال الحسب المقدم أنشد ذا القربي وذا التذم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الخلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم

قال : ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له : أخرج مع الناس ، فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعى طعيمة بن عدى فانت عتيق . قال : فخرجت قریش بمجدها وحديدها وأحاييشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس المفیظة وأن لا يفروا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب وهو قائد الناس ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبى جهل وزوجته ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج عمه الحارث بن هشام وزوجته فاطمة بنت الوليد ابن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بامراته قال : وكان وحشى كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول وبها أبا دسمة أشف واششف . يعنى تحمضه على قتل حمزة بن عبد المطلب . قال : فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل يبطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال لهم قد رأيتم الله خيراً رأيتم بقرأتينج ورأيتم فى ذباب سيفى ثلماً ورأيتم أنى أدخمت يدي فى درع حصينة فأولتها المدينة . وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كريب عن أبى أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى عن النبی دلى الله عليه وسلم قال « رأيتم فى المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها البجامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ورأيتم فى رؤياى هذه أنى هزرت سيفناً فأنقطع صدره فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرتة أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ملجاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيتم فيها أيضاً بقرأ والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا انما ملجاء الله به من انما وثواب الصديق الذى أتانا بعد يوم بدر » وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرنا ابن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : تعقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر قال ابن عباس وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد وذلك ان رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيته أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرأ نخرج يارسول الله اليهم نقاتلهم بأحد ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته ثم ندموا وقالوا يارسول الله أقم فالرأى رأيك . فقال لهم ما ينبغي لنبى أن يضع أداته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . قال وكان قال لم يؤمنه قبل أن يلبس الاداة أنى رأيتم أنى فى درع حصينة فأولتها المدينة وأنى مردف كبشاً

وأولته كبش الكتيبة ورأيت أن سيفي ذا الفقار فلأولته فلا فيكم ورأيت بقرأ يذبح فبقر والله خير»
رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به . وروى البيهقي من
طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال : رأيت فيما يرى النائم كأنني مردف
كبشاً وكان ضبة سيفي انكسرت فأولت أني أقتل كبش القوم وأولت كسر ضبة سيفي قتل
رجل من عترتي . قتل حمزة وقتل رسول الله ﷺ طلحة وكان صاحب اللواء . وقال موسى بن
عقبة رح ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب وسار أبو سفيان بن حرب
في جمع قريش وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر حتى نزلوا بطن الوادي الذي قبلي
أحد وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدرأ قد ندموا على ما فاتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو
ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين
لم يشهدوا بدرأ بقدوم العدو عليهم وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيئتنا ثم إن رسول الله ﷺ أرى
ليلة الجمعة رؤيا فأصبح فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم « رأيت البارحة في منامي بقرأ تذبح والله
خير ورأيت سيفي ذا الفقار انقعم من عند ضبته . أو قل : به فلول فكرهته وهما مصيبتان
ورأيت أني في درع حصينة وأنني مردف كبشاً » . فلما أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه ، قالوا :
يا رسول الله ، ماذا أولت رؤياك ؟ قال : أولت البقر الذي رأيت بقرأ فينا وفي القوم وكرهت ما
رأيت بسيفي . ويقول رجال كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه فان العدو أصاب وجهه
يومئذ وقصموا ربايعيته وخرقوا شفته يزعمون أن الذي رماه عتبة بن أبي وقاص وكان البقر من
قتل من المسلمين يومئذ . وقال أولت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله وأولت الدرع الحصينة
المدينة فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام فان دخل علينا القوم في الأزقة قاتلناهم وروموا من فوق
البيوت وكانوا قد سکوا أزقة المدينة بالبنين حتى [صارت] كالحصن فقال الذين لم يشهدوا بدرأ :
كننا تمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير وقال رجل من الانصار : متى نقاتلهم
يا رسول الله اذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال رجال ماذا نمنع اذا لم نمنع الحرب بروع ؟ وقال رجال
قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب قال : والذي أنزل عليك الكتاب
لنجدلهم . وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم : يا نبي الله لا تحرمنا الجنة فوالذي
نفسى بيده لأدخلنها . فقال له رسول الله ﷺ : بم ؟ قال : بأنني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم
الزحف . فقال له رسول الله ﷺ : صدقت . واستشهد يومئذ . وأبي كثير من الناس إلا الخروج
إلى العدو ولم يتناهاوا إلى قول رسول الله ﷺ : رأياء ولورضوا بالذي أمرهم كن ذلك ولكن
غلب القضاء والقدر وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرأ قد علموا الذي سبق

لأصحاب بدر من الفضيلة فلما صلى رسول الله ﷺ الجمعة وعظ الناس وذكروهم وأمرهم بالجد
 والجهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلاءته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج فلما رأى ذلك
 رجال من ذوى الأثرى قالوا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه
 الوحي من السماء فقالوا يا رسول الله أمكث كما أمرتنا فقال : ما ينبغي لنبى إذا أخذ لأمة الحرب وأذن
 بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأيتهم إلا الخروج فمليكم بتقوى
 الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا . قال : فخرج رسول الله ﷺ
 والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف فضى رسول الله ﷺ
 حتى نزل بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلثمائة فبقى رسول الله ﷺ في سبعمائة قال
 البيهقي رح هذا هو المشهور عند أهل المغازى أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل قال والمشهور عن الزهري
 أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ عن ابن وهب عن يونس
 عن الزهري وقيل عنه بهذا الإسناد سبعمائة والله أعلم . قال موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين
 خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لواءه مع عثمان بن طلحة قال ولم يكن مع المسلمين فرس
 واحدة ثم ذكر الواقعة كما سيأتى تفصيلها إن شاء الله تعالى . وقال محمد بن اسحاق لما قص رسول الله ﷺ
 رؤياه على أصحابه قال لهم إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا
 بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبي بن سلول مع رأى رسول الله ﷺ
 ﷺ في أن لا يخرج اليهم فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن
 كان فاته بدر : يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون ألقابنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله
 ابن أبي بن سلول لا يخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها
 علينا إلا أصابنا منه . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة
 حين فرغ من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو فصى
 عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك فلما خرج
 عليهم قالوا يا رسول الله إن شئت فاقعد فقال ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .
 فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم قال
 ابن اسحاق حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخرل عنه عبد الله بن أبي بن سلول الناس وقال
 أطاعهم وعصاني ما ندرى علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس . فرجع بن اتبعه من قومه من أهل
 النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي والد جابر بن عبد الله فقال : يا قوم اذكروكم
 الله أن لا تأخذوا قومكم وبنبيكم عند ما حضر من عدوهم . قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم

ولكننا لا نرى أن يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه ﷺ . قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى ﴿ ولعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فأنزلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾ يعنى انهم كاذبون في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لاخفاء ولا شك فيه وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ فإسكنهم في المذاقنين فثنين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ الآية وذلك أن طائفة قالت قتلتهم وقال آخرون لاقتلتهم كما ثبت وبين في الصحيح . وذكر الزهري أن الانصار استأذنوا حينئذ رسول الله ﷺ في الاستعانة بخلفائهم من يهود المدينة فقال لا حاجة لنا فيهم . وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لما رجع عبد الله بن أبى وأصحابه همتا أن تفشلا فثبتهما الله تعالى ، ولهذا قال ﴿ اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ قال جابر بن عبد الله ما أحب أنهما لم تنزل والله يقول ﴿ والله وليهما ﴾ كما ثبت في الصحيحين عنه . قال ابن اسحاق ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بنى حارثة فنب فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف فاستابه فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف شمس سيفك أى اغمده فأنى أرى السيوف ستسل اليوم . ثم قال النبی ﷺ لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كشب (أى من قريب) من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث أنا يارسول الله فنفذ به في حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال لمربع بن قيطى وكان رجلا منافقا ضير البصر فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثى في وجوههم التراب ويقول ان كمت رسول الله فانى لا أحل لك أن تدخل في حائلتى . قال ابن اسحاق وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من التراب في يده ثم قال والله لو أعلم أنى لأصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ لا تقتلوه ، فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر ، وقد بدر اليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل قبل نهى رسول الله ﷺ فضربه بالقوس في رأسه فشجه ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادى وفى الجبل وجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد حتى أمره بالقتال وقد سرحت قریش الظهر والكراع فى زروع كانت بالصمغة من قناة كانت للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال أثر عى زروع بنى قيلة ولما نضارب ؟ وتعباً رسول الله ﷺ للقتال وهو فى سبعمائة رجل وأمر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلاً فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك

لأنّ اثنين من قبلك . وسيأتى شاهد هذا فى الصحيحين ان شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يعنى لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخى نبي عبد الدار قلت وقد رد رسول الله ﷺ جماعة من العلمان يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت فى الصحيحين قال عرضت على النبي ﷺ يوم أحد فلم يجزنى وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس بن قيسى ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

ومهم ابن سعيد بن خيثمة ذكره السهيلي أيضاً وأجازهم كلهم يوم الخندق وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقبل يارسول الله ان رافعاً رام فأجازه فقبل يارسول الله فان سمرة يصرع رافعاً فأجازه . قال ابن اسحاق رح وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخليل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشام وقال رسول الله ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سمالك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال وما حقه يارسول الله؟ قال أن تضرب به فى العدو حتى ينحني . قال أنا آخذه يارسول الله بحقه فأعطاه إياه . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد وعفان قال حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا ثابت عن النبي أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف فأخذ قوم فجعلوا ينظرون اليه فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سمالك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به . قال ابن اسحاق وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً مختالاً عند الحرب وكان له عصا به حراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقاقل ، قال فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصا به تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفتين قال : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بني سلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر : انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن . قال ابن اسحاق وقد قال أبو سفيان لاصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بني عبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فكفنيكود فهو ابه وتواعدوه وقالوا : نحن نسلم اليك لواءنا ! ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذى أراد أبو سفيان . قال فلما التقى الناس ودنا بعضهم من

بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال فقالت هند فيما تقول :

وبهاً بني عبد الدار وبها حماة الادبار ضرباً بكل بنار
وتقول أيضاً :

ان تقبلوا أمانق وففرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة وكان قد خرج الى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاماً من الاوس وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يا معشر الاوس أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق . وكان يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق . فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتلاً شديداً ثم أرضخهم بالمجارة . قال ابن اسحاق فأقبل الناس حتى حبت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس قال ابن هشام وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعني وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن صفيّة عمته ومن قريش وقد قت اليه وسألته اياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركني والله لا أنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصاة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصاة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

وقال الاموي حدثني أبو عبيد في حديث النبي ﷺ أن رجلاً أتاه وهو يقاتل به فقال لعلك ان أعطيتك تقاتل في الكيول ؟ قال لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ان لا أقوم الدهر في الكيول

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه اسرائيل كلاهما عن أبي اسحاق عن هند بنت خالد أو غيره يرفع الكيول يعني مؤخر الصفوف سمعته من عدة من أهل العلم ولم أسمع هذا الطريف إلا في هذا الحديث . قال ابن هشام فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفب عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا فضربتين

فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقتل الله ورسوله أعلم . وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك . قال ابن اسحاق قال أبو دجانة رأيته أنساناً يحبس الناس حساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه فوجدوا في أنفسهما من ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه إليه فأعطى السيف حقه قال فرغموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رأيته مثل المشركين يقتل المسلمين قت فتجاوزت فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمة فضيت حتى كنت من ورائه ثم قت أقدر المسلم والكافر ببصرى فإذا الكافر أفضلها عدة وهياة . قال فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا فضرب المسلم الكافر على جبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه و تفرق فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن اسحاق وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شربيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول :

ان على أهل اللواء حقاً أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة فقتله ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال حمزة: هلم الي يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم أثمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختانة بكمة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله فقال وحشى غلام جبير بن مطعم والله اني لا انظر لحمزة يهد الناس بسيفه ما يلبق شيئاً غير ما مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمني اليه سباع فقال حمزة هلم يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنثيه حتى خرجت من بين رجله فأقبل نحوى فقلب فوقع وأمهلتني حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم ننحيت الى العسكر ولم يكن لي شيء . حاجة غيره . قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري

قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيلار أحد بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية فأدر بنا مع الناس فلما مررنا بجمص وكان وحشي مولى جبير قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال عبيد الله بن عدى : هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له : ان شئت . فخرجنا نسأل عنه بجمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فان تجداه صاحبياً تجدنا رجلاً عربياً وتجداه عنده بعض مائريدان وتصيبا عنده ماشئنا من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض مائه فالنصر فاعنه ودعاه . قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طائفة له واذا شيخ كبير مثل البعث ، واذا هو صاح لا بأس به ، فلما انتهينا اليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدى فقال : ابن لعدى بن الخيلار أنت ؟ قال نعم . قال أما والله ما رأيته منذ ناولتك أمك السعدية التي أَرْضَعَتْكِ بَنِي طَوِي فَإِنِّي نَاوِلْتُكِهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا فَأَخَذْتُكَ بِعَرْضِكَ فَلَمَعْتَ لِي قَدَمُكَ حَتَّى رَفَعْتُكَ إِلَيْهَا فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَقَفْتَ عَلَى فَعَرَقْتُمَا . قال فجلسنا اليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتلته ؟ فقال : أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قریش الى أحد قال لي جبير : إني قتل حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ما أخطى بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة واتبصره حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هذا مايقوم له شيء فوالله إني لأتنبأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنوني إذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال هلم إلي يا ابن مقطعة البظور ، قال فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال وهزرت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله وذهب لينوء نحوى فقلب وتركته وإياها حتى مات ثم أتيت فأنذرت حربتي ثم رجعت الى العسكر وقعدت فيه ولم يكن لي غيره حاجة إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم أتت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت الى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيت على المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحك انه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق ، قال فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رأيته قال لي : أو وحشي أنت ؟ قلت نعم يا رسول الله . قال أقعد فحدثني كيف قتل حمزة ؟ قال فحدثته كما حدثتكم ، فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك ، قال فكنت

أتكذب برسول الله ﷺ حيث كان لثلاً يرانى حتى قبضه الله عز وجل ، فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربى التى قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً وبيده السيف وما أعرفه قتيلاً له وتهياً له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريد فبرزت حربى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع فيه ، وشد عليه الانصارى بالسيف فربك أعلم أينما قتله ، فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ وقتلت شر الناس . قلت : الانصارى هو أبو دجانه سماك بن خرشة كما سيأتى فى مقتل أهل اليمامة . وقال الواقدي فى الردة : هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى . وقال سيف بن عمرو : هو عدى ابن سهل وهو القائل :

ألم تر أنى ووحشيم قتلت مسيلمة المعين
ويسأل الناس عن قتله فقلت ضربت وهذا طعن

والمشهور أن وحشياً هو الذى بدره بالضربة وذفف عليه أبو دجانه ، لما روى ابن اسحاق عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن ابن عمر قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتله العبد الأسود . وقد روى البخارى قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال خرجت مع عبد الله بن عدى بن الخيام فذكر القصة كما تقدم . وذكر أن عبید الله بن عدى كان معترجاً عمامة لا يرى منه وحشياً إلا عينيه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم ، وهذه قيافة عظيمة كما عرف ببرز المدجلى أقدام زيد وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما . وقال فى سياقته : فلما أن صف الناس للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز نخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : ياسباع يا ابن أم أنمار مقطعة البطور اتحاداً لله ورسوله ؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب ، قال وكنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا منى رميته بحربى فأخذهما فى ثنتا حتى خرجت من بين وركيه قال فكان ذلك آخر العهد به ، الى أن قال : فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرج الى مسيلمة لعل أقتله فأكفى به حمزة ، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال فاذا رجل قائم فى ثلثة جدار كأنه جبل أورق ثائر الرأس ، قال فرميت به بحربى فاضمها بين يدييه حتى خرجت من كتفيه ، قال ووثب اليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته ، قال عبد الله بن الفضل فأخبرنى سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظهر البيت : واهمير المؤمناه قتله العبد الاسود ، قال ابن هشام فبلغنى أن وحشياً لم يزل يُحدّ فى الحمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة . قلت :

وتوفي وحشي بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بمحصر وكان أول من لبس الثياب المملوكة .
قال ابن اسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل وكان الذي قتله ابن قيسمة
البيشي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش فقال قتل محمدًا . قلت وذكر موسى بن عقبة
في مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذي قتل مصعبًا هو أبي بن خلف فأنه أعلم . قال ابن اسحاق
فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء على بن أبي طالب . وقال يونس بن بكير
عن ابن اسحاق : كان اللواء أولًا مع علي بن أبي طالب ، فلما رأى رسول الله ﷺ لواء
المشركين مع عبد الدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أخذ اللواء من علي بن أبي طالب فدفعه إلى
مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواء على بن أبي طالب . قال ابن اسحاق : وقاتل
على بن أبي طالب ورجال من المسلمين . قال ابن هشام وحدثني مسلمة بن علقمة المازني . قال : لما
اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الانصار وأرسل إلى علي أن قدم الراية
فقدم على وهو يقول : أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين . هل
لك يا أبا القصم في البراز من حاجة ؟ قال نعم فبرزوا بين الصنفين فاختلعا ضربتين فضر به على فصرعه
ثم انصرف ولم يجزه عليه . فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال إنه استقبلني بعورته
فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله . وقد فعل ذلك على رضي الله عنه يوم صفين مع بسر
ابن أبي أرطاة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه . وكذلك فعل عمرو بن العاص حين
حمل عليه على في بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع على أيضًا . ففي ذلك يقول الحارث بن
النضر :

أتى كل يوم فارس غير منته و عورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه على سنانة ويضحك منها في الخلاء معاوية

وذكر يونس عن ابن اسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدي حامل لواء المشركين يومئذ
دعا إلى البراز فأججم عنه الناس فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جملة ، ثم
اقتحم بالارض فألماه عنه وذبحه بسيفه فأثنى عليه رسول الله ﷺ قال « ان لكل نبي حواريا
وحواري الزبير » وقال : لو لم يبرز اليه لبرزت أنا اليه لما رأيت من احجام الناس عنه . وقال
ابن اسحاق قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح
فقتل نافع بن أبي طلحة وأخاه الملاس كلاهما يشمره سهمًا فيأتي أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها
فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رماني يقول خذها وأنا ابن أبي الأفلح فندرت
أن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركًا أبدًا ولا

بسمه ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سيأتى . قال ابن اسحاق : والتقى حنظلة بن أبى عامر واسمه عمرو ويقال عبد عمرو بن صفي وكان يقال لابن عامر فى الجاهلية الراهب الكثرة عبادته فسماه رسول الله ﷺ الفاسق لما خلف الحق وأهله رهب من المدينة هرباً من الاسلام ومخالفة الرسول عليه السلام وحنظلة الذى يعرف بحنظلة الغسيل لانه غسلته الملائكة كما سيأتى هو وأبو سفيان صخر بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الاوس وهو الذى يقال له ابن شعوب فضر به شداد فقتله فقال رسول الله ﷺ « ان صاحبكم لنفسه الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » فسئلت صاحبتة قال الواقدي : هى جميلة بنت أبى ابن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة . فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله ﷺ : كذلك غسلته الملائكة . وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله فى صدره وقال ذنبان أصابتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرحم براً بالوالد . قال ابن اسحاق وقال ابن شعوب فى ذلك :

لأحمين صاحبي ونفسي بطعنة مثل شعاع الشمس

٨

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعي يا ابن حرب ومشهدى لألفيت يوم النعف غير مجيب
ولولا مكرى المهر بالنعف فرفرت عليه ضباع أو ضراء كليب

وقال أبو سفيان :

ولو شئت نجتنى كيت طمرة ولم أحمل النماء لابن شعوب
وما زال مهرى مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدعى بالغاب وأدفعهم عنى بركن صليب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل ولا تسألى من عبرة ونحيب
أباك واخواناً له قد تتابعوا وحق لهم من عبرة بنصيب
وسلى الذى قد كان فى النفس اننى قتل من النجار كل نجيب
ومن هاشم قرماً كريماً ومصباً دكان لدى الحيجاء غير هيب
فلو أننى لم أشف نفسى منهم لكانت شجى فى القلب ذات ندوب
فأبوا وقد أودى الجلايب منهم بهم خدب من مغبط وكثيب
أصابهم من لم يكن لدمائهم كفاء ولا فى خطه بضريب

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم درست لزور قلته بمصيب

ألمعجب أن أقصدت حمزة منهم نجياً وقد سميت به بن حبيب
 ألم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه وشيبة والواجاج وابن حبيب
 غداة دعا العاصي علياً فراعته بضربة غضب به بنحبيب

فصل

قال ابن اسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسومهم بالسيوف حتى
 كشفوهم عن المسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها . وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
 عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت
 عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة على العسكر حين
 كشفنا القوم عنه وخلصوا ظهورنا للخييل فأتيننا من خلفنا وصرخ صارخ ألا ان محمداً قد قتل فانكفأنا
 وانكفأ القوم علينا بعد أن أصابنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد منهم ، فحدثني بعض
 أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به
 وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت
 يده ثم برك عليه فآخذ اللواء ب صدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت - يعني
 اللهم هل أعذرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فخرتم باللواء وشر فخر لواء حين رد الى صواب
 جعلتم فخركم فيه لعبد والأثم من يطا عفر التراب
 ظننتم والسفيه له ظنون وما ان ذاك من أمر الصواب
 بأن جلادنا يوم التقينا بمكة بيعكم حمر العياب
 أقر العين ان عصبت يده وما ان تعصبان على خضاب

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

اذا عضل سيقنا كآئنها جداية شرك معلمات الواجب
 أقننا لهم طعناً مبيراً منكلا وحزنهم بالضرب من كل جانب
 فلولاً لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الاسواق ببيع الجلائب

قال ابن اسحاق فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله
 فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله ﷺ فذنب بالجارحة حتى وقع لشقه فأصابت
 ربايته وشج في وجهه وكلت شفته وكان الذي أصابه دتية بن أبي وقاص فحدثني حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشج في وجهه فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأَنْزَلَ اللهُ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَانْظُرْ لَهُمْ ظَالِمُونَ قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ فِي تَارِيخِهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ابْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ عَنْ السَّيِّدِ قَالَ أَتَى ابْنَ قُتَيْبَةَ الْحَارِثِيُّ فَرَمَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِحَجَرٍ فَكَسَرَ أَنْفَهُ وَرَبَاعِيَّتَهُ وَشَجَّهُ فِي وَجْهِهِ فَأَثَقَلَهُ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَدَخَلَ بَعْضُهُمُ الْمَدِينَةَ وَأَنْطَلَقَ طَائِفَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ إِلَى الصَّخْرَةِ وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ : إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فَجَعَلُوا يَسِيرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَقِفْ أَحَدُ الْأَطْلَحَةِ وَسَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ شَمَاهُ طَلْحَةَ فَرَمَى بِهِمْ فِي يَدِهِ فَيَسْتِ يَدَهُ وَأَقْبَلَ أَبِي بَنْ خَلْفَ الْجَحَى وَقَدْ حَلَفَ لِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ بَلْ أَنَا أَقْتَلُهُ فَقَالَ يَا كَذَّابُ أَيْنَ تَفْرُجُ فَعَمِلَ عَلَيْهِ فُطْنُهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَيْبِ الدَّرْعِ فَجَرَحَ جَرْحًا خَفِيفًا فَوَقَعَ بِخَوَارِ الثَّوَرِ فَاحْتَمَلُوهُ وَقَالُوا لَيْسَ بِكَ جِرَاحَةٌ فَمَا يَجْزِعُكَ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ قَالَ لَا قَتْلَكَ لَوْ كَانَتْ تَجْتَمِعُ رُبْعَةٌ وَمَضَرُّ لِقَتْلِهِمْ . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ حَتَّى مَاتَ مِنْ ذَلِكَ الْجَرْحِ وَفَشَا فِي النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُتِلَ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ لَيْتَ لَنَا رَسُولًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَيَأْخُذَ لَنَا أَمْنَةً مِنْ أَبِي سَفْيَانَ ، يَقُومُ أَنْ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ فَيَقْتُلُوكُمْ ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ يَقُومُ أَنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ فَانْ رُبَّ مُحَمَّدٍ لَمْ يَقْتُلْ فَقَاتَلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ ثُمَّ شَدَّ بِسَيْفِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَضَعَ رَجُلٌ سَهْمًا فِي قَوْسِهِ يَرْمِيهِ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ فَفَرَحُوا بِذَلِكَ حِينَ وَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَى أَنَّ فِي أَصْحَابِهِ مَنْ يَمْتَنِعُ بِهِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَفِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ عَنْهُمْ الْحُزْنُ فَأَقْبَلُوا يَذْكُرُونَ الْفَتْحَ وَمَا فَاتَهُمْ مِنْهُ وَيَذْكُرُونَ أَصْحَابَهُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الَّذِينَ قَالُوا أَنْ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الْآيَةُ فَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ نَسُوا ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ وَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَيْسَ لَكُمْ أَنْ يَعْلَمُوا ، أَنَّهُمْ أَنْ تَقْتُلَ هَذِهِ الْعَصَابَةَ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ » . ثُمَّ نَدَبَ أَصْحَابَهُ فَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَنْزَلُوهُمْ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ يَوْمَئِذٍ : أَعْلُ هَبْلٍ حَنْظَلَةٌ بِحَنْظَلَةٍ وَيَوْمَ أَحَدٍ يَوْمَ بَدْرٍ . وَذَكَرَ تَمَامَ الْقِصَّةِ . وَهَذَا غَرِيبٌ جَدًّا وَفِيهِ نَكَارَةٌ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَزَعَمَ رَبِيعُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ عَتَبَةَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ رَمَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَسَرَ رَبَاعِيَّتَهُ الَّتِي فِي السَّفْلِ وَجَرَحَ شَفْطَهُ السَّفْلَى وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَهَابٍ الزَّهْرِيَّ شَجَّهُ فِي جَبْهَتِهِ وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قُتَيْبَةَ جَرَحَ وَجْهَهُ فَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حَلَقِ الْمَغْفَرِ فِي وَجْهِهِ وَوَقَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَفْرَةٍ

من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع طلمحة بن عبید
الله حتى استوى قائماً ومضى مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرد
فقال من مس دمه دمي لم تمسه النار قلت وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لما وقع لشقه أغشى عليه
فر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفق وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا
هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله ﷻ ليس لك من الأمر شيء الآية رواه ابن جرير
وهو مرسل وسيأتي بسط هذا في فصل وحده قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله
تعالى ﷻ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بأذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم
من بعد ما أراكم مانحين منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم
ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين * إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول
يدعوكم في أخراكم فأتاكم غماً بعم ﷻ الآية قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثني
سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبید الله عن ابن عباس أنه قال :
ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أحد قال فأنكرنا ذلك فقال بيني وبين من أنكر ذلك كتاب
الله أن الله يقول في يوم أحد ﷻ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بأذنه ﷻ يقول ابن عباس والحسن
القتل ﷻ حتى إذا فشلتم ﷻ إلى قوله ﷻ ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﷻ وإنما غنى بهذا
الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فإن رأيتونا تقتل فلا تنصرونا
وان رأيتونا نغتم فلا تشركونا . فها غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة
جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم هكذا (وشبك
بين أصابع يديه) والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع
على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً فالتبوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان
لرسول الله وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجل المسلمون
جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار إنما كان تحت المهراس ، وصاح الشيطان : قتل
محمد فلم يشك فيه أنه حق ، فمازلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله ﷺ بين
السعدين نعرفه بتكفيه إذا مشى قال ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال فرقى نحو : وهو يقول
اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى اللهم انه ليس لهم أن يلعنونا
حتى انتهى البنا فكث ساعة فاذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أعل هبل أعل هبل ، مرتين
(يعني أكلته) ، أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب ألا
أجيبه؟ قال بلى قال فلما قال أعل هبل قال : الله أعل وأجل . قال أبو سفيان يا ابن الخطاب قد أنعمت

عينيها ، ففادعنها - أو ففادعنها - فقال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر وها أنا ذا عمر ، قال فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر ، الأيام دول وإن الحرب سجال . قال فقال عمر : لا سواء ، قتلنا في الجلبة وقتلنا في النار . قال انكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا اذن وخسرنا . ثم قال أبو سفيان : اما انكم سوف تجدون في قتلاكم مثله ولم يكن ذلك عن رأى سرائنا . قال ثم أدركته حمية الجاهلية فقال اما انه ان كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان بن داود الهاشمي به وهذا حديث غريب وهو من مراسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سند كرم منها ما تيسر ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان . قال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسراييل عن أبي اسحاق عن البراء قال : لقينا المشركين يوم مؤذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال : لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرونا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تميئونا . فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتدن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : عهد إلى النبي ﷺ أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال لا تجيبوه . فقال أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال لا تجيبوه . فقال أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقى الله عليك ما يحزنك . فقال أبو سفيان : أعل هبل . فقال النبي ﷺ : أجيئوه ، قالوا ما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى أو جل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي ﷺ : أجيئوه ، قالوا ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسرني . وهذا من افراد البخاري دون مسلم . وقال الامام أحمد : حدثني موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق أن البراء بن عازب قال : جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير ، قال ووضعهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا نتخططنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، قال فهزموهم ، قال فأنا والله رأيت النساء يشتدن على الجبل وقد بدت أسوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، أي قوم ، الغنيمة . فلما ظهر أصحابكم ، فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : إنا والله لنأتين الناس فلننصين من الغنيمة ! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخرهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا

منا سبعين رجلاً ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة :
 سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ؟
 ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ، أفي القوم ابن أبي
 قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ، أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد
 قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله ياعدو الله ، إن الذين عدت لأحياء
 كلهم وقد بقي لك ما يسوءك . فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، أنكم ستجدون في القوم مثله
 لم آمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز : أعلُّ هبلُّ أعلُّ هبلُّ . فقال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه
 قالوا يا رسول الله وما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجل . قال : إن العزى لنا ولا عزى لكم ؟ قال
 رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .
 ورواه البخاري من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً وقد تقدم روايته له مطولة من طريق
 إسرائيل عن أبي اسحاق . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وعلي
 ابن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهبوا النبي ﷺ رهو في سبعة من الانصار ورجل من
 قريش ، قال : من يردم عنا وهو رفيق في الجنة ؟ فجاء رجل من الانصار فقاتل حتى قُتل . فلما
 رهبوه أيضاً قال : من يردم عنا وهو رفيق في الجنة ، حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ
 ما أنصفنا أصحابنا . ورواه مسلم عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال البيهقي في الدلائل :
 بإسناده عن عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد
 وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون
 فقال : ألا أحد هؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الانصار :
 فأننا يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقى معه ، ثم قُتل الانصارى فلحقوه ،
 فقال : ألا رجل هؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله . فقال رجل
 من الانصار : فأننا يا رسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قُتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله
 الأول ويقول طلحة أنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من
 كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوها ، فقال رسول الله ﷺ : من هؤلاء ؟ فقال طلحة أنا ،
 فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال حس ، فقال لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة
 والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء . ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون .
 وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شعبة عن وكيع عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت
 يد طلحة شلاء وفي بها النبي ﷺ يوم أحد . وفي الصحيحين من حديث موسى بن اسماعيل عن

معمربن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما . وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم السعدي سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثل لي رسول الله ﷺ كنيته يوم أحد وقال : ارم فذاك أبي وأمي . وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد عن مروان به . وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن شداد عن علي بن أبي طالب قال ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لاحد الا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول يوم أحد : يا سعد ارم فذاك أبي وأمي . قال محمد بن اسحاق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ . قال سعد فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل ويقول : ارم فذاك أبي وأمي . حتى انه لناولني السهم ليس له نصل فأرمي به . وثبت في الصحيحين من حديث ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال مارأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقال أحمد حدثنا عفان أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يترس به وكان رامياً وكان اذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت رأيت رسول الله لا يصيبك سهم ، نحري دون نحرك . وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول : اني جلد يا رسول الله ، فوجهي في حوائجك ومرني بما شئت . وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ بحجوة بحجوة له وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزاع كسريومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول : انترها لأبي طلحة . قال ويشرف النبي ﷺ ينظر الى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم رانهما مشعرتان أرى خدماً سوقهما تنقران القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملاهما ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً . قال البخاري وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاها النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً يسقط وأخذه ويسقط فأخذه . هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ويشهد له قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْنَا مِنَ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَعَاسًا يُغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ

يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء ، قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور * ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلمهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلیم . قال البخاري : حدثنا عبدان أخبرنا أبو حرة عن عثمان بن موهب قال جاء رجل حجاج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال من هؤلاء القعود قال هؤلاء قريش قال من الشيخ قالوا ابن عمر فأتاه فقال اني سألك عن شيء أتحدثني . قال أنشدك بحمرة هذا البيت أعلم ان عثمان بن عفان فر يوم أحد قال نعم . قال فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا ؟ قال نعم . قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا ؟ قال نعم . قال فكبر . قال ابن عمر : تعال لاخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه : أما فراره يوم أحد فأشيد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت النبي ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ ان لك أجر رجل ممن شيد بدرًا وسهمه ، أما تغيبا عن بيعة الرضوان فانه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة فقال النبي ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان . اذهب بهذا الآن معك . وقد رواه البخاري أيضا في موضع آخر والترمذي من حديث أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به . وقال الاموي في مغازيه عن ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وقد كن الناس انهمزوا عنه حتى بلغ بعضهم الى المذمتي دون الأعوص ، وفر عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الانصار حتى بلغوا الجلبجبل بناحية المدينة بمايل الأعوص فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة . والمتصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدر ، منها - حصول النعاس - حل التحام الحرب وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتام توكلها على خلقها وبارئها . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر : ﴿ اذ يغشيكم النعاس أمانة منه ﴾ الآية وقال هاهنا ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشي طائفة منكم ﴾ يعني المؤمنين الكمل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس في الحرب من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا ﴿ رطائفة قد أهمتهم أنفسهم ﴾ الآية . ومن ذلك أن رسول الله ﷺ استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله : « ان تشأ لا تعبد في الأرض » كما قال الامام أحمد : حدثني عبد الصمد وعفان قال حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد : « اللهم انك ان تشأ لا تعبد في الارض » ورواه مسلم

عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به . وقال البخارى : **حَدَّثَنَا** عبد الله ابن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد : « أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا ؟ قَالَ فِي الْجَنَّةِ ، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ » . ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيهه بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضى الله عنهما وأرضاها

فصل

فَمَا لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ وَمُثَدَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْحَهُمُ اللَّهُ

قال البخارى : مَا أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الْجِرَاحِ يَوْمَ أُحُدٍ * **حَدَّثَنَا** اسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أَشَدُّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ — يَشِيرُ إِلَى رِبَاعِيَّتِهِ — أَشَدُّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا خالد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الاموى حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : « أَشَدُّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشَدُّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَوْا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » . وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد وهو يسلك الدم عن وجهه وهو يقول : « كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجَّوْا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ » . ورواه مسلم عن القعنبي عن حماد بن سلمة به ، ورواه الامام أحمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ كَسَرَتْ رِبَاعِيَّتَهُ وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ : « كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ . وقال البخارى : **حَدَّثَنَا** قَتَيْبَةُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ وَهُوَ يَسْأَلُ عَنْ جَرَحِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ أَنِّي لَا أَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جَرَحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ كَانَ يَسْكَبُ الْمَاءَ وَبِمَا دَوَّوِي ، قَالَ : كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُهُ وَعَلَى يَسْكَبُ الْمَاءَ بِالْجَنَنِ فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةَ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ وَكَسَرَتْ رِبَاعِيَّتَهُ يَوْمَئِذٍ وَجَرَحَ وَجْهِهِ وَكَسَرَتْ الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : **حَدَّثَنَا** ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ طَلْحَةَ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ : ذَاكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لَطْلُحَةٌ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَحْدِثُ قَالَ : كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا يَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُونَهُ وَأَرَادَ قَالَ حِمِيَّةً ، قَالَ فَقَالَتْ كُنْ طَلْحَةٌ حَيْثُ فَاتَنِي مَا فَاتَنِي ، فَقُلْتُ يَكُونُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ

لأعرفه وأنا أقرب الى رسول الله ﷺ منه وهو يخطف المشى خطفًا لا أخطفه فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح فأنهينا الى رسول الله ﷺ وقد كسرت ربايعته وشج في وجهه وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله ﷺ « عليكما صاحبكما » يريد طلحة وقد نزع فلم نلتفت الى قوله قال : وذهبت لانزع ذاك من وجهه ، فقال : أقسم عليك بحق لما تركتني ، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فازم عليها فيه فاستخرج احدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لاصنع ماصنع فقال أقسمت عليك بحق لما تركتني . قال ففعل مثل ما فعل في المرة الاولى فوقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هنا . فأصاحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فاذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة واذا قد قطعت اصبعه فأصاحنا من شأنه . وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال : سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت الى النبل تأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد لا نجوت أن نجا ، ورسول الله ﷺ الى جنبه ما معه أحد فجأوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية ، فقال والله مارأيت ، أحلف بالله انه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص اليه . قال الواقدي : ثبت عندي أن الذي رمى في وجنتي رسول الله ﷺ ابن قتيبة ، والذي رمى في شفته وأصاب ربايعته عتبة بن أبي وقاص ، وقد تقدم عن ابن اسحاق نحو هذا وان الرباعية التي كسرت له عليه السلام هي اليمنى السفلى . قال ابن اسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص وان كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على من دمي وجه رسوله » . وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عثمان الحروري عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر ربايعته ودمى وجهه فقال « اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً » . فاحال عليه الحول حتى مات كافراً الى النار . وقال أبو سليمان الجوزجاني حدثنا محمد بن الحسن حدثني ابراهيم بن محمد حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب عن أبيه عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ دأى وجوه يوم أحد بعظم بال . هذا حديث غريب رأيت في أثناء كتاب المغازي للأمامي في وقعة أحد . ولما نال عبد الله بن قتيبة من رسول الله ﷺ ما نال رجع وهو يقول : قتلت محمداً . وصرخ الشيطان أرب العقبة يومئذ بأبعد صوت : ألا ان محمداً قد قتل ! فحصل بهتة عظيمة في المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصدوا على القتال عن حوزة الاسلام حتى يموتوا على

مامات عليه رسول الله ﷺ ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره ، وقد أنزل الله تعالى التسليمة في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته من غير أن يجزي الشاكرين * وكأى من نبي قاتل معرِّيُّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فاتاكم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين * يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير النصيرين * سألني في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وما أوهم النار وبئس مئوى الظالمين ﴿ . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير والله الحمد . وقد خطب الصديق رضي الله عنه في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ الآية . قال : فكأن الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحد إلا يتلوها . وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال : مر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه . فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل . فقال الانصاري : ان كان محمد ﷺ قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم ، فبزل ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية . ولعل هذا الانصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه وهو عم أنس بن مالك . قال الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن حميد بن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال غبت عن أول قتال قاتله النبي ﷺ للمشركين ، لأن الله أشهدني قتالا للمشركين ليرين ما أضع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم اني أعتذر اليك عما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقية سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أضع ما صنع ، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ . ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن اسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي : حسن ، قات : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه . وقال أحمد حدثنا بهز وحدثنا عاصم قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال

أنس : عمى (قال هاشم : أنس بن النضر) سميت به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر . قال فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، ولئن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أضنع . قال فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة أجده دون أحد . قال فقاتلهم حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . قال فقالت أخته عمى الزبيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا بيناته . ونزلت هذه الآية ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ﴾ قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائى وأبو داود وحماد بن سلمة أر بعثهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى حسن صحيح . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان أبى بن خلف أخو بنى جحج قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ . فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال : بل أنا أقتله إن شاء الله . فلما كن يوم أحد أقبل أبى بن خلف في الحديد مقنماً وهو يقول : لانبجوت إن نجنا محمد . فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحرية فوقع إلى الأرض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ؟ إنما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله ﷺ أنا أقتل أياً ، ثم قال والذي نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى الجبار لما اتوا أجمعون فمات إلى النار فسحقاً لأصحاب السعير . وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهرى عن سعيد بن المسيب نحوه . وقال ابن اسحاق لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول : لانبجوت أن نجوت . فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله ﷺ : دعوه ! فلما دنأ منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحمار بن الصمة فقال بعض القوم كما ذكرى فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض انتفاضة تطاير ناعته تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأ منها عن فرسه مراراً . ذكر الواقدى عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحوه ذلك . قال الواقدى وكان ابن عمر يقول : مات أبى بن خلف ببطن رابع ، فافى لاسير ببطن رابع بعد هوى من الليل إذا أنا بنار تأججت فهبته وإذا رجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيج العطش فاذا رجل يقول : لانسقه ، فانه قتل رسول الله ﷺ ، هذا أبى بن خلف . وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله »
ورواه البخارى من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « اشتد
غضب الله على من قتله رسول الله بيده في سبيل الله » وقال البخارى وقال أبو الوليد عن شعبة
عن ابن المنكدر سمعت جابرًا قال : لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل
أصحاب النبي ﷺ يهونى والنبي ﷺ لم يمه ، وقال النبي ﷺ لا تبكوه أو ما تبكيه مازالت
الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع . هكذا ذكر هذا الحديث ههنا معلقاً وقد أسنده فى الجنائز
عن بنى دار عن غندر عن شعبة . ورواه مسلم والنسائى من طرق عن شعبة به وقال البخارى حدثنا
عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن
ابن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى كفن فى بردة إن غطى
رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال وقتل حمزة هو خير منى ثم بسط لنا من
الدنيا ما بسط (أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا) وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا .
ثم جعل يبكى حتى برد الطعام . انفرد به البخارى وقال البخارى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا
زهير حدثنا الأعمش عن شقيق عن خباب بن الأرت قال : هاجرنا مع النبي ﷺ نبتغى وجه الله
فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً كان منهم مصعب بن عمير
قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطى بها رجلاه
خرج رأسه فقال لنا النبي ﷺ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الأذخر . ومنا من أينعت له
ثمرته فهو يهدى بها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به . وقال البخارى
حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كان
يوم أحد هزم المشركون ففرخ إبليس لعنة الله عليه : أى عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم
فاجتلدت هى وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه الإيمان فقال : أى عباد الله أبى أبى . قال قالت فوالله
ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زال فى حذيفة بقية خير
حتى اتقى الله عز وجل . قلت كان سبب ذلك أن الإيمان وثابت بن وقش كانوا فى الآطام مع النساء
لكبرهما وضعفهما فقالا انه لم يبق من آجالنا إلا ظمٌ سمار فنزلنا ليحضرنا الحرب فجاء طريقهما
ناحية المشركين فأما ثابت فقتله المشركون وأما الإيمان فقتله المسلمون خطأ . وتصدق حذيفة بدية
أبيه على المسلمين ولم يعاتب أحداً منهم لظهور العذر فى ذلك

فصل قال ابن اسحاق : وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجهه
فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما . وفى الحديث عن جابر بن عبد الله

أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله ﷺ مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدّها وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال : أصيبت عيني يوم أحد فسقطنا على وجنتي فأتيته بهما رسول الله ﷺ فأعادها مكانها وبصق فيهما فعادتا تبرقان . والمشهور الأول أنه أصيبت عينه الواحدة . ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلا :

أنا ابن الذي سالت على اناء عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسنها عينا ويا حسن ماخذ
فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارم لأقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبو الـ
ثم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه

فصل قال ابن هشام : وفاتت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد ابن أبي زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها يا خالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فانهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انخرت إلى رسول الله ﷺ فقامت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلى . قالت فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت لها من أصابك بهذا قالت ابن قتيبة أقامه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوت أن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضر بني هذه الضربة . ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان . قال ابن اسحاق وترس أبو دجاجة دون رسول الله ﷺ بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه حتى كثر فيه النبل . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيئتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده . قال ابن اسحاق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدى بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد أقوا بأيديهم فقال لما يجلسكم قتلوا قتل رسول الله ﷺ قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك . فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه

الاأخته، عرفته بينانه. قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فتهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها في رجله فخرج

فصل قال ابن اسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله ﷺ - كما ذكر لي الزهري - كعب بن مالك قال: رأيت عينيه تزهقان من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي: يا مشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ. فأشار رسول الله ﷺ أن انصت. قال ابن اسحاق فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما أstood رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف (فذكر قتله عليه السلام أبيعاً كما تقدم) قال ابن اسحاق: وكان أبي بن خلف كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد ان عندى العود - فرساً - أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك ان شاء الله. فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم فقال: قتلنى والله محمد. فقالوا له ذهب والله فؤادك، والله ان بك بأس. قال انه قد كان قال لى بمكة: أنا أقتلك. فوالله لو بصق على لنتلى. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة. قال ابن اسحاق فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبى يوم بارزه الرسول
أتيت اليه تحمل دم عظم وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم أمية اذ يغوث ياعقيل
وتبأ بنا ربيعة اذ أطاعا أبا جيل لأمهما الهبول
وأقلت حارث لما شغلنا بأسر القوم أسرته قليل

وقال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا من مبلغ عنى أبيعاً فقد أقيت فى سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد وتقسم ان قدرت مع الندور
تمنيك الامانى من بعيد وقول الكفر يرجع فى غرور
فقد لاقتك طعنة ذى حفاظ كريم البيت ليس بنذى فجور
له فضل على الأحياء طراً اذا نابت ملمات الامور

قال ابن اسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ الى فم الشعب خرج على بن أبي طالب حتى ملأ درفته ماء من المهراس فجاء بها الى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ریحافاه ولم يشرب منه وغسل

عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول «اشتد غضب الله على من دعى وجهه نبيه» وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية . قال ابن اسحاق : فبينما رسول الله ﷺ في الشعب معه أولئك نفر من أصحابه اذ علت عالية من قریش الجبل قال ابن هشام فيهم خالد بن الوليد قال ابن اسحاق فقال رسول الله ﷺ اللهم انه لا ينبغي لهم أن يعلونا . فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ونهض النبي ﷺ الى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن رسول الله ﷺ وظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ « أوجب طلحة » حين صنع برسول الله ﷺ يومئذ . صنع . قال ابن هشام وذكر عمر مولى عفرة ان رسول الله ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل آتني لا يدري من هو يقال له قُرْمان فكان رسول الله ﷺ يقول اذا ذكر « انه لمن أهل النار » قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل هو وحملة ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قرمان فأبشر . قال بماذا أبشرك فوالله ان قاتلت الا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت . قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي ان شاء الله . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن المسيب عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدعى الاسلام « هذا من أهل النار » فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً فأصابته جراحة فقتل يا رسول الله الرجل الذي قلت انه من أهل النار قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات فقال النبي ﷺ « الى النار » فكاد بعض القوم يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل فانه لم يمض ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالا فنادى في الناس « انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يريد هذا الدين يارجل الفاجر » . وأخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به قال ابن اسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مخيرين وكان أحد بني ثعلبة بن الغيطون فلما كان يوم أحد قال يامعشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم . لقى . قالوا ان اليوم يوم السبت . قال لاسبت لكم . فأخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فمالي لحمد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا الى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل . فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا « خير يوق خير يهود » قال السهيلي فجعل

رسول الله ﷺ أموال مخيريق - وكانت سبع حوائط - أوقافاً بالمدينة قال محمد بن كعب القرظي وكانت أول وقف بالمدينة . وقال ابن اسحاق وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول اصيرم بنى عبد الاشهل عمرو بن ثابت ابن وقش قال الحصين فقلت لعمود بن أسد كيف كان شأن الاصيرم ؟ قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل في عرض الناس فقال حتى أثبتته الجراحة قال فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يتمسكون قتلائهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه فقالوا ما جاء بك يا عمرو اأحب على قومك أم رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي وغدت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابني ما أصابني . فلم يلبث أن مات في أيديهم فذكره رسول الله ﷺ فقال « انه من أهل الجنة » . قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن أشياخ من بنى سلمة قالوا كان عمرو بن الجوح رجلاً أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا ان الله قد عذرك فأتى رسول الله ﷺ وقال ان بنى تريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله اني لأرجو أن أظا بعرجتي هذه الجنة فقال رسول الله ﷺ « اما أنت فقد عذرك الله فلا جواد عليك » وقال لبيذه « ما عليكم أن لاتمعهوه لعل الله أن يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل يوم أحد رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : ووقعت هند بنت عتبة - كذا حدثني صالح بن كيسان - والنسوة اللاتي معها يثنان باقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدهن الآذان ولا نوف حتى اتخذت هند من آذان الرجل وأنوفهم خدماً وقلائد وأعطت خدماً وقلائد وقرطها وحشياً . وبقرت عن كبدة حمزة فلا كتبها فلم تستطع أن تسفها فلمنظتها . وذكر موسى ابن عقبة ان الذي بقر عن كبدة حمزة وحشياً فحملها الى هند فلا كتبها فلم تستطع أن تسفها فلاله أعلم . قال ابن اسحاق ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سر

ما كان لي عن عتبة من صبر ولا أخى وعمه وبكر

شفيت نفسي وقضيت فندرى شفيت وحشى غليل صبرى

فشكر وحشى على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

قال فأجابتها هند بنت أمية بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر يا بذت وقاع عظيم الكفر
صباحك الله غداة الفجر من الماشمين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليلى وعلى صقرى
اذ رام شيب وأبوك غدري نفضت منه ضواحي النحر
وندر في السوء فشر نذر

قال ابن اسحاق وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد الاحابيش - مربأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول :
ذق عقق . فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قریش يصنع بآبن عمه ما ترون لحماً . فقال : ويحك
اكتسبها عني فانها كانت زلة . قال ابن اسحاق : ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف
أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت ، ان الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، أعل هبل
(أى ظور دينك) . فقال رسول الله ﷺ لعمر « قم يا عمر فأجبه قتل : الله أعلى وأجل ، لا سوء ،
قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار » فقال له أبو سفيان : هلم الى يا عمر . فقال رسول الله ﷺ
لعمر : ائنه فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر :
الاهم لا والله ليسمع كلامك الآن . قال أنت عندى أصدق من ابن قنمة وأبر . قال ابن اسحاق :
ثم نادى أبو سفيان : انه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وما سخطت ، وما نهيت ولا
أمرت . قال : ولما أنصرف أبو سفيان نادى : انت موعدهم بدر العام المقبل . فقال رسول الله
ﷺ لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينك موعد . قال ابن اسحاق ثم بعث رسول الله
ﷺ على بن أبي طالب فقال : أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان كانوا قد
جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون
المدينة . والذي نفسي بيده ان أرادوها لأسيرين اليهم فيها ثم لا ناجزتهم . قال على : فخرجت في
أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجروا الى مكة

ذكر دعاء النبي ﷺ بعد الواقعة يوم أحد

قال الامام احمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن
ابن رفاعة الزرقى عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ
« استموا حتى أتمنى على ربي عز وجل » فصاروا خلفه صفوفاً فقال « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض
لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت

ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك
ورحمتك وفضلك ورزقك . اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول . اللهم انى
أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم انى عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر
ما منعتنا . اللهم حبب اليكنا الايمان وزينه فى قلوبنا ، وكره اليكنا الكفر والفسوق والعصيان
واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحيينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير كزايا ولا
مفتونين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم
رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائى فى اليوم
والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن
رفاعه عن أبيه به

فصل . قال ابن اسحاق وفرغ الناس لقتالهم فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن أبي صعصعة المازنى أخو بنى النجار أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد
ابن الربيع أفى الأحياء هو أم فى الاموات ؟ فقال رجل من الانصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً فى
القتلى وبه رمق ، قال فقال له : ان رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الاموات
فقال : أنا فى الاموات فأبلغ رسول الله ﷺ سلامى وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك
الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول
لكم : انه لا عذر لكم عند الله ان تخلص الى نبيكم وفيكم عين تعارف . قال ثم لم أبرح حتى
مات وجئت النبي ﷺ فأخبرته خبره

قلت : كان الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي
وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه فلما قال ان رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر خبرك أجابه بصوت ضعيف
وذكره . وقال الشيخ أبو عمر فى الاستيعاب كان الرجل الذى التمس سعداً أبى كعب فأنه أعلم .
وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضى الله عنه وهو الذى آخى رسول الله ﷺ بينه وبين
عبد الرحمن بن عوف . قال ابن اسحاق : وخرج رسول الله ﷺ فيما بلغنى يلتمس حمزة بن
عبد المطلب فوجده بطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجذع أنفه وأذناه ، فحدثني محمد
ابن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية وتكون
سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطن السباع وحوامل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى
موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغیظه على

من فعل بعنه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب . قال ابن اسحاق فحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن محمد بن كعب ، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس أن الله أنزل في ذلك ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَإِنَّ صَبْرَ تَمَّ لَوْ خَيْرَ الصَّابِرِينَ ﴾ الآية . قال : فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة . قلت : هذه الآية مكية وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتئم هذا فالله أعلم . قال وحدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة قال : ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة . وقال ابن هشام : ولما وقف النبي ﷺ على حمزة قال « لن أصاب بمثلك أبداً » ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ الى من هذا » ثم قال « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسدرسوله » قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الاسد أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة أَرْضَعْتَهُمْ ثَلَاثَتَهُمْ ثَوْبِيَّةَ مَوْلَاةِ أَبِي لُبَّ

ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد

وقال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : « أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجى بهردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » وهذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلي : ولم يقل به أحد من علماء الامصار . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرأ أن ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله ﷻ ﴿ مَنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ فلما خلف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله ﷺ في تسعة - سبعة من الانصار واثنين من قريش وهو عاشرهم - فلما رهقوه قال : رحم الله رجلا ردهم عنا ... فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا ، فجاء أبو سفيان فقال : أعل هبل ! فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله أعل وأجل ، فقالوا الله أعل وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، يوم لنا ويوم علينا ، ويوم نساء ويوم نسر ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله ﷺ : لا سواء ، أما قتلنا فأحياء يرزقون وقتلناكم في النار يعذبون . قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مثلة وإن كانت لعن غير ملا منا ، ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ،

ولا ساءنى ولا سرفى ، قال فنظروا فاذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلا كتبها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله ﷺ : أأكلت شيئا ؟ قالوا لا ، قال ما كان الله لي يدخل شيئا من حمزة فى النار ، قال فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه وجىء برجل من الانصار فوضع الى جنبه فصلى عليه فرفع الانصارى وترك حمزة وجىء بآخر فوضعه الى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة « تفرد به أحمد وهذا اسناد فيه ضعف أيضا من جهة عطاء بن السائب قاله أعلم . والذي رواه البخارى أثبت حيث قال : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذنا لقرآن ؟ إذا أشير له الى أحدهما قدمه فى اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به وقال أحمد حدثنا محمد بن يعنى ابن جعفر حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهرى عن ابن جابر عن جابر ابن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال فى قتلى أحد : فان كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة ولم يصل عليهم وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته يسير كما قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا زكريا بن عدى أخبرنا المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : انى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وانى موعدم الخوض وانى لأنظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا رلكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكان آخر نظرة نظرتها الى رسول الله ﷺ . ورواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث يزيد بن أبى حبيب به نحوه . وقال الأمامى حدثنى أبى حدثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبى ثابت قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر فخرج رسول الله ﷺ الى أحد نستطلع الخبر حتى اذا طلع الفجر اذا رجل محتجر يشتم ويقول :

لبت قليلا يشهد الهيجا حمل

قال : فنظرنا فاذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك فاذا بعير قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين قالت فدنونا منها فاذا هى امرأة عمرو بن الجوح فقلنا لها ما الخبر قالت دفع الله عن رسول الله ﷺ واتخذ من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى . وقال ابن اسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وكان

أخاها لأبيها وأما فقال رسول الله ﷺ لا ينها الزبير بن العوام : القها فارجعها لا ترى ما بأخيها فقال لها : يا أمه ان رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي . قالت ولم وقد بلغني انه مثل بأخي وذلك في الله فمأرضانا ما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله . فلما جاء الزبير الى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك قال خل سبيلها ، فأتته فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت . قال ابن اسحاق : ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن ودفن معه ابن اخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثل به غير انه لم ينقر عن كبده رضى الله عنهما . قال السهيلي : وكان يقال له المجدع في الله قال وذكر سعد انه هو وعبد الله بن جحش دعيًا بدعوة فاستجيب لهما فدعا سعد أن يلتقى فارسًا من المشركين فيقتله ويستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه فارس فيقتله ويجمع أنفه في الله فكان ذلك . وذكر الزبير بن بكار ان سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونًا فصار في يد عبد الله بن جحش سيفًا يقاتل به ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار وهذا كما تقدم لمكاشة في يوم بدر . وقد تقدم في صحيح البخاري أيضًا ان رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد بل في السكفن الواحد وانما أُرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد ويقدم في اللحد أكثرهما أخذًا للقرآن وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والدجابر وبين عمرو بن الجوح لانها كانوا متصاحبين ولم يفسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم كما روى ابن اسحاق عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن رسول الله ﷺ لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : أنا شهيد على هؤلاء انه مامن جريح يجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك . قال وحدثني عمي موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ مامن جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك وهذا الحديث ثابت في الصحيحين بن غير هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أمر رسول الله ﷺ يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود وقال ادفنوهم بدمائهم وثيابهم . رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به . وقال الامام أبو داود في سننه : حدثنا القعنبي أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر أنه قال : جاءت الانصار الى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا قد أصابنا قرح وجهه فكيف تأمر فقال : احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد . قيل : يا رسول الله فأيهم يقدم ؟ قال : أ أكثرهم قرأنا . ثم رواه من حديث الثوري عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فذكره وزاد واعمقوا . قال ابن اسحاق : وقد

احتل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينة فدفنوا بها ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : ادفنواهم حيث صرعو . وقد قال الامام احمد حدثنا علي بن اسحاق حدثنا عبد الله وعتاب حدثنا عبد الله حدثنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المديني حدثني أبي سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحد فارسني اخواتي اليه بناضح لمن فقان : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة . فقال فجئته وأعوان لي فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد فدعاني فقال : والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع اخوته فدفن مع أصحابه بأحد . تفرد به احمد . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الاسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله أن قتلى أحد حملوا من مكانهم فنادى منادى النبي ﷺ أن ردوا القتلى الى مضاجعهم . وقد رواه أبو داود والنسائي من حديث الثوري والترمذي من حديث شعبة والنسائي أيضا وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينه كاهم عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة الى المشركين يقاتلهم وقال لي أبي عبد الله يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم الى ما صير أمرنا فاني والله لولا أني أترك بنات لي بعدى لاحببت أن تقتل بين يدي . قال : فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عتي بابي وخلى عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا إذ لحق رجل ينادى : ألا ان النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت فرجعنا بهما فدفنهما حيث قتلا فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال يا جابر بن عبد الله والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه . فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتل ، ثم ساق الامام قصة وفاته دين أبيه كاهو ثابت في الصحيحين . وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية الدين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم اليهم فأتيناهم فأخرجناهم فأصاب المسحاة قدم حمزة فانبعث دما . وفي رواية ابن اسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس . وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجري الدين نادى مناديه من كان له قتيل بأحد فليشهد ، قال جابر فحفرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجوح ويده على جرحه فازيلت عنه فانبعث جرحه دما ، ويقال انه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا . وقد قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال : لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ وأنا لا أترك بعدى أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ وأن علي ديناً فاقض

واستوص باخواتك خيرا ، فأصبحنا وكان أول قتيل فدفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيثة غير أذنه . وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن الثوب ويبكى فنهاه الناس فقال رسول الله ﷺ أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه . وفي رواية أن عمته هي الباكية . وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق حدثنا فيض بن وثيق البصرى حدثنا أبو عباد الانصارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لجابر « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال بلى بشرك الله بناخير ، فقال : أشعرت أن الله أحيا أباك فقال تمنى على عبدى ما شئت أعطكه . قال يارب عبدك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى الى الدنيا فأقتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى ، قال : إنه سلف منى أنه اليها لا يرجع » . وقال البيهقي حدثنا أبو الحسن محمد ابن أبى المعروف الاسفراينى حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا على بن المدينى حدثنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصارى قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الانصارى ثم السلمى قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلى رسول الله ﷺ فقال « مالى أراك مهتما ؟ قال : قلت يارسول الله قتل أبى وترك ديننا وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحا وقال له يا عبدى سلمى أعطك . فقال : أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول : أنهم اليها لا يرجعون . قال يارب : فأبلغ من ورأى . فأنزل الله ﷻ ولا تحسن الذين قتلوا فى سبيل الله أموالا بل أحياء عند ربهم يرزقون الآية . وقال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت جابرا يقول : قال رسول الله ﷺ « ألا أبشرك يا جابر ؟ قلت بلى ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال له : ما تحب يا عبد الله ما تحب أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك فأقتل مرة أخرى » وقد رواه أحمد عن على بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن محمد بن على بن ربيعة السلمى عن ابن عقيل عن جابر ، وزاد : فقال الله ﷻ إني قضيت أنهم اليها لا يرجعون . وقال أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن عبد الله عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا ذكر أصحاب أحد « أما والله لو ددت أنى غودرت مع أصحابه بمحض الجبل » يعنى سفح الجبل ، تفرد به أحمد . وقد روى البيهقي من حديث عبد الاعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير عن أبى هريرة

أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه فدعا له ثم قرأ ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ الآية قال «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه» وهذا حديث غريب، وروى عن عبيد بن عمير مرسلًا. وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء فإذا أتى فرضة الشعب قال «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعل ما كان عمر بعد أبي بكر يفعل وكان عثمان بعد عمر يفعل. قال الواقدي: كان النبي ﷺ يزورهم كل حول فإذا بلغ نقرة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيتهم فبكي عندهم وتدعو لهم، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول: ألا تسلمون على قوم يرّدون عليكم. ثم حكى زيارتهم عن أبي سعيد وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضي الله عنهم. وقال ابن أبي الدنيا حدثني إبراهيم حدثني الحكم بن نافع حدثنا العطف بن خالد حدثني خالتي قالت: ركبت يوماً إلى قبور الشهداء — وكانت لاتزال تأتيتهم — فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلي وما في الوادي داع ولا مجيب إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي «السلام عليكم» قالت فسمعت ردّ السلام على يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة مني. وقال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ «لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهّدوا في الجهاد. فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾. وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرّة عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال «أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، قال فبينما هم كذلك إذ أطلع عليهم ربك اطلاعة، فقال: اسألوني ما شئتم. فقالوا ياربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا،

ففضل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا الى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا

فصل في عدد الشهداء . قال موسى بن عقبة جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والانصار تسعة وأربعون رجلا وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلا فأنه أعلم . وقال قتادة عن أنس قتل من الانصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس انه كان يقول قارب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة . وقال مالك عن يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قتل من الانصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبي عبيد سبعون وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن اسحاق في قتلى أحد ويشهد له قوله تعالى ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ﴾ يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وعن ابن اسحاق قتل من الانصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون أربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان والباقون من الانصار وسرد أسماءهم على قبائلهم وقد استترك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام وسرد ابن اسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا . وعن عروة كان الشهداء يوم أحد أربعة أوقال سبعة وأربعين وقال موسى بن عقبة تسعة وأربعون وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة تسعة عشر وقال ابن اسحاق اثنان وعشرون وقال الربيع عن الشافعى ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزة الجحى وقد كان فى الاسارى يوم بدر فبن عليه رسول الله ﷺ بلا فدية واشترط عليه ألا يقتله فلما أسر يوم أحد قال يا محمد امنن على لبناتى وأعاهد أن لا أقاتلك فقال له رسول الله ﷺ لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً مرتين ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله ﷺ « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »

فصل قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله ﷺ الى المدينة فلقينه حمنة بنت جحش كما ذكرلى فلما لقيت الناس نعى اليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ « ان زوج المرأة منها لمكان » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها . وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا اسحاق بن محمد الفروى حدثنا عبد الله بن عمر عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه عن حمنة بنت جحش انه

قيل لها : قتل أخوك . فقالت : رحمه الله وأنا لله وأنا إليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزنناه . فقال رسول الله ﷺ : « ان للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء » قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن اسماعيل عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نكحها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أروني حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه حتى إذا رأتها قالت : كل مصيبه بعدك جليل . قال ابن هشام : الجليل يكون من القليل والكثير وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لقتل بني أسد ربهم ألاكل شيء خلاه جليل

أي صغير وقليل . قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » وناولها على بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا فاعسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجاجة » وقال موسى بن عقبة في موضع آخر : ولما رأى رسول الله ﷺ سيف علي مخصباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » وروى البيهقي عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هالك السيف حميداً فانها قد شفتني ، فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجاجة وعاصم بن ثابت والحارث ابن الصمة » قال ابن هشام : وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد لاسيف الا ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله ﷺ قال لعلي : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » قال ابن اسحاق : ومر رسول الله ﷺ بدار بني عبد الاشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فدرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال : « لكن حمزة لا بواكي له » فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الاشهل أمرا نساءهن أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ . فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن بعض رجال بني عبد الاشهل قال : لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن برحمن الله فقد آسيتن بأنفسكن » قال : ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن النوح فيها قال ابن هشام ، وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل وقد أسنده الامام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحباب حدثني أسامة بن

زيد حدثني نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ لما رجع من أحد فجعل نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله ﷺ : « ولكن حمزة لا بواكي له » قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فهن اليوم اذا يبكين يندبن حمزة » وهذا على شرط مسلم . وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مرّ بنساء بني عبد الاشهل يبكين هلكاهن يوم أحد فقال رسول الله ﷺ : « لكن حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الانصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : « ويحون ما اقلبن بعد مرورهن فليقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله ﷺ أرفة المدينة اذا النوح والبكاء في الدور قال : « ما هذا » قالوا : هذه نساء الانصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة فشوا الى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتل الانصار حتى تبكين عم النبي ﷺ فانه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا ان الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله ﷺ قال : « ما هذا » فأخبر بما فعلت الانصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ما هذا أردت ، وما أحب البكاء » ونهى عنه . وهكذا ذكر ابن شعبة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير سواء . قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين وظهور غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور الرجل وقالت اليهود : لو كان نبيا ما ظهر واعليه ولا أصيب منه ما أصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين يعني فيمن قتل منهم فقال : « واذا غدت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم » الآيات كلها كما تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة

ذكر خروج النبي ﷺ بأصحابه

على ما بهم من القرح والجراح في أثر أبي سفيان وإرهاقاً له ولأصحابه

حتى بلغ حمراء الاسد وهي على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد وذكره رجوعه عليه السلام الى المدينة : وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً أصببتهم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم

تبتروهم فقد بقي منهم رموس يجمعون لكم ، فأمر رسول الله ﷺ — وبهم أشد القرع — بطلب العدو ليسمعوا بذلك وقال : لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال . فقال عبد الله بن أبي : أنا راكب معك . فقال لا ، فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء فانطلقوا . فقال الله في كتابه : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ قال وأذن رسول الله ﷺ لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على اخواته ، قال وطلب رسول الله ﷺ العدو حتى بلغ حمراء الأسد . وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ابن الزبير سواء . وقال محمد بن اسحاق في مغازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه ألا يخرجن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلما جابر بن عبد الله فأذن له . قال ابن اسحاق : وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو ليلتهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . قال ابن اسحاق رحمه الله : فحدثني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال : شهدت أحداً أنا وأخي لي فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتفتونا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون . قال ابن اسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة . قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله ﷺ بتهماء صفتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشركاً برسول الله ﷺ وهو مقيم بجمراء الأسد فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بجمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن استأصلهم لنسكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال ويالك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترنحل حتى ترى نواصي الخيل . قال فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لنستأصل شأقتهم ، قال فإني أنهارك عن ذلك ، والله لقد

حملني ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر . قال وما قلت ؟ قال قلت :

كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتى إذ سالتِ الأرضُ بالجرَدِ الأبايل
تردى بأسد كرام لا تنالهُ عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوّاً أظن الأرض مائلةً لما سموا برئيس غير مخنول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم إذا تغططتِ البطحاء بالجيل
إني نذير لأهل البسل ضاحيةً لكل ذى أربة منهم ومعتول
من جيش أحمد لا وخش قنابله وليس يوصف ما أنذرتُ بالقليل

قال فتنى ذلك أبو سفيان ومن معه . وصرَّ به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها اليه واحمل لكم اهلكم هذه غداً زبيباً بمكاظ اذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فرأى الركب برسول الله ﷺ وهو يحمرء الأسد فاخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكذا قال الحسن البصرى . وقد قال البخارى حدثنا أحمد بن يونس أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . تفرد بروايته البخارى وقد قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) قالت لعروة : يا ابن أختى كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في أثرهم . فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير . وهكذا رواه البخارى وقد رواه مسلم مختصراً من وجه عن هشام وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدى جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق أبي سعيد عن هشام ابن عروة به ورواه من حديث السدى عن عروة وقال في كل منهما صحيح ولم يخرجاه . كذا قال . وهذا السياق غريب جداً فان المشهور عند أصحاب المغازى ان الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ الى حراء الاسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي الباقي . وقد روى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس قال : ان الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد الذى كان منه فرجع الى مكة وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون في ذى القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان اصاب المسلمين

القرح واشتكوا إلى ذلك إلى رسول الله ﷺ واشتد عليهم الذي أصابهم وإن رسول الله ﷺ فنب الناس لينطلقوا بهم ويأتبعوا ما كانوا متعبين وقال لنا ترحلون الآن فتأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال إن الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال إنى ذاهب وإن لم يتبعنى أحد فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلاً فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله ﷻ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم } وهذا غريب أيضاً وقال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة فقال لهم صفوان بن أمية لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا فرجعوا فقال النبي ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة « والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » قال : وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الملك بن مروان لأمه عائشة بنت معاوية وأبا عزة الجمحي وكان رسول الله ﷺ قد أسره بيد رثم من عليه فقال يا رسول الله أقلنى ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه . قال ابن هشام : وبلغني عن ابن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه » وذكر ابن هشام أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاث فبعث رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقترلاه ففعلا رضى الله عنهما . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان عبد الله بن أبي كحاً حدثني الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر له شرفاً في نفسه وفي قومه وكان فيهم شريفاً إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعززوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنا ما قلت بُجراً أن قت أشدد أمره . فآقيه رجال من الانصار بباب المسجد فمقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قت أشدد أمره فوثب إلى رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنا قلت بُجراً أن قت أشدد أمره . قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . قال : والله ما أبني

أن يستغفر لي . ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله ﴿ واذ غدوت من أهلكت تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ قال الى تمام ستين آية . وتكلم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية . ثم شرع ابن اسحاق في ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان رضي الله عنهم ومن الانصار الى تمام خمسة وستين رجلا واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام ثم سعى ابن اسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على قبائلهم أيضاً . قلت : ولم يؤسر من اشركين سوى أبي عزة الجحفي كما ذكره الشافعي وغيره وقتله رسول الله ﷺ صبراً بين يديه أمر الزبير . ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الافلح - فضرب عنقه

فصل

فيما نقول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الاشمار

وانما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الاسلام ليكون أبلغ في وقعها من الاسماع والافهام وأقطع لشبهة الكفرة الطغام . قال الامام محمد بن اسحاق رحمه الله وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب الخزومي وهو على دين قومه من قريش فقال :

ما بال هم عميد بات يطرقني	بالود من هند اذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هند وتعذلني	والحرب قد شغلت عني مواليتها
مهلا فلا تعذليني ان من خلق	ما قد علمت وما ان لست أخفيها
مساعف لبني كعب بما كفوا	حمل عبء وأثقال أعانيتها
وقد حملت سلاحى فوق مشترف	ساط سبوح اذا يجرى يباريتها
كأنه اذ جرى غير بقدفة	مكدم للاحق بالعمون يحميتها
من آل أعوج يرتاح الندى له	كجذع شعراء مستعل مراقبتها
اعددته ورفاق الحد منتحلاً	ومارنا نخطوب قد ألقاها
هذا وبيضاء مثل النهى محكمة	لظأت على فما تبدو مساوئها
سقنا كنانة من أطراف ذى يمن	عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا	قلنا النخيل فأموها ومن فيها

نحن الفوارس يوم الجز من أحد
هابوا ضرباً وطعنًا صادقاً خذما
نمت رحنا كانا عارض برد
كان هامهم عند الوغى فلق
أو حنظل دعدته الريح في غصن
قد نبذل المال سحاحاً حساب له
وليلة يصطلي بالفرث جازرها
وليلة من جمادى ذات أندية
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة
أوقدت فيها لذي الضراء جامحة
أورثني ذلكم عمرو ووالده
كانوا يبارون أنواء النجوم فما
هابت معد قفلنا نحن نأتيها
مما يرون وقد ضمت قواصمها
وقام هام بني النجار ييكها
من فيض ربد نفته عن أداحيها
بال تعاورة منها سوافيها
ونظعن الخليل شزرا في ماقيها
يختص بالنقري المترين داعيها
جرباً جمادية قد بت أسريها
من القريس ولا تسرى أفاعيها
كالبرق ذاكية الأركان أحيها
من قبله كان بالمشق يغاليها
دنت عن السورة العليا ساعمها

قال ابن اسحاق فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال (قال ابن هشام : وتروى لكعب ابن مالك وغيره . قلت وقول ابن اسحاق أشور وأكثر والله أعلم) :

سقم كنانة جبلاً من سفاهتمكم
أوردتموها حياض الموت ضاحية
جمعتموهم أحايشاً بلا حسب
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت
كم من أسير فككنناه بلا نمن
قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يحيب هبيرة بن أبي وهب الخزومي أيضاً :

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم
محمارى وأعلام كأن قنامها
تظل به البزل العراميس رزحاً
به جيف الحسرى يلوح صليها
به العين والآرام يمشين خلفه
بجالدنا عن ديننا كل نخمة
وكل صموت في الصوان كأنها
من الأرض خرق سيره متننع
من البعد تقع هامد متقطع
ويحلو به غيث السنين فيمرع
كما لاح كثنان التجار الموضع
ويبيض نعام قيضه يتفلع
مندبة فيها القوانس تلمع
إذا لبست نهى من الماء مترع

ولكن يبدرو سائلوا من لقيتم
وانا بأرض الخوف لو كان أهلها
اذا جاء منا راكب كان قوله
فهما يهيم الناس مما يكيدنا
فلو غيرنا كانت جميعا تكيده البرية قد أعطوا يداً وتوزعوا
نجد لا تبقى علينا قبيلة
ولما ابقنوا بالعرض قالت سراتنا
وفينا رسول الله تتبع أمره
تدلى عليه الروح من عند ربه
نشاورة فيما نريد وقصرنا
وقال رسول الله لما بدوا لنا
وكونوا كن يشري الحياة تقرباً
ولكن خذوا أسياكم وتوكلوا
فسرنا اليهم جهرة في رحالم
بلمومة فيها السنور والقنا
فجئنا الى موج من البحر وسطه
ثلاثة آلاف ونحن نصية
نغاورهم تجرى النية بيننا
تهادى قسى النبع فينا وفيهم
ومنجوفة حرمية صاعديه
تصوب بأبدان الرجال وتارة
وخيل تراها بالفضاء كأنها
فلما تلافينا ودارت بنا الرحا
ضربناهم حتى تركنا سراتهم
لأن غدوة حتى استفقنا عشية
وراحوا سراغاً موجهين كأنهم
ورحنا وأخرانا بطاء كأننا
من الناس والأنباء بالغيب تنفع
سوانا لقد أجلوا بليل فاقشعوا
أعدوا لما ينجى ابن حرب ويجمع
فحن له من سائر الناس أوسع
البرية قد أعطوا يداً وتوزعوا
من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا
علام إذا لم تمنع العرض نزرع
إذا قال فينا القول لا تنظلم
ينزل من جو السماء ويرفع
إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع
ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
الى ملك يحيا لديه ويرجع
على الله إن الأمر لله أجمع
ضحياً علينا البيض لا تنخشع
إذا ضربوا أقدامها لا تورع
أحايش منهم حاسر ومقتع
ثلاث مئين إن كثرنا فأربع
نشارعهم حوض المنايا ونشرع
وما هو إلا اليربى المقطع
ينثر عليها السم ساعة تصنع
تمر بأعراض البصار تقعقع
جراد صبا في قرّة يترع
وليس لأمر حه الله مدفع
كأنهم بالقاع خشب مصرع
كأن ذكانا حر نار تلمع
جهام هراقت ماءه الريح مقلع
أسود على لأم يبيشه ظلع

فعلنا ونال القوم منا وربما
 ودارت رحانا واستدارت رحاهم
 ونحن أناس لا نرى القتل سبة
 جلاد على ريب الحوادث لا نرى
 بنو الحرب لانعيا بشيء نقوله
 بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش
 وكنا شهاباً يتقى الناس حره
 نغرت على ابن الزبيري وقد سرى
 فسل عنك في عليا معدي وغيرها
 ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً
 شددنا بحول الله والنصر شدة
 تكبر القنا فيكم كأن فروعها
 عمدنا الى أهل اللواء ومن يطر
 فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا
 قال ابن اسحاق: وقال عبد الله بن الزبيري في يوم أحد وهو يومئذ مشرك بعد:
 يا غراب البين أسمعته فقل
 إن للخير وللشر مدى
 والعطيات خساس بينهم
 كل عيش ونعيم زائل
 أبلغنا حسان غنى آية
 كم ترى بالجر من جمجمة
 وسرايل حسان سرية
 كم قتلنا من كريم سيد
 صادق النجدة قرم باع
 فصل المهراس ما ساكنه
 ليت أشياخي يسدروا شهدوا
 حين حكمت بقباء بركها
 فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع
 وقد جعلوا كل من الشر يشبع
 على كل من يحمي الذمار وينع
 على هالك عيناً لنا الدهر تدمع
 ولا نحن مما جرّت الحرب نجزع
 ولا نحن من أظفارنا تتوجع
 ويفرج عنه من يليه ويسفع
 لكم طلب من آخر الليل متبع
 من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
 ومن خده يوم الكريهة أضرع
 عليكم وأطراف الأُسنة شرع
 عزالي مراد مأوها يتهرع
 بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع
 أبي الله إلا أمره وهو أصنع
 إنما تنطق شيئاً قد فعل
 وكلا ذلك وجه وقبل
 وسواء قبر مثر ومقل
 وبنات الدهر يلعبن بكل
 فقريض الدهر يشفي ذا الغلل
 وأكف قد أنرت ورجل
 عن كافر أهلكوا في المنزل
 ماجد الجدين مة دام بطل
 غير ملتك لدى وقع الاسل
 بين أنحاف وهام كالجلجل
 جزع الخرج من وقع الاسل
 واستحرّ القتل في عبد الاشل

نم خفوا عند ذاكم رقصاً رقص الحفان يعلو في الجبل
 قتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
 لا ألوم النفس الا أتنا لو كررنا لفعلنا المقتل
 بسيف الهند تعلو هامهم عللاً تعلوهم بعد نهل

قال ابن اسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبت بامر الزبرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
 ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحياناً دول
 نضع الاسياف في أكتافكم حيث نهوى عللاً بعد نهل
 نخرج الاصبح من أستاذكم كسلاح النيب يأكلن العصل
 إذ تولون على أعقابكم هرباً في الشعب أشباه الرسل
 إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم الى سفح الجبل
 بخناطيل كأشداق الملا من يلاقوه من الناس يهل
 ضاق عنا الشعب إذ نجزعهم وملأنا الفرط منه والرجل
 برجال لسم أمثالهم أيدوا جبريل نصراً فنزل
 وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل
 وقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحجاح رقل
 وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث المثل
 ورسول الله حقاً شاهداً يوم بدر والتنايل المهمل
 في قريش من جموع جمعوا مثل ما يجمع في الخصب المهمل
 نحن لا أمثالكم ولدت استها نحضر البأس إذا البأس نزل

قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضى الله عنهم :

نشجت وهل لك من منشج وكنت متى تدكر تلجج
 تذكر قوم أتاني لهم أحاديث في الزمن الأعوج
 فقلبك من ذكركم خافق من الشوق والحزن المنضج
 وقتلهم في جنان النعيم كرام المداخل والخروج
 بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بنى الاضوج
 غداة أجابت بأسياها جميعاً بنو الاوس والخزرج

وأشباع أحمد إذ شايعوا على الحق ذى النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكفاة ويمضون فى القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم ملك الى جنة دوحة المولج
وكلهم مات حر البلاء على ملة الله لم يخرج
كحمزة لما وفى صادقا بنى هبة صارم سلجج
فلاقاه عبد بنى نوفل يبربر كالجلج الأذعج
فأوجره حربة كالشهاب تلهب فى اللهب الموهج
ولنمان أوفى بميثاقه وحنظلة الخير لم يحنج
عن الحق حتى غدت روحه الى منزل فاخر الزبرج
أوائك لا من ثوى منكم من النار فى الدرك المرتج

قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد وهى
على روى قصيدة أمية بن أبى الصلت فى قتلى المشركين يوم بدر . قال ابن هشام : ومن أهل العلم
بالشعر من يتكره هذه لحسان والله أعلم :

يامى قويمى فاندبى بسحيرة شجوة النوائح
المعولات الخامشات وجوه حرات صحائح
ينقض أشعاراً لمن هناك بادية المسائح
من بين مشرور ومجزور يذئذع بالبوايح
ولقد أصاب قلبها ببل له جلب قوارح
أصحاب أحد غالم دهر ألم له جوارح
ياحز لا والله لا أنساك ماصر القسائح
ولما ينوب الدهر فى حرب لحرب وهى لاقح
عنا شديداً انطوب إذا ينوب لمن فادح
عنا وكان يعد إذعد الشريفةون الجحاحج
لا طائش رعى ولا ذو علة بالحل أنح
أودى شباب إلى المفاظ والنقيون المراجح
لحم الجلال وفوقه من شحمه شطب شرائح
لبنى لشبان رزئناهم كأنهم المصاحج

كلامات الوقر بالثقل الملحاح الدوايح
وكان سيل دوعها الانصاب تخضب بالذبايح
وكانها أذئاب خيل بالضحى شمس روامح
يبيكين شجوة مسلمات كدحتهن الكوايح
إذ أقصد الحدثان من كننا نرجى إذ نشايح
من كان فارسنا وحامينا اذا بعث المسايح
لنناح أيتام وأضياف وأرملة تلامح
يا فارساً يامدراً ها يا حز قد كنت المصاح
ذ كرتى أسد الرسول وذاك مدرهنا المنافح
يعلو القمام جبرة سبط اليدين أغر واضح
بحر فليس يغب جباراً منه سيب أو منادح
المطمعون اذا المشائى ما يصفقهن ناخح
ليدافعوا عن جارهم ارام ذو الضغن المكاشح
شم بطارقة غطارقة خضارمة مساحج

المشترون الحمد بالاموال ان الحمد رايح
 من كان يرمى بالنواقير من زمان غير صالح
 راحت تبارى وهو في ركب صدورهم رواشح
 يا حمز قد أوحدتني كالعود شذبه الكوافح
 من جندل يلقيه فوقك إذا جاد الضريح ضارح
 فعزأونا أنا نقول وقولنا برح بوارح
 فليأتنا فلتبك عيناه لهلكانا النوافح
 والجامزون بلجهم يوماً إذا ما صاح صائح
 ما ان تزال ركابه يرسمن في غير صحاح
 حتى تثوب له المعالي ليس من فوز السفائح
 أشكو اليك وفوقك التراب المكور والصفايح
 في واسع يحشونه بالتراب سوتته الماسح
 من كان أمسى وهو عما أوقع الحدثان جانح
 القائلين الفاعلين ذوى السباحة والمادح
 من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مائح

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان . قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وأصحابه :

طرقت همومك فارقاد مسهد
 ودعت فؤادك للهوى ضمرية
 فدع التماذي في الغواية سادراً
 ولقد أتى لك أن تنهى طائفاً
 ولقد هددت لفقد حمزة هدة
 ولو أنه فجعت حراء بمثله
 قرم تمكن في ذؤابه هاشم
 والعاقرا الكوم الجلاد اذا غدت
 والتارك القرن الكمي مجدلاً
 وتراه يرفل في الحديد كأنه
 عم النبي محمد وصفيه
 وأتى المنية معلماً في أسرة
 ولقد إخال بذلك هنداً بشرت
 مما صبحنا ! بالعنقل قومها
 ويثير بدر إذ يردُّ وجوههم
 حتى رأيت لدى النبي سراتهم
 فأقام بالعطن المعطن منهم
 وجزعت أن سلخ الشباب الاغيد
 فهوأك غورى وصحوك منجد
 قد كنت في طلب الغواية تفند
 أو تستفيق اذا نهأك المرشد
 ظلت بنات الجوف منها ترعد
 لرأيت راسي صخرها يتبدد
 حيث النبوة والندى والسؤدد
 ربح يكاد الماء منها يجمد
 يوم الكريمة والقنا يتقصده
 ذولبدة شئن البرائن أربد
 ورد الحمام فطاب ذاك المورد
 نصرُوا النبي ومنهم المستشهد
 لتميت داخل غصة لا تبرد
 يوماً تغيب فيه عنها الأسعد
 جبريل تحت لوائنا ومحمد
 قسمين تقتل من نشاء ونطرد
 سبعون عتبة منهم والاسود

وابن المغيرة قد ضربنا ضربة فوق الوريد لها رشاش مزبد
وأمية الجمحي قوم ميله غضب بأيدي المؤمنين مهند
فأتاك فل المشركين كأنهم والخييل تثقنهم نعم شرّد
شنان من هو في جهنم ثاوياً أبداً ومن هو في الجنان مخلد

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن رَوَاحَة يبكي حمزة وأصحابه يوم أحد . قال ابن هشام :
وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك فأنشده أعلم :

وبكت عيني وحق لها بكاهي وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا أحمة ذاكم الرجل القليل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت وأنت الماجد البرّ الوصول
عليك سلام ربك في جنان مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبراً فكلّ فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عنى لوياً فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا وقائنا بها يشقى الغليل
نسيتم ضربنا بقلوب بدر غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جيل صريعاً عليه الطير حائمة تجول
وعتبه وابنه خراً جميعاً وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركنا أمية مجلعباً وفي حيزومه لدن نبيل
وهام بنى ربيعة سائلوها ففى أسافنا منها فول
ألا يا هند فابكي لا تملي فأنتر الواله العبرى الهبول
ألا يا هند لا تبدي شحاتاً بحمزة إن عزكم ذليل

قال ابن اسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب وهي أم
الزبير عمّة النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين :

أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة الى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجى ونرجى
فوالله لأنسك ما هبت الصبا
على أسد الله الذي كان مِدْرَهَا
فياليت شلوى عند ذاك وأعظمي
أقول وقد أعلى النعى عشيرتي
جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن اسحاق : وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكي زوجها والله أعلم والله الحمد والمنة :

يا عين جودي بفيض غير ابس
على كريم من الفتيان لبس
صعب البديهة ميمون نقيبته
حمل ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعى له جزعا
أودى الجواد وأودى المطعم الكلسي
وقلت لما خلت منه مجالسه
لا يبعد الله منا قرب شماس

قال فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

أقننى حياءك في ستر وفي كرم
فأما كان شماس من الناس
لا تقتلى النفس إذ حانت منيته
في طاعة الله يوم الروع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى
فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان حين رجعوا من أحد :

رجعت وفي نفسي بلابل جمة
وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
من أصحاب بدر من قريش وغيرهم
بني هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكنني قد نلت شيئاً ولم يكن
كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وقد أورد ابن اسحاق في هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الاطالة وخوف الملالة
وفيما ذكرنا كفاية والله الحمد . وقد أورد الاموى في مغازيه من الاشعار أكثر مما ذكره ابن
اسحاق كما جرت عادته ولا سيما ههنا فن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابت أنه قال : أنه قال في غزوة
أحد فوالله أعلم :

طاوعوا الشيطان إذ اخزاهم
فاستبان الخزي فيهم والفسل
حين صاحوا صيحة واحدة
مع أبي سفيان قالوا أعل هبل
فأجبنام جميعاً كلنا
ربنا الرحمن أعل وأجل
اثبتوا تستعملوها مرة
من حياض الموت والموت نهل
واعلموا أنا إذا ما فضحت
عن خيال الموت قدر تشتعل

وكان هذه الايات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبيرى والله أعلم
« آخر الكلام على وقعة أحد »

فصل قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا، ومن أشهرها وقعة أحد كانت في النصف من شوال منها، وقد تقدم بسطها والله الحد وفيها في أحد توفي شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عمار أيضاً حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ الملقب بأسد الله وأسود رسوله وكان رضيع النبي ﷺ هو وأبو سلمة بن عبد الأسد أرضعتهما ثوية مولاة أبي لهب كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه، فعلى هذا يكون قد جاوز الحسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم فانه كان من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضى الله عنهم أجمعين

وفيه عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقية وكان عقده عليها في ربيع الأول منها وبنى بها في جمادى الآخرة منها كما تقدم فيها ذكره الواقدي وفيها قال ابن جرير: ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب قال: وفيها علفت بالحسين رضى الله عنهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر

سنة اربع من الهجرة النبوية

في الحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد أبي طلحة الاسدي فانتهى الى ما يقال له قطن. قال الواقدي: حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد البربوعى عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا: شهد أبو سلمة أحداً فخرج جرحاً على عضده فاقام شهراً يداوى فلما كان الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة دعاه رسول الله ﷺ فقال: اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عابها وعقد له لواء وقال: سر حتى تأتى أرض بنى أسد فأغر عليهم، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة فانتهى الى أدنى قطن وهو ماء لبنى أسد وكان هناك طلحة الاسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جما حلفاء من بنى أسد ليقتصدوا حرب النبي ﷺ فجاء رجل منهم الى النبي ﷺ فأخبره بما تمألاوا عليه

فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه . فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعا كثيراً لهم من الابل والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة ممالك وأقبل راجعاً إلى المدينة فأعطى ذلك الرجل الاسدي الذي دلم نصيباً وافرأ من المغنم ، وأخرج صفى النبي ﷺ عبداً وخمس الغنيمة وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة . قال عمر بن عثمان فحدثني عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن ابن سعيد بن يربوع عن عمر بن أبي سلمة قال : كان الذي جرح أبي أوسامة الجشمى فكث شهراً يداويه فبرأ فلما برأ بعثه رسول الله ﷺ في الحرم يعني من سنة أربع إلى قطن فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاولى . قال عمر : واعتدت أُمى حتى خلت أربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليل بقين من شوال فكانت أُمى تقول : ما بأس بالنكاح في شوال والدخول فيه ، قد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبني فيه . قال : وماتت أم سلمة في ذى القعدة سنة تسع وخسين رواه البيهقي . قلت سندك في أواخر هذه السنة في شوالها تزويج النبي ﷺ بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أُمه في النكاح ومذاهب العلماء في ذلك ان شاء الله تعالى وبه الثقة

غزوة الرجيع

قال الواقدي : وكانت في صفر يعني سنة أربع بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليجيزوه قال والرجيع على ثمانية أميال من عسفان . قال البخاري : حدثني ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال : بعث النبي ﷺ سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدقد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق ان نزلتم إلينا ألا تقتل منكم رجلاً فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معها هذا أول الغدر فاني أن يصحبهم فجرؤه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فكث عندهم أسيراً حتى اذا

أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحذ بها فاعارته قالت ففعلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على نخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله . وكانت تقول ما رأيته أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ من ثمره وأنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أن مابى جزع من الموت لذت . فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بديداً . ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى شق كان في الله مصرعى

وذلك في ذات الاله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

قال : ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قریش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فختمه من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول : الذى قتل خبيباً هو أبو سرّوعة قلت واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث في الرضاع وقد قيل ان أبا سرّوعة وعقبة أخوان فالله أعلم

هكذا ساق البخارى في كتاب المغازى من صحيحه قصة الرجيع ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد من طرق عن الزهرى عن عمرو بن أبى سفيان وأسد بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبى سفيان والمشهور عمرو . وفي لفظ للبخارى بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح وساق بنحوه وقد خالفه محمد ابن اسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ولندكر كلام ابن اسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف على أن ابن اسحاق امام في هذا الشأن غير مدافع كما قال الشافعى رحمه الله من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن اسحاق . قال محمد بن اسحاق حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا إسلاماً فابعث معنا نفرأ من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام . فبعث رسول الله ﷺ معهم نفرأ ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبى مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق وهو أمير القوم وخالد بن البكير الليثى حليف بنى عدى وعاصم بن ثابت بن أبى الاقلح أخو بنى عمرو بن عوف وخبيب بن عدى أخو بنى جحجج بنى ابن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة أخو بنى بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليف بنى

ظفر رضى الله عنهم هكذا قال ابن اسحاق أنهم كانوا ستة وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماهم كما قال ابن اسحاق وعند البخارى أنهم كانوا عشرة وعنده ان كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي الاقلمح فأن الله أعلم . قال ابن اسحاق فخرجوا مع القوم حتى اذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة غمروا أيهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوه ، فاخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم إنا والله ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا تقتلكم . فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا تقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وقال عاصم بن ثابت والله أعلم والله الحمد والمنة :

ما علقى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابيل
تزل عن صفحتها المعابيل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حمى الإله نازل بللرء والمرء اليه آيل
ان لم أقاتلكم فامى هابيل

وقال عاصم أيضاً :

أبو سليمان وريش المقعد وضالة مثل الجحيم الموقد
اذا التواحي افترشت لم أرعد ومجنأ من جلد ثور أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال أيضاً :

أبو سليمان ومثلى راما وكان قومي معشرا كراماً
قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحبه . فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعه من سلافة بنت سعد بن سهيل وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد أن قدرت على رأس عاصم لتشر بن في قحفه الحمر فمنعته الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فناخذه ، فبعث الله الوادى فاحتمل عاصم فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعه : يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته . قال ابن اسحاق : وأما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ، فلانوا وورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعهم بها حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة

حتى قتلوه قهره بالظهران . وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدما بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة . قال ابن اسحاق : فابتاع خبيبا حجير بن أبي اهاب التميمي حليف بنى نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل وكان أبو اهاب أخا الحارث بن عامر لأمه ليقتله بأبيه . قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه فبعثه مع دولى له يقال له نسطاس الى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكافك لضرب عنقه وانك في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى بالس في أهلى . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمد قال : ثم قتله نسطاس . قال : وأما خبيب بن عدى فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبي اهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حبس في بيتي فلقد اطلعت عليه يوما وان في يده لقطعا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنبا يؤكل قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح انهما قالوا : قالت قال لى حين حضره القتل ابغى الى بحديدة أنظهر بها للقتل . قالت فأعطيت غلاما من الحى موسى فقلت له أدخل بها على هذا الرجل البيت فقالت فوالله ان هو الا أن ولى الغلام بها اليه فقلت ما ذا صنعت أصاب والله الرجل ثاره يقتل هذا الغلام فيكون رجلا رجلا ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرى ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة الى . ثم خلى سبيله . قال ابن هشام : ويقال ان الغلام ابنها . قال ابن اسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به الى التنعيم ليصلبوه ، وقال لهم : ان رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى انما طوأت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين^(١)

(١) يوجد على الهامش فى هذا المكان مانصه «حاشية بخط المصنف . قال السهيلي : وانما صارت سنة لانها فعلت فى زمن النبي ﷺ واستحسن من صنيعه ، قال وقد صلاها زيد بن حارثة فى حياة النبي ﷺ ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : بلغنى أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء ، فقال به الى خربة فاذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعنى حتى أصلى ركعتين . فقال : صل ركعتين فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا . قال فصليت ثم جاء ليقتلنى فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا صارخ يقول لا تقتله ،

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه . وكان معاوية ابن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني الى الارض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه . وفي مغازي موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد وأن رسول الله ﷺ سمع يوم قتلا وهو يقول وعليكما أو عليك السلام خبيب قتله قريش . وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فزاده إلا ايمانا وتسليما . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيبا على الخشبة نادوه يناشدونه أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن اسحاق في قصة زيد بن الدثنة فوالله أعلم . قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيبا . قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة بن الحارث قال سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيبا لأننا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله . قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري القوم فذكر ذلك لعمر وقيل إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمها عليه فقال : يا سعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غشي علي .

فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئا ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فسمع أيضا الصوت يقول لا تقتله ، فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا أنا بفارس على فرس في يده حربة في رأسها شعلة من نار فطعنه بها حتى أنفذه فوق مينا ، ثم قال : لما دعوت الله في المرة الاولى كنت في السماء السابعة ولما دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ولما دعوته في الثالثة أتيتك . قال السهيلي : وقد صلاها حجر بن عدي ابن الادبر حين حمل الى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه أنه خرج عليه وأراد خلعه ، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله . فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله . قال وقد عاتبت عائشة معاوية في قتله فقال : انما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعيني وحجرا فاني سألقاه على الجادة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال حين غاب مثلك من قومي . اه من الهامش

فزادته عند عمر خيرا . وقد قال الاموى حدثني أبي قال : قال ابن اسحاق وبلغنا أن عمر قال : من سره أن ينظر الى رجل نسيج وحده فلينظر الى سعيد بن عامر . قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انسلخت الاشهر الحرم ثم قتلوه . وقد روى البيهقي من طريق ابراهيم بن اسماعيل حدثني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية أن رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته فوقع الى الارض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فلم أر شيئا فكأنما بلعته الارض فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة . ثم روى ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المناقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لاهم أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ وما بعدها . وأنزل الله في أصحاب السرية ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ . قال ابن اسحاق : وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيب حين اجمعوا على قتله (قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له) :

لقد جمع الاحزاب حولي وألبوا	قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد	على لاني في وثاق بمضجع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم	وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربي ثم كر بتي	وما أروصد الاعداء لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي	فقد بضعوا لحي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذات الإله وان يشأ	يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه	وقد هملت عيناى من غير مجزع
وما بي حذار الموت انى لميت	ولكن حذارى ججم نار ملفع
فوالله ما أرجو اذا مت مسلماً	على أى جنب كان في الله مضجعي
فلست بمبدى العدو تخشعاً	ولا جزعا انى الى الله مرجعي

وقد تقدم في صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلست أبالي حين اقتل مسلماً	على أى شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وان يشأ	يبارك على أوصال شلو ممزع

وقال حسان بن ثابت يرثي خبيباً فيما ذكره ابن اسحاق :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها
سحاً على الصدر مثل الذلوك الفلق
على خبيب فتي الفتيان قد علموا
لا فشل حين تلقاه ولا نزع
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
وجنة المآل عند الخور في الرفق
ما ذا تقولون ان قال النبي لكم
حين الملائكة الابرار في الافق
فيم قتلتم شهيد الله في رجل
طاغ قد أوعث في المداين والرفق

قال ابن هشام : تركنا بعضها لانه أقنع فيها ، وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع
من بني لحيان فيما ذكره ابن اسحاق ، والله أعلم والله الحمد والمنة والتوفيق والمعصمة
ان سرك الغدر صرفاً لا مزاج له
فأت الرجيع فسل عن دار لحيان
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم
فالكب والقرود والانسان مثلان
لو ينطق النيس يوماً قام بخطبهم
وكان ذا شرف فيهم وذا شان
وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلاً وبني لحيان على غدركم بأصحاب الرجيع رضى الله تعالى
عنهم أجمعين :

لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك
أحاديث لحيان صلوأ بقبيحها
أناس هم من قومهم في صميمهم
ولحيان جرّامون شرّ الجرائم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت
بمنزلة الزعمان دبر القوادم
رسول رسول الله غدراً ولم تكن
أمانتهم ذا عفة ومكارم
فسوف يرون النصر يوماً عليهم
هذيل توقى منكرات المحارم
أباييل دبر شمس دون لحيه
لعل هذيلاً أن يروا بمصابه
ونوقع فيها وقعة ذات صولة
بأمر رسول الله ان رسوله
قبيلة ليس الوفاء يهيمهم
إذا الناس حلوا بالفضاء رأيتهم
محلمهم دار البوار ورأيهم
بقتل الذي تميمه دون الحرائم
حمت لحم شهادة عظيم الملاحم
مصارع قتلى أو مقاما لماتم
يواني بها الركبان أهل المواسم
رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم
وان ظلموا لم يدفعوا كف ظالم
بمجرى مسيل الماء بين المحارم
إذا نأبهم أمر كراى البهائم

وقال حسان رضى الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميههم بشعره كما ذكره ابن اسحاق
رحمه الله تعالى :

صلى الإله على الذين تتابعوا يوم الرجيع ظا كرموا واثبوا
 رأس السرية مرنند وأميرهم وابن البكير إمامهم وخبيب
 وابن لطارق وابن دثنة منهم وافته ثم رحامه المكتوب
 والعاصم المقتول عند رجيعهم كسب المعالي انه لكسوب
 منع المقادة أن ينالوا ظهره حتى يجالده انه لنجيب
 قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشري ينكرها لحسان

سرية عمرو بن أمية الضمري على أثر مقتل خبيب

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن
 [الفضل بن الحسن بن] عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف
 (وزاد بعضهم على بعض) قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد
 يقتل محمداً فإنه يمشى في الاسواق فندرك ثارنا . فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له :
 إن أنت وفيتني خرجت اليه حتى أغتاله ، فأتى هاد بالطريق خربت ، معي خنجر مثل خافية النسر .
 قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً وثقه وقال : اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه
 الى محمد . قال قال العربي لا يعلمه أحد . فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصبح ظهر الحى يوم
 سادسهم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه الى بني عبد الاشهل
 فخرج الاعرابي يقود راحلته حتى انتهى الى بني عبد الاشهل فقتل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله
 ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يتحدث في مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه
 ان هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد . فوقف وقال أيكم ابن عبد المطلب ؟
 فقال له رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحنى على رسول الله ﷺ كأنه يساره فحبسه
 أسيد بن حضير وقال : تنح عن رسول الله ﷺ وجذب بداخل ازاره فاذا الخنجر فقال : يا رسول
 الله هذا غادر . فأسقط في يد الاعرابي وقال : دمي دمي يا محمد . وأخذه أسيد بن حضير يلبيه فقال له
 النبي ﷺ اصدقني ما أنت وما أقدمك فان صدقتني نفعتك الصدق وان كذبتني فقد اطلعت على
 ما هممت به . قال العربي فأنا آمن ؟ قال وأنت آمن . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به
 فحبس عند أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خبرك من
 ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله فقال أشهد أن لا إله الا الله وأنتك

أنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت
ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنت على
حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبي ﷺ يتبسم وأقام أياماً ثم استأذن النبي
ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله ﷺ لعمر بن أمية الضمري ولسلمة
ابن أسلم بن حريش أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبنا منه غرة فاقتلاه . قال
عمر وفخرت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج ققيسنا بعيرنا وقال لي صاحبي : يا عمرو هل لك
في أن تأتي مكة فنطوف بالبيت سبعا ونصلي ركعتين فقلت : أنا أعلم بأهل مكة منك انهم اذا أظلموا
رشوا أفئدتهم ثم جلسوا بها و^(١) [أنى أعرف بمكة من الفرس الابلق . فأبى علي فأنطلقنا
فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان ففرقني وقال :
عمرو بن أمية واحزنه . فنذر بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير . وكان عمرو فأتكا في
الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل .
قال عمرو فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل وعى الله عليهم
طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يخترى
لفرسه حشيشاً فقلت لسلمة بن أسلم اذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من
باب الغار حتى أشرف علينا ، قال فخرجت اليه فطمعته طمعة تحت الثدى فخنجرى فسقط وصاح
فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت الى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي لا تتحرك ،
فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك ؟ قال عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان قد علمنا أنه لم يأت
خير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فانه كان بأخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم
فحملوه فكنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [الى التنعيم] فقال صاحبي
يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال هو ذاك مصلوب حوله
الحرس . فقلت أمهلني وتنح عني فان خشيت شيئاً فأنح الى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله
ﷺ فأخبره الخبر ودعني فأتى عالم بالمدينة . ثم استدبرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما
مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثرى فطرحوا الخشب فما أنسى وجيبها
يعنى صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي فاخذت طريق الصفراء فأعياها ورجعوا وكنت لا أدري
مع بقاء نفسي فأنطلق صاحبي الى البعير فركبه وأتى النبي ﷺ فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على
الغليل غليل ضجنان فدخلت في غار معي قوسى واسهمى وخنجرى فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من
بنى الدليل بن بكر أعور طويل يسوق غنماً ومعزى فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت رجل من

بنى بكر فقال وأنا من بنى بكر ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلست بمسلم مادمت حياً ولست أدين دين المسلمين

فقلت فى نفسى والله أنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قت اليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط ثم خرجت حتى هبطت فلما أسهلت فى الطريق إذا رجلان بعثهما قریش يتجسسان الاخبار فقلت استأسرا فأبى أحدهما فرمته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقاً ثم أقبلت به الى النبی ﷺ فلما قدمت المدينة أتى صبيان الانصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون هذا عمرو فاشتد الصبيان الى النبی ﷺ فأخبروه وأتته بالرجل قد ربطت ابهامه بوتر قوسى فلقد رأيت النبی ﷺ وهو يضحك ثم دعا لى بخير . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام رواه البيهقى . وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمة ولا جسداً فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم . وهذه السرية انما استدرکها ابن هشام على ابن اسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدى لها لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية فى هذه السرية جبار بن صخر . فالحمد لله الذى أعلم الله الحمد

سرية بشر معونة

وقد كانت فى صفر منها وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال انها كانت بعد الخندق . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بنى سليم رِعْل وذكوان عند بشر يقال لها بشر معونة فقال القوم والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون فى حاجة للنبي ﷺ فقتلهم فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً فى صلاة الغداة وذاك بدء القنوت وما كنا نقنت . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه . ثم قال البخارى حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان رِعْلاً وذكوان وعصية وبنى لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الانصار كنا نسيمهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببشر معونة قتلهم وغدروا بهم فبلغ النبي ﷺ فقتل شهراً يدعو فى الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنًا ثم ان ذلك رفع « بلغوا عنا قومنا أنَّا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا همام عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة حدثني أنس ابن مالك ان النبي ﷺ بعث حراماً (أخاً لأم سليم) فى سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر ابن الطفيل خير رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال فقال يكون لك أهل السهل ولأهل المدر أو

أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف فطعن عامر في بيت أم فلان فقال غدة كغدة البكر في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بهرسي فأت على ظهر فرسه فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان فقال كونا قريباً حتى آتيهم فان آمنوني كنتم قريباً وإن قتلوني أتيتكم أصحابكم فقال أتؤمنوني حتى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يحدثهم وأومأوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه قال همام أحسبه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان في رأس جبل فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ «إنا لقد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» فدعا النبي ﷺ ثلاثين صباحاً على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله . وقال البخاري : حدثنا حبان حدثنا عبد الله أخبرني معمر حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس أنه سمع أنس بن مالك يقول لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه وقال فزت ورب الكعبة . وروى البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال لما قتل الذين ببئر معونة وأسروهم بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل من هذا وأشار إلى قتيل فقال له عمرو بن أمية هذا عامر بن فهيرة قال لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى أني لا أنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا أخبر عنا أخواننا بما رضىنا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ومنذر بن عمرو وسمى به منذر . هكذا وقع في رواية البخاري مرسل عن عروة وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة فساق من حديث الهجرة وأدرج في آخره ما ذكره البخاري هنا فالحق أعلم . وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت عن أبي الأسود وعن عروة فذكر القصة وشأن عامر ابن فهيرة وأخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء وذكر أن الذي قتله جبار بن سلمى الكلبي قال ولما طعنه بالرمح قال فزت ورب الكعبة ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله فزت قالوا يعني بالجنة فقال صدق والله ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك . وفي مغازي موسى بن عقبة عن عروة أنه قال لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون أن الملائكة وارتته وقال يونس عن ابن إسحاق فأقام رسول الله ﷺ يعني بعد أحد بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والحرم ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله ﷺ بالمدينة

فرض عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال ﷺ انى أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو براء أنا لم جار . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المنعق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بني عدى بن النجار وعروة ابن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر في رجال من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بني عامر وحرّة بنى سليم فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ الى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوا الى مادعاهم وقالوا : لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم - عصية ورعلا وذكوان والقارة - فأجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحلم فلما رأوهم أخذوا أسياهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار فانهم تركوه به رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الانصار من بنى عمرو بن عوف^(١) فلم ينبتهما بمصاب القوم الا الطير تحوم حول العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشيئاً فأقبلوا لينظروا فاذا القوم فى دماهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى؟ فقال أرى ان نلحق رسول الله ﷺ فنخبره بالخبر فقال الانصارى لكى لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو أسيراً فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فيما زعم . قال وخرج عمرو بن أمية حتى اذا كان بالقرقرة من صدر قنّة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا فى ظل هو فيه وكان مع العامريين عهد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا من أنما قالا من بنى عامر فأملهما حتى اذا ناما عدا عليهما وقتلها وهو يرى أن قد أصاب بهما نأراً من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره بالخبر فقال رسول الله ﷺ : « لقد قتلت قتيلين لأدبتهما » ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره ، فقال حسان بن ثابت فى اخفار عامر أبا براء ويمحرض بنى أبى براء على عامر :
بنى أم البنين ألم برُعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد

(١) قال ابن هشام : وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحبيحة بن الجلاح

نهكم عامر بأبي براء ليخفرو وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي فما أحدثت في الحدثان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء وخالك ماجد حكم بن سعد

قال ابن هشام : أم البنين أم أبي براء وهى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن
محصمة . قال فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فظمنه في نخذه فأشواه ووقع عن
فرسه وقال : هذا عمل أبي براء ، إن أمت فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيي
وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى نحو سياق محمد بن اسحاق ، قال موسى وكان أمير القوم
المنذر بن عمرو وقيل مرثد بن أبي مرثد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة - فيما ذكره ابن اسحاق رحمه الله - والله أعلم :

على قتلى معونة فاستهلى بدمع العين سحاً غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا ولاقتهم منايهم بقدر
أصابهم الفناء بعقد قوم نخون عقد حبلمهم بغدر
فيالهي لمنذر إذ تولى وأعنق في منيته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذا كم من أبيض ماجد من سر عمرو

غزوة بنى النضير

وهي التي أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر

في صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بنى النضير . وحكى البخارى عن
الزهرى عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد ، وقد أسنده ابن أبي
حاتم في تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهرى به ، وهكذا روى
حنبلى بن اسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقى عن مطرف بن مازن اليماني عن
معمر عن الزهرى فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين ، قال ثم غزا بنى النضير ثم
غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع . وقال البيهقي : وقد كان
الزهرى يقول هي قبل أحد ، قال وذهب آخرون الى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً . قلت :
هكذا ذكر ابن اسحاق كما تقدم فانه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك
الرجلين من بنى عامر ولم يشعر بهما الذى معها من رسول الله ﷺ ولهذا قال له رسول الله

ﷺ « لقد قتل رجلين لأديتهما ». قال ابن اسحاق ثم خرج رسول الله ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية للعهد الذي كان ﷺ أعطاهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف فلما أتاهم ﷺ قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجبوا الرجل على مثل حاله هذه (ورسول الله ﷺ الى الجنب جدار من بيوتهم قاعد) فن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه . فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كهب فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً الى المدينة فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، قال الواقدي فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جوارره وبلده فبعث اليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعيدونهم النصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم وحى حيي بن أخطب وبعثوا الى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون وناشدوه بنقض العهود فمئذ ذلك أمر الناس بالخروج اليهم ، قال الواقدي فحاصروهم خمس عشرة ليلة . وقال ابن اسحاق : وأمر النبي ﷺ بالتهيو لحربهم والمسير اليهم . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الاول . قال ابن اسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر حينئذ ، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ففادوه أن يأمحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها ، قال وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديمة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا الى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلحكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم . فتر بصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله ﷺ أن يجلبهم ويكف عن دماهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة وقال العوفي عن ابن عباس أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه وسقارواه البيهقي وروى من طريق يعقوب بن محمد عن الزهري عن ابراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة ان رسول الله ﷺ بعثه الى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال . وروى البيهقي وغيره انه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله ﷺ ضعوا وتمجلوا . وفي صحته نظر والله أعلم . قال ابن اسحاق فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فيخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان من أشرف

من ذهب منهم الى خير سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحبي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها . فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء ونغر ماروي مثله لحي من الناس في زمانهم . قال وخلوا الاموال لرسول الله ﷺ يعني النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث شاء فقسها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وأبا دجاجة ذكرا فقرا فأعطاهما (وأضاف بعضهم اليها الحارث بن الصمة حكاة السهيل) . قال ابن اسحاق ولم يُسلم من بني النضير الا رجلان وهما يامين بن عير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما . قال ابن اسحاق وقد حدثني بعض آل يامين ان رسول الله ﷺ قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شائي ؟ فجعل يامين لرجل جملا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله . قال ابن اسحاق فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكلمها يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم ثم شرع ابن اسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطا في كتابنا التفسير والله الحمد . قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَلْعَنَةٌ مِمَّنْ لَعَنَ اللَّهُ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِنَجْزِي الْفَاسِقِينَ ﴾ . سُبْحَ مَبْحَانِهِ وَتَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ الْعُلُويَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ وَأَنَّهُ الْعَزِيزُ وَهُوَ مُنِيعُ الْجُنَابِ فَلَا تَرَامُ عِظْمَتَهُ وَكِبَرُ يَأْوُهُ وَأَنَّهُ الْحَكِيمُ فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَجَمِيعِ مَا قَدَّرَ وَشَرَعَ ، فَمِنْ ذَلِكَ تَقْدِيرُهُ وَتَدْبِيرُهُ وَتَيْسِيرُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ظَفَرِهِمْ بِأَعْدَائِهِمُ الْيَهُودَ الَّذِينَ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَانَبُوا رَسُولَهُ وَشَرَعَهُ وَمَا كَانَ مِنَ السَّبَبِ الْمَفْضِي لِقِتَالِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ حَتَّى حَاصَرَهُمُ الْمُؤَيَّدُ بِالرُّعْبِ وَالرَّهْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَمَعَ هَذَا فَاسْرَمَ بِالْحَاصِرَةِ بِجُنُودِهِ وَنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ سِتَّ لَيَالٍ فَذَهَبَ بِهِمُ الرُّعْبُ كُلُّ مَذْهَبٍ حَتَّى صَالَعُوا وَصَالَحُوا عَلَى حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَأَنْ يَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ رِكَابُهُمْ عَلَى أَنْهُمْ لَا يَصْحَبُونَ شَيْئًا مِنَ السَّلَاحِ أَهَانَةٍ لَهُمْ وَاحْتِقَارًا فَعَمَلُوا يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَصِبْهُمْ الْجَلَاءُ وَهُوَ التَّيْسِيرُ وَالنَّقْيُ مِنْ جَوَارِ الرُّسُولِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِأَصَابِهِمْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ وَهُوَ الْقَتْلُ مَعَ مَا ادْخَرَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْآلِيمِ الْمَقْدَرُ لَهُمْ . ثُمَّ ذَكَرَ

تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلمهم وترك ما بقى لهم وان ذلك كله سائنغ قتال ما قطعتم من لبنه وهو جيد التمر أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ان الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدرأ فلا حرج عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد انما هو اظهار للقوة واخزاء للكفرة الفجرة . وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وقطع وهي البويرة فانزل الله ﴿ ما قطعتم من لبنه أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ولنجزى الفاسقين ﴾ . وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنع وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينما منها بستر وتعلم أى أرضينا نصير

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الاشرف فانه أعلم

لقد خزيت بغدرتها الجبور^(١) كذا الدهر ذو صرف يدور

وذلك انهم كفروا برب عظيم أمره أمر كبير

وقد أوتوا مآً فهماً وعلماً وجاءهم من الله النذير

نذير صادق أدى كتاباً وآيات مبينة تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأنت بمنكر منا جدير

فقال بلى لقد أديت حقاً يصدقني به الفهم الخبير

فمن يتبعه يهد لكل رشد ومن يكفر به يخز الكفور

فلما أشربوا غدراً وكفراً وجد بهم عن الحق النفور

أرى الله النبي برأى صدق وكان الله يحكم لا يجوز

فأيده وسلطه عليهم وكان نصيره نعم النصير

فقودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النصير

على الكافرين ثم وقد علته بأيدينا مشرة ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلاً الى كعب أخا كعب يسير

فما كره فانزله بمكر ومحمود أخو ثقة جسور

(١) الجبور جمع جبر ، وهم علماء اليهود . من ههنا مش الاصل

فتلك بنو النضير بدار سوء أبارهم بما اجترموا المبير
غداة أتاها في الزحف رهوا رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة مؤازروه على الاعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكم فصدوا وخالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غيب أمرهم وبالا لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع وغودر منهم نخل ودور
وقد ذكر ابن اسحاق جوابها لسالم اليهودي، فتركناها قصداً. قال ابن اسحاق: وكان مما قيل

في بني النضير قول ابن لقيم العبسي، ويقال قالها قيس بن مجرى طريف الاشجعي:

أهلى فداء لأمري غير هالك أحل اليهود بالحسي المزم
يقيلون في خمر العضاء وبدلوا أهيبض عوداً بالودي المكم
فان يك ظني صادقاً بمحمد نروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة انهم عدو وماحي صديق كعجرم
عليهن أبطال مساعير في الوغى يهزون أطراف الوشيج المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهند توورثن من أزمان عاد وجرم
فن مبلغ عني قریشاً رسالة فهل بعدهم في الجحد من متكرم
بأن أخاهم فاعلمن محمداً تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم وتسمو من الدنيا الى كل معظم
نبي تلافته من الله رحمة ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان في بدر لعمري عبرة لكم يا قریش والقلب الملم
غداة آتى في الخزرجية عامداً اليكم مطيعاً للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكي عدوه رسولا من الرحمن حقا بعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه فلما أنار الحق لم يتلثم
أرى أمره يزاد في كل موطن علواً لامر حمة الله محكم

قال ابن اسحاق وقال علي بن أبي طالب، وقال ابن هشام قالها رجل من المسلمين ولم أر أحداً يعرفها لعل:

عرفت ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقا ولم أصدق

عن الكلم المحكم اللاء من لدى الله ذى الرأفة الأراف
رسائل تدرس في المؤمنين بهن اصطفى أحده المصطفى
فأصبح أحد فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقف
فيا أيها الموعدوه سفاهاً ولم يأت جوراً ولم يصف
ألسن تخافون أدنى العذاب وما آمن الله كالأخوف
وان تصرعوا تحت أسبانه كصرع كعب أبي الأشرف
غداة رأى الله طغيانه وأعرض كالجلل الأجنف
فأزل جبريل في قتله بوحي الى عبده ملطف
فدس الرسول رسولا له بأبيض ذى هبة مرهف
فباتت عيون له مغولات متى نزع كعبها تنرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً فإنا من النوح لم نشف
نخلامُ نم قال اظعنوا دحوراً على زغم الآف
وأجلى النصير الى غربة وكانوا بدار ذوى زخرف
الى أذرعات ردافاً وهم على كل ذى دبر أعجف
وتركنا جوابها أيضاً من بهمال البهوى قصداً

ثم ذكر تعالى حكم النفي وأنه حكم بأموال بنى النصير لرسول الله ﷺ وملكها له فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى كما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بنى النصير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصة فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقى في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل . ثم بين تعالى حكم النفي وأنه للمهاجرين والانصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم وطريقتهم ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب . قال الامام احمد حارثاً عارم وعفان قالاً حدثنا معتمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن نبي الله ﷺ أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال: فجعل يرد بعد ذلك . قال: وان أهلى أمروني أن آتى نبي الله ﷺ فأسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله ﷺ أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله . قال: فسألت النبي ﷺ فأعطانيهن لجماء أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول: كلا والله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكن وقد أعطانيهن أو كما قالت . فقال النبي ﷺ لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال

ويقول لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا حتى أعطها حسبته أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال أخرجه بنحوه من طرق عن معتمر به . ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا الى بنى النضير في الباطن كما تقدم ووعدهم النصر فلم يكن من ذلك شيء بل خذلهم أحوج ما كانوا اليهم وغروهم من أنفسهم فقال ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴿ ثم ذمهم تعالى على جنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشیطان حين قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنها في النار خالدین فیها وذلك جزاء الظالمين

قصة عمرو بن سعدى القرظي

حين مر على ديار بنى النضير وقد صارت يباباً ليس بها داع ولا مجيب وقد كانت بنو النضير أشرف منى بنى قريظة حتى حدها ذلك على الاسلام وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة . قال الواقدي حدثنا إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو ابن سعدى فأطاف بمنزلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع الى بنى قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أباسعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية . قال رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل اخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل . ولا والتوراة ماسلط هذا على قوم قط الله بهم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بابن الاشرف ذى عزم ثم بيته في بيته آمننا وأوقع بابن سنيانة سيدهم وأوقع بيني قينقاع فأجلامهم وهم أهل جد يهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سبام وكلم فيهم فتركهم على أن أجلامهم من يثرب . يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً والله انكم لتعلمون انه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيثبان أبو عمير وابن حراش وهما أعلم يهود جاءانا يتوكلان قبومه وأمرانا باتبائه جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحر تناهنه ، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسبأ والجلأ . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا التوراة التي نزلت على موسى ليس في المثاني الذي أحدثنا ، قال فقال له كمب بن أسد : ما يمنعك

يا أبا عبد الرحمن من اتبعاه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب فلم والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ، قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبيتنا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما قالوا في ذلك الى أن قال عمرو ما عندي في أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسي أن أصير قابلاً . رواه البيهقي

غزوة بني لحيان

التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان

ذكرها البيهقي في الدلائل ، وإنما ذكرها ابن اسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه في إجماعى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأدمي حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرة ، فسلط طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤس الجبال ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنا هبطنا عسفان لرأت قريش أننا قد جئنا مكة » فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بمث فارسين حتى جاء كراع النسيم ثم انصرفا ، فذكر أبو عياش الزرقى أن رسول الله ﷺ صلى بعسفان صلاة الخوف . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن إجماع عن ابن عياش قال : كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم . ثم قالوا تأتى الآن عليهم صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال فتزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر (وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة) قال فحضرت فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح فصففتنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعاً ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء الى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء قال ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف . قال فصلها رسول الله ﷺ مرتين مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بني سليم . ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه . وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائي عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن

محمد بن المثنى وبنار عن غندر عن شعبة ثلاثهم عن منصور به . وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج به واحد منهما لكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جبهة فقاتلوا قتالا شديداً فلما أن صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلاً لا تقطعناهم فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وذكر لنا رسول الله ﷺ قال : « وقالوا إنه ستأتيهم صلاة هي أحب اليهم من الاولاد » فذكر الحديث كنحو ما تقدم وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا هشام عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل فهم به المشركون ثم قالوا دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب اليهم من أبنائهم ، قال فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره فصلى بأصحابه صلاة العصر فصلهم صفتين بين أيديهم رسول الله والعدو بين يدي رسول الله ﷺ فكبر وكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرين قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرين قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ، وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير عن جابر وقال الامام أحمد حريش عبد الصمد حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي حدثنا عبد الله بن شقيق حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون إن هؤلاء صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر فأجمعوا أمرهم فبلا عليهم ميلاً واحدة . وإن جبريل أتى رسول الله ﷺ وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصل في بعضهم ويقدم الطائفة الاخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم تأتي الاخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ولرسول الله ركعتان . ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصمد به وقال الترمذي حسن صحيح . قلت إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خير وإلا فهو من مراسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم . ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة . بقي الشأن في أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فإن من العلماء منهم الشافعي من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فانهم أوتوا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إن غزوة بني الحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بني قريظة . وقد ذكر الواقدي بأسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقينته بعسفان فوفقت بأرائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أماناً فهمنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا فأطلع الله على

ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . قلت : وعمره الحديبية كانت في ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتى . وفي سياق حديث أبي عيشة الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فاقضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاحها والله أعلم . وسند ذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

غزوة ذات الرقاع

قال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر . قال ابن هشام : ويقال عثمان بن عفان ، قال ابن اسحاق فسار حتى نزل نخلاً وهي غزوة ذات الرقاع . قال ابن هشام لانهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدي يجبل فيه بقع حمر وسود وبيض . وفي حديث أبي موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر . قال ابن اسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ، وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ههنا عن عبد الوارث بن سعيد التنورى عن يونس بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر . وقد ذهب البخارى الى أن ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بأن أبا موسى الأشعرى شهدها كما سيأتى وقدمه انما كان ليالى خيبر سمجة جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال صليت مع رسول الله ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف ، ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر انما أجازاه رسول الله ﷺ في القتال أول ما أجازاه يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر صلاة الخوف ، وقول الواقدي انه عليه السلام خرج الى ذات الرقاع في أربعمائة ويقال سبعمائة من اصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر ، ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف انما شرعت بعد الخندق لان الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل في شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا

قصة غورث بن الحارث

قال ابن اسحاق في هذه الغزوة : **حدثني** عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى وكيف تقتله ؟ قال : أفنك به . قال : فأقبل الى رسول الله ﷺ وهو جالس ، وسيف رسول الله ﷺ في حجره . فقال يا محمد ، أنظر الى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، فأخذه ثم جعل يهزه ويهمهم ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، ما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف . قال : لا ، يمنعني الله منك . ثم عمد الى سيف النبي ﷺ فرده عليه فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . قال ابن اسحاق : **وحدثني** يزيد بن رومان أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخى بني النضير ومأهم به . هكنا ذكر ابن اسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدرى رأس الفرقة الضالة وهو وإن كان لا يهتم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه اليها ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه والله الحمد . فقد أورد الحافظ البيهقي ها هنا طرقاً لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة عن جابر أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القافلة في واد كثير العضاء ففرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه . قال جابر : فمنا نومة فاذا رسول الله ﷺ يدعوننا فأجبناه وإذا عنده اعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ : ان هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فقال من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشام السيف وجلس ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك ، وقد رواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبه عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة ، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاخرطه وقال لرسول الله ﷺ تخافني ؟ قال : لا . قال فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك قال : فهده أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلقه . قال : ونودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان . وقد علقه البخاري بصيغة الجزم عن أبان به . قال البخاري وقال مسدد

عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث . وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غره فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال : لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، نخلي سبيله فأتى أصحابه وقال : جئكم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف وانه صلى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين . وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حنيفة ، وحديث الزهري عن سالم عن أبيه في صلاة الخوف بنجد وموضع ذلك كتاب الاحكام . والله أعلم

قصة الذي أصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن اسحاق **حدثني** عمي صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل فاصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ فافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما نخرج يتبع إثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلا فقال من رجل يكاؤنا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار . فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بقم الشعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا الى قم الشعب قال الانصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل أكفي أوله ، فاضطجع المهاجري فنام وقام الانصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريثة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانترعه ووضع وثبت قائما قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فانترعه فوضعه وثبت قائما قال ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فانترعه فوضعه ثم ركب وسجد ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت قال : فوثب الرجل فلما رآها عرف أنه قد ندرا به فهرب قال : ولما رأى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهبتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمي ركعت فأذنتك وأيم الله لولا أن أضيع نقرأ أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها . هكذا ذكره ابن اسحاق في المغازي وقد رواه أبو داود عن أبي توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن اسحاق به . وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن أبيه حديث صلاة

الخوف بطوله قال وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبي جارية وضيئة وكان زوجها يحبها فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبه ثم ذكر من السياق نحوه ما أورده محمد بن اسحاق . قال الواقدي وكان جابر بن عبد الله يقول بينا أنا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله ﷺ ينظر اليه فأقبل اليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك فقال رسول الله ﷺ أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه فوالله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه

قصة جمل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن اسحاق : حدثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : مالك يا جابر ؟ قلت يا رسول الله أبطأ بي جلي هذا . قال : أنخه ، قال فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك أو أقطع عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواهي ناقته مواهقة . قال : وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال : أتبيعي جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت بل أهبه لك قال : لا ولكن بعنيه ، قال : قلت فسمنيه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال قلت : لا إذا تغبنني يا رسول الله ، قال : فبدرهمين ، قال : قلت لا ، قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الاوقية ، قال فقلت : أقدر رضيت ؟ قال : نعم ، قلت فهو لك ، قال : قد أخذته ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ، قال قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أنثياً أم بكرآ ، قال : قلت بل ثيبآ ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ، قال : قلت يا رسول الله ان أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رموسهن فتقوم عليهن . قال : أصبت ان شاء الله ، أما انا لو جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت فأقننا عليها يومنا ذلك وصحمت بنا فنفضت نمارقها ، قال : فقلت والله يا رسول الله مالنا نمارق ، قال : انها ستكون فاذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً ، قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت وأقننا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا . قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك فسمع وطاعة فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ

فرأى الجمل فقال : ما هذا ، قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال فقال : يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ، قال : ودعاً بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية ، قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعني يوم الحرة . وقد أخرج صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمري عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه . قال السهيلي : في هذا الحديث إشارة الى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكله فقال له تمنّ علىّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ وزادهم على ذلك في قوله ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ والروح للانسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : فلذلك اشترى رسول الله ﷺ من جابر جملة وهو مطيته فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك . قال ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيلي هاهنا إشارة غريبة وتحيل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الاحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتي ومستبعد تعداد ذلك والله أعلم

غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا اليها من أحد كما تقدم . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله ﷺ الى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجباً ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول . قال ابن اسحاق فنزل رسول الله ﷺ بدرأً وأقام عليه نمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فان عامكم هذا عام جيب وانى راجع فارجعوا . فرجع الناس فسماهم أهل مكة

جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق . قال واتى محشى بن عمرو الضمرى وقد كان وادع النبي ﷺ في غزوة ودان على بنى ضمرة فقال : يا محمد أجبث للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضمرة وان شئت رددنا اليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله ﷺ الى المدينة ولم يلق كيدا . قال ابن اسحاق وقد قال عبد الله بن رواحة يعنى فى انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك قال ابن هشام وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك :

وعدنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد لميعاده صدقا وما كان وافيا
فاقسم لو لاقيتنا فلقيتنا لابت ذميا وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أف لدينكم وأمركم السئ الذى كان غاويا
فانى وان عنفتمونى لقاتل فدى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره شهاباً لنا فى ظلمة الليل هاديا

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعوا فلعجات الشام قد حال دونها جلاد كافواه الخاض الاوارك
بايدى رجال هاجروا نحورهم وأنصاره حقاً وايدى الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عاج فقولاً لها ليس الطريق هنالك
أقنا على الرسّ النزوع ثمانيا بارعن جرار عريض المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامى تدرى أصوله مناسم اخفاف المطى الرواتك
فان تلق فى تطوافنا والتماسنا فرات بن حيان يكن رهن هالك
وان تلق قيس بن أمى القيس بعده يزد فى سواد لونه لون حالك
فابلغ أبا سفيان عنى رسالة فانك من غرّ الرجال الصعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أحسن اياي ابن آكلة الفغا وجدك نقتال الخروق كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا ولو وألت منا بشد مدارك
اذا ما اتبعنا من مناخ حسبته مد من أهل الموسم المتعارك
أقت على الرسّ النزوع تريدنا وتتركنا فى النخل عند المدارك

على الزرع تمشى خيلنا وركابنا فما وطئت الصقته بالدكادك
أقنا ثلاثاً بين سلع وفارح بجرد الجياد والمطى الرواتك
حسبتم جلاد القوم عند فنائكم كأخذكم بالعين أرتال آفك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها على نحو قول المعصم التماسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها فوارس من أبناء فهر بن مالك
فانك لافى هجرة إن ذكرتها ولا حرمت دينها أنت فاسك

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لا اختلاف قوافيها ، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعد أبي سفيان وانبعث المناقون في الناس يثبطونهم فسلم الله أوليائه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدر وأخذوا معهم بضائع وقالوا إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق ابن اسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنة ورجوعه وفي مقالة الضمري ، وعرض النبي ﷺ المناسبة فأبى ذلك . قال الواقدي : خرج رسول الله ﷺ إليهم في ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة . وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع ، والصحيح قول ابن اسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان لكن قال في سنة ثلاث وهذا وهم فإن هذه تواعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم . قال الواقدي : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يُعقد فيها ثمانية أيام فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فاقبلوا كما قال الله عز وجل : ﴿ فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾

فصل

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه يعني من رقية بنت رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه . قلت : وفيه توفي أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وأمه برة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ

ﷺ وكان رضيع رسول الله ﷺ ارتضعا من ثوبية مولاة أبي لهب . وكان اسلام أبي سلمة
 وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والارقم بن أبي الارقم قديماً في يوم واحد ، وقد هاجر هو وزوجته
 أم سلمة الى أرض الحبشة ثم عاد الى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة الى المدينة
 وتبعته أم سلمة الى المدينة كما تقدم ، وشهد بدرًا وأحداً ومات من آثار جرح جرّحه بأحد رضى
 الله عنه وأرضاه ، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول
 الله ﷺ بأم سلمة قريباً . قال ابن جرير : وفي ليال خلون من شعبان منها ولد الحسين بن علي
 من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم . قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج
 رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن
 هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية . وقد حكى أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني
 انه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم
 المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم واحسانها اليهم . وأصدقها ثنتي عشرة أوقية ونشا
 ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها . قال أبو عمر بن عبد البر
 عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد
 مناف . قال ابن الأثير في الغاية : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد .
 قال أبو عمر : ولا خلاف انها ماتت في حياة رسول الله ﷺ ، وقيل لم تلبث عنده إلا شهرين
 أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها ، وقال الواقدي في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ
 أم سلمة بنت أبي أمية . قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي اولادها أبي سلمة بن عبد الاسد وقد
 كان شهد أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج في سرية
 فغم منها نهما ومغماً جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث
 بقين من جمادى الاولى من هذه السنة ، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله ﷺ الى نفسها
 بنفسه الكريمة وبعث اليها عمر بن الخطاب في ذلك مرراً فتذكر أنها امرأة غيرة أى شديدة الغيرة
 وانها مصيبة أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون الى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ،
 فقال : أما الصبية فالى الله والى رسوله أى نفقتهم ليس اليك ، وأما الغيرة فادعو الله فيذهبها ،
 فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم فزوج النبي ﷺ تعنى قد رضيت وأذنت . فتوهم
 بعض العلماء انها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلى مثله العقد ، وقد جمعت
 في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك والله الحمد والمنة . وان الذي ولى عقدها عليه
 ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر ولدها وساغ هذا لان أباه ابن عمها فلابن ولاية أمه اذا كان

سبباً لها من غير جهة النبوة بالاجماع . وكذا اذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض النبوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه وهو كتاب النكاح من الاحكام الكبير إن شاء الله

قال الامام أحمد : حدثني يونس حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة ابن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به ، قال : « لا يصيب أحدًا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا فعل به » . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها . ثم رجعت الى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي فغسلت يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف فقعدها عليها فخطبني الى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكني امرأة بي غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال . فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فانما عيالك عيالي ، فقالت : فقد سلمت لرسول الله ﷺ . فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ . وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة عن أبي سلمة به . وقال الترمذي حسن غريب . وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة به .

وقال ابن اسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ - يعني من بدر الموعد - راجعاً الى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع . وقال الواقدي : وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . قلت : فثبت عنه في الصحيح أنه قال تعلمته في خمسة عشر يوماً والله أعلم



سنة خمس من الهجرة النبوية غزوة دومة الجندل في ربيع الاول منها

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل . قال ابن هشام في ربيع الاول ، - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري . قال ابن اسحاق : ثم رجع الى المدينة قبل أن يصل اليها ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن اسحاق . وقد قال محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو الى أداني الشام ، وقيل له ان ذلك مما يفزع قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة . فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكن النهار ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذكور هادي خريت . فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوالم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ففرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمة رجلاً منهم فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الاسلام فاسلم ، ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة . قال الواقدي : وكان خروجه عليه السلام الى دومة الجندل في ربيع الآخر ^(١) سنة خمس . قال : وفيه توفيت أم سعد بن عباد وانبأ مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ، فلما قدم صلى عليها وقدم مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضي أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله

غزوة الخندق وهي غزوة الاحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الاحزاب فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودُ فَاوْصَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ * إذ

(١) في تاريخ ابن جرير عن الواقدي أنه في ربيع الاول

جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا * ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار وكان عهد الله مسئولا * قل إن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا * قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا * قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا * أشجّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سقمكم بالسنة حداد أشجّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يوذبوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا * ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطووها وكان الله على كل شيء قديرا * وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات السكيمات في التفسير والله الحمد والمنة، ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن اسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفا وخلفا وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع . وكذلك قال الامام مالك بن أنس فيما رواه احمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه . قال البيهقي : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة لان مرادهم ان ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس ، ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين الى بدر العام القابل ، فذهب النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع

ورجع أبو سفيان بقرش لجلب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتمين أن الخندق في شوال من سنة خمس والله أعلم . وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحدبستين ولا خلاف أن أحدًا في شوال سنة ثلاث إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها كما حكاه البيهقي . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي وقد صرح بأن بدرًا في الأولى ، وأحدًا في سنة ثنتين ، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع . وهذا مخالف لقول الجمهور فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم . والصحيح قول الجمهور أن أحدًا في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم . فاما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال : عرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني ، فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقي بأنه عرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة . قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز لمثلها الغلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا الفرق بين الصغير والكبير . ثم كتب به إلى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم . وهذا سياق القصة مما ذكره ابن اسحاق وغيره . قال ابن اسحاق : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس . فحدثني يزيد بن رومان عن عروة ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض . قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود منهم إسلام بن أبي الحقيق النضري وحبي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قرش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قرش : يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ ألم تر إلى الذين أتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين

آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجده نصيرا ﴿ الآيات . فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتبعوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعواهم الى حرب النبي ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسر بن ربيعة بن نورة ابن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعهم من قومه من أشجع . فلما جمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة قال ابن هشام : يقال ان الذي أشار به سلمان . قال الطبري والسهيلي : أول من حفر الخندق منو شهر بن أريج بن أفريدون وكان في زمن موسى عليه السلام . قال ابن اسحاق : فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الاجر ، وعمل معه المسلمون ، وتختلف طائفة من المناقطين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من ينسل خفية بغير اذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام . وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴾ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ألا ان الله ما في السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴿

قال ابن اسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى احكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جعيل سمى رسول الله ﷺ عمراً ، فقالوا فيما يقولون :

سماء من بعد جعيل عمراً وكان للبأس يوماً ظهرا

وكانوا اذا قالوا عمراً قال معهم رسول الله ﷺ عمراً ، واذا قالوا ظهراً قال لهم ظهرا . وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً قال : خرج رسول الله ﷺ الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم ان العيش عيش الآخرة ، فأغفر الانصار والمهاجرة » فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن أنس نحوه . وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس بنحوه . وقال البخاري حدثنا أبو ميمون حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : جعل المهاجرون والانصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين يابعوا محمداً على الاسلام ما بقينا أبداً

قال يقول النبي ﷺ مجيباً لهم « اللهم انه لا خير الاخير الاخير الآخرة ، فبارك في الانصار والمهاجرة » قال يؤتون بملء كفى من الشمير فيصنع لهم باهالة نسخة توضع بين يدي القوم والقوم جياح ، وهي بشعة في الخلق ولها ریح منتن . وقال البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والانصار » . ورواه مسلم عن القعني عن عبد العزيز به . وقال البخاري : حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أينا

ورفع بها صوته : أيبنا ، أيبنا . ورواه مسلم من حديث شعبة به . ثم قال البخاري : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلة حدثني ابراهيم بن يوسف حدثني أبي عن أبي اسحاق عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعت يرنجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وان أرادوا فتنة أينا

ثم يمد صوته بآخرها . وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار حدثنا اسماعيل بن الفضل البجلي حدثنا ابراهيم بن يوسف البلخي حدثنا المسيب ابن شريك عن زياد بن أبي زياد عن أبي عثمان عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في

الخنق وقال : بسم الله وبه هدينا ولو عبدنا غيره شقينا

يا حذار رباً وحب ديناً

وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان حدثنا شعبة عن معاوية ابن قرة عن أنس ان رسول الله ﷺ قال وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير الا خير الآخرة ، فأصلح الانصار والمهاجرة » وأخرجه في الصحيحين من حديث غندر عن شعبة قال ابن اسحاق وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . فمن ذلك ان جابر بن عبد الله كان يحدث انه اشتدت عليهم في بعض الخندق كذبة ، فشكوها الى رسول الله ﷺ فدعا بانه من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم اضح الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لانها لت حتى عادت كالكتيب ماترد فأساً ولا مسحاة . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وقد قال البخاري رحمه الله حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عبد الواحد ابن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كذبة شديدة فجأؤا النبي ﷺ فقالوا هذه كذبة عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لانوق ذواقا فأخذ النبي ﷺ المول فضرب فعاد كثنياً أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله ائذن لي الى البيت ، فقلت لامرأتى رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت عندي شعير وعناق ، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والمعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافي قد كادت أن تنضج فقلت طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال كم هو ؟ فذكرت له ، فقال كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي ، فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار . فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والانصار ومن معهم . قالت هل سالك ؟ قلت نعم فقال ادخلوا ولا تضغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويختر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويعرف حتى شبعوا وبقي بقية قال : كل هذا وأهدى ، فان الناس أصابتهم مجاعة . تفرد به البخاري . وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم عن جابر بقصة الكذبة وربط الحجر على بطنه الكريم . ورواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة الكذبة والطعام وطوله أتم من رواية البخاري قال فيه : لما علم النبي ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً قوموا الى جابر فقاموا ، قال فلقبت من

الحياة مالا يعلمه إلا الله وقلت جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق . ودخلت على امرأتى أقول :
افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخنديق أجمعين ، فقالت : هل كان سالك كم طعامك ؟ قلت :
نعم . فقالت الله ورسوله أعلم . قال فكشفت عني غماً شديداً ، قال فدخل رسول الله ﷺ فقال
خدمى ودعيتى من اللحم . وجعل رسول الله ﷺ يترد ويفرف اللحم ويخمر هذا ويخمر هذا فما
زال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملاً ما كانا ، ثم قال رسول الله
ﷺ كلوا واشربوا ولا تسرفوا . وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد
الرحمن بن محمد الحاربي عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر به وأبسط أيضاً ، وقال في
آخره : وأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة أو قال ثلثمائة . وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن
أبي الزبير عن جابر . فذكر القصة بطولها في الطعام فقط وقال وكانوا ثلثمائة . ثم قال البخاري :
حدثني عمرو بن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبي سفيان عن أبي الزبير حدثنا ابن ميناء
سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبي ﷺ خصاً فأنكفأت الى امرأتى فقلت
هل عندك شيء فاني رأيت برسول الله ﷺ خصاً شديداً . فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير
ولنا بهيمة داجن فذبحتها فطحننت ففرغت الى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله
ﷺ فقالت لا تفضحنى برسول الله ﷺ وعن معه ، فحنته فساررتة فقلت يا رسول الله ذبحت بهيمة
لنا وطحننت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتمتع أنت ونفر معك . فصاح رسول الله ﷺ فقال :
يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سوراً فخيلاً بكم ، فقال رسول الله ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا
تخبزن عجينكم حتى أجيء . فحنت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت
بك وبك . فقلت قد فعلت الذي قلت . فأخرجت لنا عجينة فبسق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا
فبسق وبارك ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك واقدحي من برمتك ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم
بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا كما هو . ورواه مسلم
عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم به نحوه . وقد روى محمد بن اسحاق هذا الحديث وفي
سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال حدثني سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع
رسول الله ﷺ في الخندق وكانت عندي شوية غير جد سمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول
الله ﷺ قال وأمرت امرأتى فطحننت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة
فشويناها لرسول الله ﷺ فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق قال وكنا
نعمل فيه نهراً فإذا أمسينا رجعنا الى أهالينا فقلت يا رسول الله اني قد صنعت لك شوية كانت
عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فانا أحب أن تنصرف معي الى منزلي قال وانما أريد
أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده . قال فلما أن قلت ذلك قال نعم ثم أمر صارخاً فصرخ أن

انصرفوا مع رسول الله ﷺ الى بيت جابر بن عبد الله . قال قلت انا لله وانا اليه راجعون . قال
 فاقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه فجلس وأخر جناها اليه قال فبرك وصلى الله تعالى ثم
 أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . والعجب أن الامام
 احمد انما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق
 عنه عن جابر مثله سواء . قال محمد بن اسحاق وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن
 سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعيتني أمي عمرة بنت ربيعة فاعطيتني حفنة من تمر في ثوبي ثم
 قالت أي بنية اذهبي الى أبيك وخالك عبد الله بن ربيعة بغداً معها . قالت فاخذتها وانطلقت بها
 فررت برسول الله ﷺ وأنا ألتصم أبي وخالي فقال تعالى يا بنية ما هذا معك قالت قلت يا رسول
 الله هذا تمر بعثتني به أمي الى أبي لبشير بن سعد وخالي عبد الله بن ربيعة يتغدياً به . فقال هاتيه قالت
 فصبيتني في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق
 الثوب ثم قال لا تسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أنت هلم الى الغداء . فاجتمع أهل الخندق
 عليه فجمعوا يا كلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف
 الثوب . هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .
 قال ابن اسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فنظمت على
 صخرة ورسول الله ﷺ قريب مني فلما رأيته أضرب ورأيت شدة المكان على نزل فأخذ المعول من
 يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحت برقة أخرى قال
 ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع
 تحت المعول وأنت تضرب؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال قلت : نعم . قال : أما الاولى فان الله
 فتح عليّ باب اليمن وأما الثانية فان الله فتح عليّ باب الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح عليّ بها
 المشرق . قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن اسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه ، وذكره
 أبو الاسود عن عروة ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكندي وفي حديثه نظر . لكن
 رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار^(١) كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن
 عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قد ذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خط الخندق
 بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرون والانصار في سلمان فقال رسول الله ﷺ
 سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من
 الانصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى اذا بلغنا الندي ظهرت لنا صخرة بيضاء مروية فكسرت
 حديدنا وشقت عينا ، فذهب سلمان الى رسول الله ﷺ وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها فجاء

(١) وفي نسخة أخرى من ابن كثير (وشداد) . والذي في تاريخ ابن جرير من رواية محمد بن بشار وحده
 عن محمد بن خالد بن عثمة

فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها بركة أضأت ما بين لا بتيها -
 - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر
 المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول
 الله ﷺ وسأله عن ذلك النور ، فقال : لقد أضأ لي من الأولى قصور الخيرة ومدائن كسرى
 كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ومن الثانية أضأت القصور المحر
 من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضأت
 قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا ، واستبشر
 المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا
 الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر
 من يثرب قصور الخيرة ومدائن كسرى وإنما تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن
 تبرزوا فنزل فيهم ﴿ واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا
 غرورا ﴾ وهذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هارون بن ملول حدثنا
 أبو عبد الرحمن حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال لما أمر
 رسول الله ﷺ بالخندق فخذق على المدينة قالوا يا رسول الله أنا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها
 فقام النبي ﷺ وقمنا معه فلما أتاه أخذ المعول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع
 مثلها قط فقال فتحت فارس ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت
 الروم ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال : جاء الله بحمير أعواناً
 وأنصاراً . وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه
 ضعف قاله أعلم . وقال الطبراني أيضاً : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سعيد بن محمد
 الجرمي حدثنا أبو نميلة حدثنا نعيم بن سعيد الغري أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتفر
 رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلما رأى ذلك رسول
 الله ﷺ قال : هل دلتكم على رجل يطعمنا أكلة ؟ قال رجل نعم . قال أما لا فتقدم فدلنا عليه .
 فانطلقوا إلى [بيت] الرجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه فأرسلت امرأته أن جيء فان رسول
 الله ﷺ قد أتانا فجاء الرجل يسعى وقال : بأبي وأمي وله معزة ومعها جديها فوثب إليها فقال النبي
 ﷺ الجدي من ورائها فذبح الجدي وعمدت المرأة إلى طحينة لها فمجننتها وخبزت فادركت
 القدر وتردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فوضع رسول الله ﷺ أصبعه
 فيها وقال بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها
 وبقي ثلثاها فسرحت أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا إلينا بعدكم فذهبوا

فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت وصمت عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله ﷺ : دعوني فأكون أول من ضربها . فقال : بسم الله . ف ضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة . فقال عندها المناقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم ، ثم قال الحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا هودبة حدثنا عوف عن ميمون بن استاذ الزهري حدثني البراء بن عازب الانصاري قال لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فلما رآها أخذ المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله أني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله أني لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله قطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة . وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن استاذ هذا وهو بصري روى عن البراء وعبد الله بن عمرو وعنه حميد الطويل والجريري وعوف الاعرابي قال أبو حاتم عن اسحاق بن منصور عن ابن معين كان ثقة وقال علي بن المديني كان يحكي بن سعيد القطان لا يحدث عنه . وقال النسائي حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبي زرعة السيباني عن أبي سكينه رجل من البحرين عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ثم ضرب الثانية وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلمات الله وهو السميع العليم فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فراها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الباقي وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة قال رسول الله ﷺ يا سلمان رأيت ذلك ؟ قال أي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال فاني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني فقال له من حضره من أصحابه يا رسول الله ادع أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم

ونحرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لى مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذرارهم ونحرب بأيدينا بلادهم فدعا ثم قال ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني . ثم قال رسول الله ﷺ « دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم » هكذا رواه النسائي مطولا وانما روى منه أبو داود دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم عن عيسى بن محمد الرملي عن ضمرة بن ربيعة عن أبي ذرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني به ثم قال ابن اسحاق وحدثني من لآتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك . وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه والله الحمد فقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي . وقد رواد البخاري منفرداً به عن يحيى بن بكير وسعد بن عذير كلاهما عن الليث به وعنده قال أبو هريرة فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فتلت في يدي . وهذا اسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجه . وفي الصحيحين اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزها في سبيل الله . وفي الحديث الصحيح ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمي ما زوى لى منها

فصل

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابه في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي ندى إلى جانب أحد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ف ضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام . قال ابن

هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قلت وهذا معنى قوله تعالى ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾ قال البخاري :
 حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ؓ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار ؓ قالت ذلك يوم الخندق . قال موسى بن عقبة ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم . قال ابن اسحاق وخرج حي بن اخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حي فاستأذن عليه فإني أن يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لي . قال ويحك يا حي انك امرؤ مشثوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً . قال ويحك افتح لي أكلك . قال ما أنا بفاعل . قال والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً على جيشيتك إن أكل معك منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئت بك بجزء الدهر وبحر طام قال وما ذاك قال جئت بك بقريش على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياال من رومة وبغطفار على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بذي نوى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب جئني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ويحك يا حي فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقاً وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ومعاهدتهم إياه على نصره وقال : إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه . قال ابن اسحاق فلم يزل حي بكعب يفتله في الدورية والغارب حتى سمع له - يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ وفي محاربتة مع الأحزاب - على أن أعطاه حي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد بنو قريظة حي بن اخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم ينجزوا محمداً ، قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرفهم . فنازلهم حي على ذلك . فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سعة أسد وأسيد وتعلبة فانهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عباد وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال انطلقوا حتى أتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقاً فالحقوا إلى حنا أعرفه ولا تقتلوا في أعضاد المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال نجر جوا حتى أتوهم . قال موسى

ابن عقبة قدخلوا معهم حصنهم فدعوم الى الموائد وتجديد الحلف فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بنى النضير) ونالوا من رسول الله ﷺ فجعل سعد بن عباد يشتائم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ انا والله ماجئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشاعة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال انكم قد علمتم الذى بيننا وبينكم يا بنى قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير أو أمر منه . فقالوا اكلمت أيرأيتك . فقال غير هذا من القول كان أجل بكم وأحسن . وقال ابن اسحاق : نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا من رسول الله ؟ لاعد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عباد دع عنك مشاتمهم لما بيننا وبينهم أربى من المشاعة . ثم أقبل السعدان ومن معها الى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة أى كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين . قال موسى بن عقبة ثم تقنع رسول الله ﷺ بشوبه حين جاءه الخبر عن بنى قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا انه لم يأتهم عن بنى قريظة خير . ثم انه رفع رأسه وقال ابشروا بفتح الله ونصره . فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالنبل والحجارة قال سعيد بن المسيب قال رسول الله ﷺ : اللهم انى أسألك عهدك ووعدك اللهم ان تشأ لا تعبد . قال ابن اسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يدعنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط . وحتى قال أوس بن قيطى : يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه فأذن لنا أن نرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة . قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى ﴿ واذا يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ﴾ واذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا . قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله ﷺ سرا بظاً وأقام المشركون يحاصرونه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرمية بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أنهم عن الزهري الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المرى وها قائدا غطفان واعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معها عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراضة ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث الى السعدين فذكر لها ذلك واستشارها فيه ، فقالا : يا رسول الله أمرنا بحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ فقال : بل

شيء أصنع لكم ، والله ما أصنع ذاك إلا لاني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة و كالبوكم من كل جانب فأردت أن أ كسر عنكم من شوكنهم الى أمر مآ . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً ، ألحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهام أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهام إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ﷺ : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا . قال فأقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش - منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أحد بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان ، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر - تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيثوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال له : يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا أخذتها منه ، قال أجل . قال له علي : فاني أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لاجابة لي بذلك . قال : فاني أدعوك الى النزال . قال له : لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك . فحصى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضى الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة . قال ابن اسحاق وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركته متجدلاً كالجدع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أننى كنت المقطر بزنى أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الاحزاب

قال ابن هشام : وأ كثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي . قال ابن هشام : وألقى عكرمة

رحمه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال في ذلك حسان بن ثابت :

فرُّ وألني لنا رحمه لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظلي م ما ان يحور عن المعدل
ولم تلو ظهرك مستأنساً كأن قفاك قفا فرعل

قال ابن هشام : الفراعل صغار الضباع . وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن اسحاق في موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ود وهو متنع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب فقال : أنا لها يابني الله . فقال : انه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي ترعون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلى رجلا ؟ فقام علي فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بمحت من النداء لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرب المناجز
ولذاك إني لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

قال فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : انه عمرو ، فقال وان كان عمراً . فأذن له رسول الله ﷺ فمشى اليه حتى أتى وهو يقول :

لا تمجلن فقد أذاك بحبيب صوتك غير عاجز
في نية وبصيرة والصدق منجى كل فائر
إني لأرجو أن أقيم عليك نائمة الجنائر
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال : يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فاني أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له علي : لا كني والله لا أكره أن أهريق دمك ، ففضب فتزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله علي بدركته فضربه عمرو في درقته فقتلها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علي على جبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير ففرقنا أن علياً قد قتله . ثم يقول علي :

أعلى تقتحم الفوارس هكذا عنى وعنهم أخروا أصحابي
اليوم يمنعي الفرار حفيظي ومصم في الرأس ليس بناي

الى أن قال : عبد الحجابة من سفاهة رأيه وعبدت رباً محمد بصواب الى آخرها . قال ثم أقبل على نحر رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلاً استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فأتقاني بسوءته فاستحييت ابن عبي أن أسلبه ، قال وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق وذكر ابن اسحاق فيما حكاه عن البيهقي أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فأت في الخندق ؛ وبعث المشركون الى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال هو لكم لأننا كل نمن الموتى . وقال الامام أحمد حديثاً نصرت بن باب حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالا ، فقال رسول الله ﷺ ادفعوا اليهم جيفته فانه خبيث الجيفة خبيث الدية ، فلم يقبل منهم شيئاً . وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حجاج وهو ابن اربعة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : أن رجلاً من المشركين قتل يوم الاحزاب فبعثوا الى رسول الله ﷺ أن ابعث الينا بجسده ونعطيهم اثني عشر ألفاً فقال رسول الله ﷺ « لاخير في جسده ولا في ثمنه » . وقد رواه الترمذي من حديث سفیان الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب . وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين انما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله الخزومي حين قتل وعرضوا عليه الدية فقال : « انه خبيث خبيث الدية فلعله الله ولعن دينه . فلا أرب لنا في دينه ولسنا نمنعكم أن تدفوه » وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة الخزومي فسأل المبارزة فخرج اليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنتين حتى قل في سيفه فلا وانصرف وهو يقول :

انى امرؤ أحمى وأحتى^(١) عن النبي المصطفى الأتمى

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل اليه على قتله وطلب المشركون رتمه من رسول الله ﷺ بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ومكنهم من أخذه اليهم وهذا غريب من وجهين . وقد روى البيهقي من طريق حماد بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الاطم ومعى عمر بن أبي سلمة فجعل يطأ طأ لي فاصعد على ظهره فأنظر قال فنظرت الى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا فما يرتفع له شيء الا أتاه فلما أسي جاءنا الى الاطم قلت يا أبة رأيتك اليوم وما تصنع قال ورأيتنى يا بني قلت نعم قال فدى لك أبي

وأُمي . قال ابن اسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الانصاري أخو بني حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت فر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرفل بها ويقول :

لَبَّثَ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمْلًا لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ الْحَقُّ بَنِي فَقْدٍ وَاللَّهُ أَخْرَتُ . قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مائها . قالت وخفتُ عليه حيث أصاب السهم منه . فرُمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكل . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حيان بن قيس بن العرقه أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها مني وأنا ابن العرقه ، فقال له سعد عرق الله وجهك في النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قریش شيئاً فبقى لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمنني حتى تفرعيني من بني قريظة . قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعداً يومئذ الا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل :

أَعْرَمَ هَلَا لَمَنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مَرِيضَةً لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمُرَافِقِ عَانِدُ
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعُولْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشُّطْرِ الْعَذَارَى النَّوَاحِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدَدَا عَبِيدَةً جَمْعًا مِنْهُمْ إِذْ يَكَابِدُ
عَلَى حَيْنٍ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرُ مَرْعُوبٍ عَنِ الْقَصْدِ قَاصِدُ

قال ابن اسحاق والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن هشام ويقال ان الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان قلت وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ بن قريظة أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتي بيانه فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم حتى قال له رسول الله ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة . قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا

ورسول الله ﷺ والمسلمون في محور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذ أتانا آت قفلت يا حسان أن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله . قال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجرت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضرته بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال مالى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب . قال موسى بن عقبة وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كنائبهم فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدرى أتم أم لا قال ووجهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كنيبة غليظة فقاتلوهم يوماً إلى الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكنيبة فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفأت الكنيبة مع الليل فرموا أن رسول الله ﷺ قال شغلونا عن صلاة العصر ملائكة بطونهم وقلوبهم وفي رواية وقبورهم ناراً . فلما اشتد البلاء ناقق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول « والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ماترون من الشدة وإنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله إلى مفاتيح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنقن كنوزهما في سبيل الله »

وقد قال البخاري : حدثنا اسحاق حدثنا روح حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علي عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق « ملائكة عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » وهكذا رواد بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي به ورواه مسلم والترمذي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة عن علي به وقال الترمذي حسن صحيح . ثم قال البخاري حدثنا المكي بن إبراهيم حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال : يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ﷺ والله ما صليتها فتر لنا مع رسول الله ﷺ بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والذمائي من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس قال قاتل النبي ﷺ عدواً فلم يفرغ منهم حتى أفرغ العصر عن وقتها فلما رأى ذلك قال « اللهم من حبسنا عن الصلاة

الوسطى فاملاً بيوهم ناراً واملأ قبورهم ناراً» ونحو ذلك تفرد به احمد وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره . وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الاحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليه في هذه الاحاديث وألزم القاضي الماوردي منهج الشافعي بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو منهج مكحول والاوزاعي وقد بوب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث وقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب الى بنى قريظة - كاسياتي - « لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة » وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ومنهم من لم يصل إلا في بنى قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقترب فتح الحصن . وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور منهم الشافعي هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فانها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهدا أخروها يومئذ وهو مشكل قال ابن اسحاق وجماعة ذهبوا الى أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بعسفان وقد ذكرها ابن اسحاق وهو امام في المغازي قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالحق أعلم . وأما الذين قالوا ان تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت المساء من رواية أبي هريرة وأبي سعيد قال الامام حنبل يزيده وحجاج قالاً حدثنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى من الليل حتى كفينا وذلك قوله ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ قال ففدا رسول الله ﷺ بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصلها في وقتها ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام المساء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج في صلاة الخوف فان ختم فرجالاً أو ركباناً وقد رواه النسائي عن الفلاس عن يحيى القطان عن ابن أبي ذئب به قال شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره . وقال أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الزبير عن نافع بن جبيرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله قال فأمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى المساء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا مؤمل يعني ابن اسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن عبد الكريم يعني ابن أبي الحارق

عن مجاهد عن جابر بن عبد الله ان النبي ﷺ شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء ثم قال « ما على وجه الارض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » تفرد به البزار وقال لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله

فصل

في دعائه عليه السلام على الاحزاب

وكيف صرفهم الله بحوله وقوته استجابا لرسوله ﷺ وصيانة لحوزته الشريفة فزلزل قلوبهم
ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم

قال الامام أحمد : **حدثنا** أبو عامر حدثنا الزبير - يعنى ابن عبد الله - حدثنا ربيع بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ، قال « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح . وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن أبي عامر - وهو العقدي - عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد فذكره وهذا هو الصواب . وقال الامام أحمد **حدثنا** حسين عن ابن أبي ذئب عن رجل من بني سلمة عن جابر ابن عبد الله ان النبي ﷺ أتى مسجد الاحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مَدًّا يدعو عليهم ولم يصل قال ثم جاء ودعا عليهم وصلى . وثبت في الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله ﷺ على الاحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب . اللهم اهزمهم وزلزلهم . وفي رواية اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم . وروى البخارى عن قتيبة عن الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ كان يقول « لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شيء بعده » وقال ابن اسحاق وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيائهم ايامهم من فوقهم ومن أسفل منهم . قال ثم ان نعيم بن مسعود ابن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع ابن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فرئى بما شئت فقال رسول الله ﷺ « انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة » فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال : يا بنى

قريظة قد عرفت ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم ان قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرّون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشاً وغطفان قد جاءوا للحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموه عليه وبلدكم ونسأؤكم وأموالكم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه . قالوا لقد أشرت بالرأى . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفت ودي لكم وفراق محمد ، والله قد بلغني أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني . قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه انا قد ندمننا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشrafهم فنعطيكهم فنضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم . فأرسل اليهم ان نعم . فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس الى ولا أراكم تهملوني . قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا عني قالوا نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم . فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ودرءوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم انا لسنا بدار مقام هلك الخلف والخافر فاعدوا للقتال حتى تنجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى تنجز محمداً فاننا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا الى بنى قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا الى قريش وغطفان انا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيهم

وهذا الذى ذكره ابن اسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة .
وقد أورده عنه البيهقى فى الدلائل فانه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه
من الحديث ، فاتفق أنه مرَّ برسول الله ﷺ ذات يوم عشاء ، فأشار اليه أن تعال ، فجاء فقال :
ما وراءك ؟ فقال : انه قد بعثت قريش و غطفان الى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا اليهم
فيناجزوك ، فقالت قريظة نعم فأرسلوا اليها بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم انما نقضوا العهد
على يدى حبي بن أخطب بشرط أن يأتهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال فقال له رسول
الله ﷺ : إني مُسرٌّ اليك شيئاً فلا تذكره ، قال : أنهم قد أرسلوا إلىَّ يدعونني الى الصلح وأردُّ
بنى النضير الى دورهم وأموالهم ؛ فخرج نعيم بن مسعود عامداً الى غطفان . وقال رسول الله ﷺ
« الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا » فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا
الى بنى قريظة عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم
فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا . قلت : وقد يحتمل
أن تكون قريظة لما يؤسوا من انتظام أمرهم مع قريش و غطفان بعثوا الى رسول الله ﷺ يريدون
منه الصلح على أن يرد بنى النضير الى المدينة والله أعلم

قال ابن اسحاق : فلما انتهى الى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من
جمعهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . قال ابن اسحاق : لحدثني يزيد بن
زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله
أرايت رسول الله ﷺ وصحبه ؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال فكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله
لقد كنا نجتهد ، قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الارض ولحملناه على أعناقنا ، قال فقال
حذيفة : يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويتاً من
الليل ثم التفت اليه فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - فشرط له رسول الله ﷺ
الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيقاً في الجنة ، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم
يَقمْ أحد دعاني ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر
ماذا يفعلون ولا تحدث شيئاً حتى تأتينا ، قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل
بهم ما تفعل لا تُقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من
جليسه . قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت من أنت ؟ قال فلان ابن فلان ؛
ثم قال : يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو
قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ماترون ماتطين لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا
يستمسك لنا بناء فارتحلوا فأتى مرتحل ، ثم قام الى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضرب به فوثب به

على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى لا تحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحلاً فلما رأيته أدخلني إلى رجله وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وأنى لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر . وصمعت غطفان بما فعلت قریش فانشروا راجعين إلى بلادهم ، وهذا منقطع من هذا الوجه . وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم ابن يزيد التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت ، فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله ﷺ ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال أئني بخبر القوم ولا تدعهم علي . قال فضيت كأنما أمشي في حزام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ : لا تدعهم علي ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله ﷺ فأصابني البرد حين رجعت وقررت فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أبرح نائماً حتى أصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : قم يا نومان !

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهد مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافقون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقرينة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المناقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى علي وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لأمراًتي ما يجاوز ركبتي قال : فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال : من هذا ؟ فقلت حذيفة فقال حذيفة : انقصرت للأرض فقلت : بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم فقامت فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فرعاً وأشدهم قرأ قال : فخرجت فقال رسول الله ﷺ اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله

ما خلق الله فرعا ولا قرا في جوفى إلا خرج من جوفى فأجد فيه شيئا . قال فلما وليت قال : يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني . قال : فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد واذا رجل أدهم ضخم يقول يبيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني فأمسكت ورددت سهمي الى كنانتي ثم انى شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . واذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فوالله انى لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضرب بها ثم انى خرجت نحو رسول الله ﷺ فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال فرجعت الى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلى فوالله ما عدا أن رجعت راجعي القرو جعلت أقرقف فأومأ الى رسول الله ﷺ بيده وهو يصلى فدنوت منه فأسبل على شملته وكان رسول الله ﷺ اذا حزبه أمر صلى . فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أنى تركتهم يرحلون قال وأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ يعنى الآيات كلها الى قوله ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ﴾ وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ﴿ أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى بعثها الله اليهم وكفى الله المؤمنين القتال أى لم يحتاجوا الى منازلهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته . لهذا ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقول : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شئ بعده . وفى قوله ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ اشارة الى وضع الحرب بينهم وبينهم وهكذا وقع ولم ترجع قريش بعدها الى حرب المسلمين كما قال محمد بن اسحاق رحمه الله ، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم . قال : فلم تغز قريش بعد ذلك وكان يغزوه بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن اسحاق . وقد قال الامام أحمد **حديث** يحيى عن سفيان **حديث** أبو اسحاق سمعت سليمان بن صرد رضى الله يقول قال رسول الله ﷺ : الآن تغزوه ولا يغزونا . وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثورى كلاهما عن أبى اسحاق السبيعي عن سليمان بن صرد به قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الاشهل وهم سعد بن معاذ - وستأى وفاته مبسوطه -

وأُس بن أوس بن عتيك بن عمرو وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة الجشميان
السلميان وكعب بن زيد النجاري أصابه سهم غرب فقتله قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه
ابن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فأت منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة
اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمان كبير كما تقدم وعمرو بن عبد ود
العامري قتل على بن أبي طالب . قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال :
قتل على يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسيل بن عمرو قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبدود ويقال
عمرو بن عبد

فصل

في غزوة بني قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعد الله لهم في الآخرة من العذاب الاليم
وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ومما لا تتم الأحزاب
عليه فما أجدي ذلك عنهم شيئاً وباؤا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة
وقد قال الله تعالى ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴾ وكفى الله المؤمنين القتال وكان
الله قوياً عزيزاً * وأنزل الله الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل
شئ قديراً . قال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا عبد الله حدثنا موسى بن عقبة عن
سالم ونافع عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيكبر ثم
يقول « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيئون تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده »

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً الى
المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثني
الزهري معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت
السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، فقال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن
إلا من طلب القوم ، ان الله يأمرك يا محمد بالسير الى بني قريظة ، فأتى عامد اليهم فزلزل بهم فأمر
رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم

وقال البخارى : حدثني عبد الله بن أبي شيبة حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه ! فاخرج اليهم ، قال فإلى أين ؟ قال هاهنا وأشار الى بنى قريظة ، فخرج النبي ﷺ . وقال أحمد : وحدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاء جبريل فرأيتاه من خلل البيت قد عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال : وضعنا أسلحتنا فقال : أنا لم نضع أسلحتنا بعد انهد إلى بنى قريظة ، ثم قال البخارى : حدثنا موسى حدثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعاً في زقاق بنى غنم موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ الى بنى قريظة . ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم . وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به . وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن خالد بن علي حدثنا بشر بن حرب عن أبيه حدثنا الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستحم ، فتبدي له جبريل عليه السلام فقال : عذرك من محارب ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد ، قال فوثب النبي ﷺ فزعاً فزعاً على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر إلا في بنى قريظة . قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنى قريظة حتى غربت الشمس فاخضم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتى تأتي بنى قريظة فانما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ فليس علينا ثم وصلى طائفة من الناس احتساباً وترك طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصولها حين جاءوا بنى قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين . ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان عندها فلم علينا رجل ونحن في البيت فقام رسول الله ﷺ فزعاً وقت في أثره فاذا بدحية الكلبى ، فقال : هذا جبريل أمرنى أن أذهب الى بنى قريظة وقال : قد وضعتم السلاح لكننا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الاسد وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق فقام رسول الله ﷺ فزعاً وقال لأصحابه : عزمت عليكم أن لا تصلوا

صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : ان رسول الله ﷺ لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا ، وقالت طائفة : والله إنا لنرى عزيمة رسول الله ﷺ وما علينا من إثم ، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً وترك طائفة إيماناً واحتساباً ولم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال هل معكم أحد ؟ فقالوا مرة علينا دحية الكلبي على بقعة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال : ذلك جبريل أرسل الى بني قريظة ليرزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب فحاصروهم النبي ﷺ وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم ، فناداهم يا اخوة الفردة والخنزير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحاشا ، فحاصروهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاء فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريتهم ونسأؤهم . ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها . وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الاجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف . فقالت طائفة من العلماء : الذين أخرروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوا في بني قريظة هم المصيبون ، لان أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً . قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماش على قاعدته الاصلية في الاخذ بالظاهر . وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون لانهم فهموا أن المراد انما هو تعجيل السير الى بني قريظة لا تأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الدالة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم باعادة الصلاة في وقتها التي حولت اليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخرروا فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤثرون بالقضاء وقد فعلوه . وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا فلا إشكال على من أخر ولا على من قدم أيضاً والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وقدم رسول الله ﷺ على بن أبي طالب ومعه رايته وابتدعها الناس . وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينما رسول الله ﷺ في مقتله كما يزعمون قد رَجُل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمنته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج اليه رسول الله ﷺ فقال له جبريل : غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ قال نعم . فقال جبريل : لسننا لم نضمه منذ نزل بك العدو وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله — ويقولون ان على وجه جبريل لأثر الغبار — فقال له جبريل : ان الله قد أمرك بقتال بني قريظة فأنا عامد اليهم بمن معي

من الملائكة نزل بهم الحصون فأخرج بالناس ، فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل فر على مجلس بني غنم وهم ينتظرون رسول الله ﷺ فسألهم فقال : مرّ عليكم فارس أنفا ؟ قالوا مرّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قضيعة ديباج عليه اللأمة ، فذكروا أن رسول الله ﷺ قال : ذاك جبريل . وكان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبي بجبريل ، فقال الحقوقي ببني قريظة فصلوا فيهم المصير ، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا الى بني قريظة فحانت صلاة العصر وهم بالطريق فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة ، فصلى منهم قوم وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوها في بني قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله ﷺ من عجل منهم الصلاة ومن أخرها فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعنف واحداً من الفريقين . قال فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود ، وكان علي قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه رضى الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : لم تأمرني بالرجوع ؟ فكتمه ما سمع منهم فقال : أظنك سمعت فيّ منهم أذى فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت ، فلما نزل رسول الله ﷺ بمحضرهم وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته فقرأ من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيئوا يا معشر يهود يا أخوة القردة قد نزل بكم خزي الله عز وجل ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حيي بن أخطب حتى دخل حصن بني قريظة وقذف الله في قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر — وكانوا حلفاء الانصار — فقال أبو لبابة لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ قد أذنت لك ، فأتاهم أبو لبابة فبكوا اليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فانه لا طاقة لنا بالقتال ، فأشار أبو لبابة بيده الى حلقة وأمر عليه اصابعه ، يريهم أنما يراهم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سقط في يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث الله توبة نصوحاً يعلمها الله من نفسي ، فرجع الى المدينة فربط يديه الى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله ﷺ حين غاب عليه أبو لبابة : أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ، فذكر له ما فعل ؟ فقال : لقد أصابته بعدى فتنة ولو جاءني لاستغفرت له وإذا قد فعل هذا فلن أحرّكه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء . وهكذا رواه ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة وكذا ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهري ومثل رواية أبي الاسود عن عروة . قال ابن اسحاق ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة

من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب وقد كان حبي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلا لا ثلاثا نخدوا بما شئتم منها . قالوا وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه للذي نجدونه في كتابكم فتأمنون به على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره . قال فاذا أبيتم على هذه فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصليين بالسيف لم نترك وراءنا أثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان تهلك تهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وإن ظهر فلمعمرى لنجدن النساء والأبناء . قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم على هذه فالليلة ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا علينا نصيب من محمد وأصحابه غرة . قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فاصابه مالم يخف عنك من المسخ فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدت أمه ليلة من الدهر حازماً . ثم انهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيرهم في أمرنا . فارسله رسول الله ﷺ فلما رآوه قام إليه الرجال وجيش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى حلقة أنه الذبيح قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال : لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت . وعاهد الله أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً . قال ابن هشام وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينه عن اسماعيل ابن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ . قال ابن هشام : أقام مرتبطاً ست ليال تأتبه امرأته في وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلى ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ . وقول موسى بن عقبة انه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به والله أعلم . وذكر ابن اسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم سلفة فجعل يبتسم فسألته أم سلفة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة فاستأذنته أن تبشره فأذن لها فخرجت فبشرتهم فبشروا الناس إليه يبشرونه وأرادوا أن يحلوه من

رباطه فقال : الله لا يجلني منه إلا رسول الله ﷺ فلما خرج رسول الله ﷺ الى صلاة الفجر حله من رباطه رضى الله عنه وأرضاه . قال ابن اسحاق ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال من هذا ؟ قال أنا عمرو ابن سعدى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال لا اغدر بمحمد أبداً . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب لم يُدر أين توجه من الارض الى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . قال وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة فاصبحت رمته ملقاة ولم يُدر أين ذهب فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان . قال ابن اسحاق فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الاوس فقالوا : يا رسول الله انهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالى اخواننا بالامس ما قد علمت يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبيّ كما تقدم . قال ابن اسحاق فلما كلفته الاوس قال رسول الله ﷺ : يا معشر الاوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوى الجرحى فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم وكان رجلا جسيما جميلا ثم أقبلوا معه الى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله ﷺ انما ولاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكنروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ قوموا الى سيدكم فأما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد الانصار واما الانصار فيقولون قد عم رسول الله ﷺ المسلمين فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ اجلالا له فقال رسول الله ﷺ نعم قال سعد فاني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسّم الاموال وتسبى الذراري والنساء . قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص

الليثي قال قال رسول الله ﷺ لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . وقال ابن هشام
 حدثني من أنفق به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصروا بني قريظة يا كتيبة الإيمان
 وتقدم هو والزبير بن العوام وقال والله لأذوقن ماذق حمزة أو اقتحم حصنهم فقالوا يا محمد نزل على
 حكم سعد بن معاذ . وقد قال الامام أحمد حذرنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم سمعت
 أبا امامة بن سهل سمعت أبا سعيد الخدري قال نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ قال فأرسل
 رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ : قوموا
 لسيدكم أو خيركم . ثم قال ان هؤلاء نزلوا على حكمك قال تقتل مقاتلتهم ونسي ذريتهم قال فقال
 رسول الله ﷺ قضيت بحكم الله . وربما قال قضيت بحكم الملك وفي رواية الملك . أخرجاه في
 الصحيحين من طرق عن شعبة وقال الامام أحمد حذرنا حجين ويونس قالا حدثنا الليث بن سعد
 عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال رمى يوم الاحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أ كحله فحسمه
 رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده فزفه فحسمه أخرى فانتفخت يده فزفه فلما رأى ذلك قال
 اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم
 سعد فأرسل اليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبي نساؤهم وذرايرهم يستعين بهم المسلمون فقال رسول
 الله ﷺ أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات . وقد رواه
 الترمذي والفسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام أحمد حذرنا
 ابن نمير عن هشام أخبرني أبي عن عائشة قالت لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح
 واغتسل فأتاه جبريل وعلي رأسه الغبار فقال قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها أخرج اليهم . قال
 رسول الله ﷺ فأين قال هاهنا وأشار إلى بني قريظة فخرج رسول الله ﷺ اليهم . قال هشام
 فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ فرد الحكم فيهم إلى سعد قال فاني أحكم أن تقتل
 المقاتلة وتسبي النساء والذرية وتقسم أموالهم . قال هشام قال أبي فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال
 لقد حكمت فيهم بحكم الله . وقال البخاري حذرنا زكريا بن يحيى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا
 هشام عن أبيه عن عائشة قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن
 العريفة رماه في الاكل فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول
 الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد
 وضعت السلاح والله ما وضعتها أخرج اليهم . قال النبي ﷺ فأين فأشار إلى بني قريظة فأتاهم رسول
 الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد قال فاني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي
 النساء والذرية وأن تقسم أموالهم قال هشام فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال اللهم انك تعلم انه

ليس أحد أحب إلى أن أجاهدكم فيكم من قوم كذبوا رسوالتك وأخرجوه اللهم فاني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدكم فيكم وإن كنت وضعت الحرب فأجرحها واجعل موتى فيها. فانفجرت من لبنه فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل اليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم فاذا سعد يغتو جرحه دماً فأت منها. وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نعيم به. قلت كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ولهذا قال فيه ولا تمنني حتى تقر عيني من بني قريظة فاستجاب الله له فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أي قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه. وسيأتي ذكر وفاته قريباً إن شاء الله. وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً جداً وفيه فوائد فقال **حدثنا** يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرتني عائشة قالت خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الأرض ورأيت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه، قالت فجلست إلى الأرض فر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فر وهو يرتجز ويقول :

لبث قليلا يدرك الهيجا جل ما أحسن الموت إذا حان الاجل

قالت : فقامت فاقترحت حديقة فاذا نفر من المسلمين فاذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبعة له تعنى المغفر فقال عمر : ما جاء بك والله أنك لجريرة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل السبعة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر وبحك أنك قد أكرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل. قالت : ويرمي سعداً رجل من قريش يقال له ابن العرقه وقال خذها وأنا ابن العرقه فاصاب أكله فقطعه فدعا الله سعد فقال : اللهم لا تمنني حتى تقر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقاً كلمه بعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتنحصنوا في صياصيمهم ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من آدم ف ضربت على سعد في المسجد قالت : فجاء جبريل وإن على ثنياه لنقع الغبار فقال : أقدم وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله ﷺ لأمنه وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فر على بني غنم، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مر بكم ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلبي - وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه

جبريل عليه السلام - فاتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد
 البلاء قبل لهم انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فاشار اليهم أنه
 الذبح قالوا انزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله ﷺ انزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأتى
 به على حمار عليه اكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك
 وأهل النكابة ومن قد علمت قالت ولا يرجع اليهم شيئا ولا يلتفت اليهم حتى اذا دنا من دورهم التفت
 الى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . قالت : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول
 الله ﷺ : قوموا الى سيدكم فانزلوه قال عمر : سيدنا الله ، قال : انزلوه ، فانزلوه . قال رسول الله
 ﷺ : أحكم فيهم ، فقال سعد : فاني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذرارهم وتقسم أموالهم
 فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ثم دعا سعد فقال : اللهم إن كنت
 أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئا فأبقني لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني اليك
 قالت : فانفجر كله وكان قد برئ حتى لا يرى منه الا مثل الخرص ورجع الى قبته التي ضرب عليها رسول
 الله ﷺ قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت : فوالذي نفس محمد بيده اني
 لا عرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله «رحمناه بينهم» قال علقمة : فقلت
 يا أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان
 اذا وجد فانما هو آخذ بلحيته . وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه
 التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمه في بني قريظة ومرة بعد ذلك كما قلناه أولا والله الحمد والمنة
 وسند ذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضى الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصص . قال ابن
 اسحاق : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار
 قلت : هي نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلة الكذاب ثم
 خلف عليها عبد الله بن عامر بن كرز ، ثم خرج ﷺ الى سوق المدينة فغندق بها خنادق ثم بعث اليهم
 فضرب أعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن
 أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة . والمسكندر لم يقول كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة .
 قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعائة فالله أعلم . قال ابن
 اسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم الى رسول الله ﷺ ارسالا : يا كعب ما تراه
 يصنع بنا ؟ قال : أتى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا يتزع ومن ذهب به منكم لا يرجع هو والله
 القتل . فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم وأتى بجي بن أخطب وعليه حلة له قحاحية ^(١) قد شقها

(١) قال ابن هشام «قحاحية : ضرب من الوشي»

عليه من كل ناحية قدر أنملة لثلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بجبل . فلما نظر الى رسول الله ﷺ قال
أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل : ثم أقبل على الناس فقال : أيها
الناس ، انه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل . ثم جلس فضربت
عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبي :

لعمرك ما لأم ابنُ أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يبغي العز كل مقلقل

وذكر ابن اسحاق قصة الزبير بن باطا وكان شيخاً كبيراً قد عمى وكان قد من يوم بعث على
ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفني
يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك فقال له ثابت أريد أن أكاثك فقال : ان الكريم
يجزى الكريم فذهب ثابت الى رسول الله ﷺ فاستطلقه فاطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال شيخ كبير
لا أهل ولا ولد فما يصنع بالحياة فذهب الى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده فأطلقهم له ثم
جاءه فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت الى رسول الله ﷺ فاستطلق
مال الزبير بن باطا فأطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال له يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه امرأة صيفية
تترامى فيها عذارى حي كعب بن أسد ؟ قال : قتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حيي بن
أخطب ؟ قال قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحميتنا اذا فررنا : عزال بن شموال ؟ قال :
قتل . قال فما فعل المجلسان ؟ — يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة — قال : ذهبوا
قتلوا ، قال فاني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير
فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، قدمه ثابت فضربت عنقه ، فلما بلغ أبا بكر
الصديق قوله « ألقى الأحبة » قال « يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً » قال ابن اسحاق « فيلة »
بالفاء والياء المثناة من أسفل وقال ابن هشام بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح البعير
الذي يستقى عليه الماء لسقى النخل ، وقال أبو عبيدة : معناه افراغة دلو

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من انبت منهم . فحدثني شعبة بن
الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بنى
قريظة كل من انبت منهم وكنت غلاماً فوجدوني لم أنبت نخلوا سبيلي . ورواه أهل السنن الاربعة
من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي نحوه . وقد استدلل به من ذهب من العلماء الى أن
انبت الشعر انخس حول الفرج دليل على البلوغ بل هو بلوغ في أصبح قولى الشافعى . ومن العلماء
من يفرق بين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغاً في حقهم دون غيرهم لان المسلم قد يتأذى بذلك

للقصد . وقد روى اسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن ثموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله ان رفاعة يزعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل . فأجابها الى ذلك فأطلقه . قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة ، قالت والله أنها لعندي تحدث معي تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت أنا والله ، قالت قلت لها : ويالك مالك ؟ قالت أقتل اقلت ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت فانطلق بها فضربت عنقها ، وكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل . وهكذا رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . قال ابن اسحاق : هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ، يعني فقتلها رسول الله ﷺ به . قال ابن اسحاق : في موضع آخر وسماها نبأمة امرأة الحكم القرظي . قال ابن اسحاق : ثم ان رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخنس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين للفارس وسهماً لراكبه وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال وكان أول في وقت فيه السهمان وخمس . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله ﷺ سعيد بن زيد بسبيلهم بني قريظة الى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً . وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نساءهم ربحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بني عمرو بن قريظة وكان عليها حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الاسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسرى رسول الله ﷺ باسلامها وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام ، ثم تكلم ابن اسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الاحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة . وقد قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخنزرجي طرحت عليه رحا فشدخته شداً شديداً فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « إن له لأجر شهيدين . قلت : كان الذي ألقى عليه الرحي تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم . قال ابن اسحاق : ومات أبو سنان بن محصن بن حرقان من بني أسد بن خزيمه ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

قد تقدم أن حبان بن العروة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكله ، فحسمه رسول الله ﷺ كياً بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لا يميته حتى يقر عينه من بني قريظة ،

وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من اليهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزاب وانفשמوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وسار اليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدم فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما أراه الله فرد الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية وهو سعد بن معاذ فرضوا بذلك ويقال بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من حنوه عليهم وإحسانه وميله إليهم ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدائهم من القردة والغنازير لشدة إيمانه وصدقته رضى الله عنه وأرضاه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ وكان في خيمة في المسجد النبوي فجئ به على حمار تحتها أكاف قد وطئ تحتها لمرضه ولما قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له قيل لينزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بمحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه والله أعلم ، فلما حكم فيهم بالقتل والسبي وأقر الله عينه وشفي صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله ﷺ دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً . حدثني معاذ بن رفاعة الزرقي قال حدثني من شئت من رجال قومي : أن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معنجرًا بعمامة من استبرق فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضى الله عنه ، هكذا ذكره ابن اسحاق رحمه الله . وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبي وشعيب بن الليث قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتمحرك له العرش ؟ قال فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ ، قال فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال « سبحان الله » مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال « الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم ، ثم قال رسول الله ﷺ : « عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره حتى كان هذا حين فرج له »

وروى الامام احمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر قال قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن : سبحان الله لهذا

الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء شدد عليه ثم فرج الله عنه . وقال
 محمد بن اسحاق : حدثني معاذ بن رفاعه عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجوح عن جابر بن
 عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ثم كبر
 فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت ؟ قال لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره حتى
 فرج الله عنه . وهكذا رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق به
 قال ابن هشام ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله ﷺ ان للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا
 لكان سعد بن معاذ . قلت : وهذا الحديث قد رواه الامام احمد حدثنا يحيى عن شعبة عن سعد
 ابن ابراهيم عن نافع عن عائشة عن النبي ﷺ قال : ان للقبر ضمة ولو كان أحد ناجيا منها لنجا
 سعد بن معاذ . وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين إلا أن الامام احمد رواه عن غندر عن
 شعبة عن سعد بن ابراهيم عن انسان عن عائشة به ورواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر قال :
 حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا داود عن عبد الرحمن حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال :
 قال رسول الله ﷺ لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون الف ملك الى الارض لم يهبطوا قبل
 ذلك ولقد ضمه القبر ضمة . ثم بكى نافع . وهذا اسناد جيد لكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله
 عن نافع مرسلًا ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف عن أبي عتاب عن سكين بن عبد الله بن
 عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ لقد نزل لموت سعد
 ابن معاذ سبعون الف ملك ما وطئوا الارض قبلها وقال حين دفن سبحان الله لو انفلت أحد من
 ضمة القبر لا نفلت منها سعد وقال البزار حدثنا اسماعيل بن حفص عن محمد بن فضيل حدثنا عطاء
 ابن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ فليل ائما يعني السرير
 ورفع أبو به على العرش قال تفتحت أعواده قال : ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبس فلما خرج
 قيل له يا رسول الله ما حبسك قال ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه قال البزار تفرد
 به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلم فيه . وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد
 رضى الله عنه في القبر أثرًا غريبًا فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا احمد
 ابن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق **حدثني** أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد
 ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا ؟ فقالوا ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال :
 كان يقتصر في بعض الطهور من البول . وقال البخاري حدثنا محمد بن المنثري حدثنا الفضل بن
 مساور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : اهتز
 العرش لموت سعد بن معاذ . وعن الاعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبي ﷺ مثله فقال رجل لجابر
 فان البراء بن عازب يقول : اهتز السرير انه كان بين هذين الحيين ضمتان سمعت النبي ﷺ يقول

اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن ادريس وابن ماجه عن علي بن محمد عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به وليس عندهما زيادة قول الأعمش عن أبي صالح عن جابر وقال احمد حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وجنزة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق به وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أبو نضرة سمعت أبا سعيد عن النبي ﷺ اهتز العرش لموت سعد بن معاذ . ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى به وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد قال قتادة **حدثنا** أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنزة موضوعة اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الأزدي عن عبد الوهاب به وقد روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصري قال اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه . وقال الحافظ البزار **حدثنا** زهير بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما حملت جنازة سعد قال المنافقون ما أخف جنازة كهذا لحكمة في بني قريظة فسل رسول الله ﷺ فقال لا ولكن الملائكة تحمله اسناد جيد . وقال البخاري **حدثنا** محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول أهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال أتعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين ثم قال رواه قتادة والزهري سمعنا أنسا عن النبي ﷺ وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أكيكر دومة أهدى الى رسول الله ﷺ جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها فعجب الناس منها فقال والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه . وهذا اسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه وإنما ذكره البخاري تعليقاً وقال احمد **حدثنا** يزيد حدثنا محمد بن عمرو **حدثني** واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال محمد وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم قال دخلت على أنس بن مالك فقال لي من أنت ؟ قلت أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ فقال انك بسعد لشبيه ثم بكى وأكثرت البكاء وقال رحمة الله على سعد كان من أعظم الناس وأطولهم ثم قال بعث رسول الله ﷺ جيشاً الى أكيكر دومة فأرسل الى رسول الله ﷺ بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب فلبسها رسول الله ﷺ فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون اليها فقال رسول الله ﷺ أتعجبون منها لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح . قال ابن اسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد

ابن معاذ وفي ذلك يقول رجل من الانصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك مسمنا به إلا لسعد أبى عمرو

قال : وقالت أمه يعنى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين
احتمل سعد على نمشه تندبه :

ويل أم سعد سعدا صرامة وحداً
وسودداً ومجداً وفارساً معدا
سد به مسداً يقدها ما قدأ

قال : يقول رسول الله ﷺ « كل نائمة تكذب إلا نائمة سعد بن معاذ » قلت : كانت
وفاته بعد انصراف الاحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، اذ كان قدوم الاحزاب في
شوال سنة خمس كما تقدم فاقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بنى قريظة فاقام
عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فأت بعد حكمه عليهم بقليل فيكون ذلك في
أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس والله أعلم . وهكذا قال محمد بن اسحاق : ان
فتح بنى قريظة كان في ذى القعدة وصدر ذى الحجة قال : وولى تلك الحجة المشركون . قال ابن
اسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ رضى الله عنه :

لقد سجت من دمع عيني عبدة وحق لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى في معرك فجعت به عيون ذوارى الدمع دأمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فان تك قد وعدتنا وتركتنا وأمسيت في غرباء مظلمة اللحد
فأت الذى يا سعد أبت بمشهد كريم وأثواب المكارم والمجد
بحكمك فى حبي قريظة بالذى قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم ولم تعف اذ ذكرت ما كان من عهد
فان كان ريب الدهر أمضاك فى الالى شروا هذه الدنيا يجنتها الخلد
فنعم مصير الصادقين اذا دعوا الى الله يوماً للوجاهة والقصد



فصل

فيما قيل من الاشعار في الخندق و بني قريظة

قال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة حدثنا عبد بن ثابت أنه سمع البراء بن عازب قال قال النبي ﷺ لحسان : اهجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخارى : وزاد ابراهيم بن طهمان عن الشيباني عن عبد بن ثابت عن البراء بن عازب قال قال النبي ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت : اهج المشركين فان جبريل معك . وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخارى يوم بني قريظة . قال ابن اسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق (قلت : وذلك قبل اسلامه) :

ومشفقة تظن بنا الظنونا	وقد قدنا عرندسة طحونا
كأن زهاءها أحد اذا ما	بدت أركانها لناظرينا
ترى الابدان فيها مسبغات	على الابطال واليلب الحصينا
وجرداً كالقداح مسومات	نؤم بها الغواة الخساطينا
كانهم اذا صالوا وصلنا	يباب الخندقين مصالحونا
أناس لا نرى فيهم رشيداً	وقد قالوا ألسنا راشدين
فأحجرناهم شهراً كريئاً	وكننا فوقهم كالقاهرينا
نراوهم ونغدو كل يوم	عليهم في السلاح مدججينا
بايدينا صوارم مرهفات	نقدش بها المفارق والشثونا
كأن وميضهن معريات	اذا لاحت بأيدي مصلتينا
وميض عقيقة لمعت بليل	ترى فيها العقائق مستبينا
فلولا خندق كانوا لديه	لدمرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا	به من خوفنا متعوذينا
فان نرحل فانا قد تركنا	لدى أبياتكم سعداً رهينا
اذا جن الظلام سمعت نوحا	على سعد يرتجن الخنينا
وسوف نزورك عما قريب	كما زرناكم متوازرينا
بجمع من كنانة غير عزل	كاسد الغاب اذ حمت المرينا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلة تسائل ما لقينا ولو شهدت رأيتنا صابرينا
صبرنا لا نرى الله عدلا على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبي وزير صدق به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشراً ظلموا وعقوا وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعالجهم اذا نهضوا الينا بضرب يعجل المتسرعينا
ترانا في فضافض سابقات كغدران الملا متسربلينا
وفي أيماننا بيض خفاف بها نشفي مراح الشاغبينا
بياب الخندقين كأن أسداً شوا بكهن يحمين العرينا
فوارسنا اذا بكروا وراحوا على الاعداء شوساً معلينا
لننصر أحداً والله حتى نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا وأحزاب أتوا متحزبين
بان الله ليس له شريك وان الله مولى المؤمنين
فاما تقتلوا سعداً سفاهاً فان الله خير القادرينا
سيدخله جنائفاً طيبات تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريداً بغيظكم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيراً وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم فكنتم تحتها منكبين

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن الزبير السهمي في يوم الخندق (قلت وذلك قبل أن يسلم).

حتى الديار محارم رسمها طول البلى وتراوح الاحقاب
فكأنما كتب اليهود رسومها الا الكنيف ومعقد الاطواب
قفرا كأنك لم تكن تلهو بها في نعمة بأوانس أتراب
فاترك تذكر ما مضى من عيشة ومحلة خلق المقام يباب
واذكر بلاء معاشر واشكرهم ساروا بأجمعهم من الانصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب في ذى غياطل جحفل جبجباب
يدع الحزون مناهجاً معلومة في كل نشز ظاهر وشعاب
فيها الجياد شواذب مجنوبة قب البطون لواحق الاقرب

من كل سلبة وأجرد سلهب كالسيد بادر غفلة الرقاب
جيش عيينة قاصد بلوائه فيه وصخر قائد الاحزاب
قرمان كالبدارين أصبح فيهما غيث الفقير ومقل الهراب
حقى اذا وردوا المدينة وارتدوا للموت كل مجرب قضاب
شهرآ وعشرآ قاهرين محمداً وصحابه فى الحرب خير صحاب
نادوا برحلتهم صبيحة قلم كدنا نكون بها مع الخياب
لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى اطير سغب وذئاب
قال فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب منكم المحاور بجواب
قفر عفا رهم السحاب رسومه وهبوب كل مطلة مرباب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم بيض الوجوه ثواقب الاحساب
فدع الديار وذكر كل خريفة بيضاء آنسة الحديث كهاب
واشكُ الهموم الى الاله وماترى من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا بأجمعهم اليه وألبوا أهل القرى وبوادي الاعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهم متخبطون بحلبة الاحزاب
حقى اذا وردوا المدينة وارتجوا قتل الرسول ومغمم الاسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم رُدوا بغيظهم على الاعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم وجنود ربك سيد الارباب
فكفى الاله المؤمنين قتالهم وأثابهم فى الاجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه وأذل كل مكذب مرتاب
عانى الفؤاد موقع ذى ريبة فى الكفر ليس بظاهر الاثواب
علق الشقاء بقلبه ففؤاده فى الكفر آخر هذه الاحقاب
قال وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقية من خير نحلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرقة الذرى ومعاظناً حم الجنود غزيرة الاحلاب
كاللوب يبدل جميعها وحفيلها للجار وابن العم والمنتاب

ونزائلاً مثل السراج نبي بها
 عرى الشوى منها وأردف نحضها
 قوداً تراح الى الصباح اذا غدت
 ونحوط سائمة الديار وتارة
 حوش الحوش مطارة عند الوغى
 علفت على دعة فصارت بدنا
 يندون بالزغف المضاعف شكه
 وصوارم نزع الصياقل عليها
 يصل اليمين بمارن متقارب
 وأغرّ أزرق في القناة كأنه
 وكنية ينفي القران قنيرها
 جاوى مليلة كأن رماحها
 تاوى الى ظل اللواء كأنه
 أعيت أبا كرب وأعيت تبعاً
 ومواعظ من ربنا نهدي بها
 عرضت علينا فاشتبهنا ذكرها
 حكما يراها المجرمون بزعمهم
 جاءت سخينة كي تغالب ربها
 علف الشعير وجزء المنقصاب
 جرد المنون وسائر الآراب
 فعل الضراء تراح للكلاب
 تردى العدى وتثوب بالاسلاب
 عبس اللقاء مدينة الانجاب
 دحس البضيع خفيفة الاقصاب
 وبمترصات في الثقاف صياب
 وبكل أروع ماجد الانساب
 وكلت وقيعنه الى خباب
 في طخية الظلماء ضوء شهاب
 وترد حد قواحر النشاب
 في كل مجمعة صريمة غاب
 في صعدة الخطي في عقاب
 وأبت بسالتها على الاعراب
 بلسان أزهر طيب الاثواب
 من بعد ما عرضت على الاحزاب
 حرجاً ويفهمها ذوو الالباب
 فليغلبن مغالب الغلاب

قال ابن هشام : حدثني من أثق به حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
 أن رسول الله ﷺ قال له لما سمع منه هذا البيت : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا . قلت
 ومراده بسخينة قريش وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي
 لا ينهيهم لغيرهم غالباً من أهل البوادي فأنه أعلم . قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك أيضاً :

من سره ضرب يجمع بعضه
 فليات مأسدة تسن سيوفها
 دربوا بضرب المعلمين وأسلموا
 في عصبة نصر الإله نبيه
 في كل سابعة تخط فضولها
 بعضاً كمعكة الإناء المحرق
 بين المذاذ وبين جذع الخندق
 مهجات أنفسهم لرب المشرق
 بهم وكان بعبد ذم مرفق
 كالنهي هبت ريجه المترقق

بيضاء محكمة كأن قنبرها حق الجنادب ذات شك موثق
 جدلاء يحفرها نجاد مهند صافي الحديد صارم ذى رونق
 تلكم مع التقوى تكون لباسنا يوم الهياج وكل ساعة مصدق
 نصل السيوف اذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها اذا لم تلحق
 فترى الجاحم ضاحياً هامتها بله الا كف كأنها لم تخلق
 نلقى العدو بفخمة ملهومة تنفى الجموع كقصد رأس المشرق
 ونعدّ للاعداء كل مقلص ورد ومحجول القوائم أبلق
 تردى بفرسان كان كأنهم عند الهياج أسود ظل ملثق
 صدق يعاطون الكماة ختوفهم تحت العاية بالوشيج المزهق
 أمر الإله بربطها لعدوه فى الحرب ان الله خير موفق
 لتكون غيظاً للعدو وحيطاً للدار إن دلفت خيول التزق
 ويعيننا الله العزيز بقوة منه وصدق الصبر ساعة نلتقى
 ونطيع أمر نبينا ونجيبه واذا دعا لكرهية لم نُسبق
 ومضى ينادى للشدائد فأثما ومضى نرى الحومات فيها نعنق
 من يتبع قول النبي فانه فينا مطاع الأمر حق مصدق
 فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا ويصيبنا من نيل ذاك بمرق
 إن الذين يكذبون محمداً كفروا وضلوا عن سبيل المتق

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا علينا وراموا ديننا ما نوادع
 أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت وخندف لم يدروا بما هو واقع
 يذودوننا عن ديننا وندودهم عن الكفر والرحمن راء وسامع
 اذا غايظونا فى مقام أعانتنا على غيظهم نصر من الله واسع
 وذلك حفظ الله فينا وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
 هداًنا لدين الحق واختاره لنا والله فوق الصانعين صانع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له — يعنى طويلة — قال ابن اسحاق :

حسان بن ثابت فى مقتل بنى قريظة :

لقد لقيت قريظة ماساءها وما وجدت لذل من نصير

أصابهم بلاء كان فيه سوى ما قد أصاب بني النضير
غداة أتاهم يهوى اليهم رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء دماؤهم عليها كالعبير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم كذلك يدان ذو العند الفجور
فأنذر مثلها نصحاً قريشاً من الرحمن ان قبلت نذيري
قال وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قريظة :

تعاهد معشر نصرنا قريشاً وليس لهم يلدنهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه وهم عى من التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أتيتهم بتصديق الذي قال النذير
فهان على سراة بني لوى حريق بالبويرة مستطير
فأحابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

أدام الله ذلك من صنع وحرقت طوائفها السعير
ستعلم ايناً منها بئزه وتعلم أى أرضينا تضير
فلو كان النخيل بها ركاباً لقالوا لا مقام لكم فسيروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم في صحيح البخارى بعض هذه الايات . وذكر ابن اسحاق جواب حسان في ذلك للجل بن جوال الثعلبي تركناه قصداً . قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قريظة :

ألا يا قومي هل لما حم دافع وهل ماضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى قهاقت بنات الحشا وأنهل منى المدامع
صباية وجد ذكرتنى اخوة وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فاضحوا في الجنان وأوحشت منازلهم فالارض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم مطيع له في كل أمر وسامع
فما نكلوا حتى توالوا جماعة ولا يقطع الآجال الا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعاة اذا لم يكن إلا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا اجابتنا الله والموت ناقع

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لأولنا في ملة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده وان قضاء الله لا بد واقع

مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله

في قصر له في أرض خيبر - وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز

قال ابن اسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الانصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين لاتصنع الاوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ الا وقالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الاوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الاوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا الرسول ﷺ في قتله فأذن لهم فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث ابن ربي وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ونهام أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله قال : وكان في عليه له اليها عجلة قال : فأسندها اليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتبس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة نخوفاً أن يكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته فنوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه بأسياقنا فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكيف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال فلما ضربناه بأسياقنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني أي حسبي حسبي . قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثبت يده ووثباً شديداً وحملناه حتى نأى به منهراً من عيونهم فدخل فيه فاوقدوا النيران واشتدوا

في كل وجه يطلبونا حتى اذا يئسوا رجعوا اليه فاكتنفوه وهو يقضى قال قتلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال فقال رجل منا : أنا اذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس قال : فوجدتها - يعني امرأته - ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول : أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت : أتى ابن عتيك بهذه البلاد . ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت : فاطم والله يهود ، فما سمعت كلمة كانت الله على نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه . قال فقال : هاتوا أسياقكم . فحُتُّنا بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام . قال ابن اسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

الله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم مرحا كاسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذقف
مستبصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل أمر مححف

هكذا أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحاق رحمه الله . وقد قال الامام أبو عبد الله البخاري **حدثنا** اسحاق بن نصر **حدثنا** يحيى بن آدم **حدثنا** ابن أبي زائدة عن أبيه عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : بعث النبي ﷺ رهطاً الى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله . قال البخاري : **حدثنا** يوسف بن موسى **حدثنا** عبد الله بن موسى عن اسرئيل عن أبي اسحاق عن البراء قال : بعث رسول الله ﷺ الى أبي رافع اليهودي رجلاً من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فاني منطلق متلطف للبواب لعل أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكنيت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاغاليق على ودّ قال : فقممت الى الاقاليد وأخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسر عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل فقلت ان القوم سدروا الى لم يخلصوا الى حتى أقتله . فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت أبا رافع . قال من هذا . فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجت من البيت فأمكنث غير بعيد ثم دخلت اليه فقتلت ما هذا الصوت

يا أبا رافع فقال لأمك الويل إن رجلا في البيت قتل بالسيف . قال فأضربه ضربة أمتحنته ولم أقتله ثم
 وضعت صبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره ففرقت أني قتله فجعلت أفتح الأبواب يا أبا رافع
 حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أني قد انتهيت فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت
 ساقى فعصبتها بعامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله فلما
 صاح الديك قام الناعي على السور فقال أني أبا رافع ناصر أهل الحجاز فانطلقت الى أصحابي فقلت
 النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانهيت الى النبي ﷺ فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلى ففسحها
 فكأنما لم اشتكها قط . قال البخاري حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الاودي حدثنا شريح حدثنا
 ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق سمعت البراء قال بعث رسول الله ﷺ الى أبي رافع
 عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله
 ابن عتيك امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فانظر قال : فنلطفنا حتى أدخل الحصن ففقدوا حمارا لهم
 فخرجوا بقبس يطلبونه قال : فخشيت أن أعرف قال : فغطيت رأسي وجلست كافي أقضى حاجة
 فقال : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مربوط حمار عند باب
 الحصن فتعشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا الى بيوتهم فلما
 هدأت الاصوات ولا أسمع حركة خرجت قال ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن
 في كوة فأخذته ففتحت به باب الحصن قال قلت ان نذرتي القوم انطلقت على مهل ثم عدت الى
 أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت الى أبي رافع في سلم فاذا البيت مظلم قد طوى
 سراجهم فلم أدر أين الرجل فقلت يا أبا رافع قال من هذا فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح فلم
 تفن شيئا قال ثم جئته كافي أغيبه فقلت مالك يا أبا رافع وغيبت صوتي قال لا أعجبك لأمك الويل
 دخل على رجل فضر بني بالسيف قال فعمدت اليه أيضا فأضربه أخرى فلم تفن شيئا فصاح وقام
 أهله ثم جئت وغيبت صوتي كهيئة المغيث فاذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف في بطنه ثم انكفى
 عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشا حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فاسقط منه فانخلعت
 رجلى فعصبتها ثم أتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ فاني لا أبرح حتى
 أسمع الناعية فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال أني أبا رافع قال فقامت أمشي ما بي قلبه
 فادركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشرته . تفرد به البخاري بهذه السياقات من
 بين أصحاب الكتب الستة ثم قال : قال الزهري قال أبي بن كعب فقدموا على رسول الله
 ﷺ وهو على المنبر فقال أفلحت الوجوه قال أفلح وجهك يا رسول الله قال أفكنتموه قالوا نعم
 قال ناولني السيف فسله فقال اجل هذا طعامه في ذباب السيف . قلت يحتمل أن عبد الله بن عتيك

لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثبت رجله فلما عصيها استكن ما به لما هو فيه من الامر الباهر ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ثم لما وصل الى رسول الله ﷺ واستقرت نفسه ثاوره الوجع في رجله فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ذهاب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل جمعا بين هذه الرواية والتي تقدمت والله أعلم . هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن اسحاق وسعى الجماعة الذين ذهبوا اليه كما ذكره ابن اسحاق و ابراهيم وأبو عبيد

مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلومقتل أبي رافع . قال الامام أحمد حدثني يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال : انه قد بلغني ان خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع الى الناس ليغزوني وهو بعركته فائنه فاقتله . قال قلت يا رسول الله انعه لي حتى أعرفه . قال اذا رأيته وجدت له قشعيرة قال فخرجت متوشحاً سيفي حتى وقعت عليه وهو بعركته مع ظعن يرتاد لمن منزلاً وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعيرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي للركوع والسجود فلما انتهيت اليه قال : من الرجل ؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال أجل انا في ذلك قال فشيت معه شيئاً حتى اذا أمكنتني حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظمائه مكبات عليه فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال أفلح الوجه قال قلت قتلته يا رسول الله قال صدقت قال ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال : امسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس . قال فخرجت بها على الناس فقالوا ماهذه العصا ؟ قال قلت أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها قالوا أولانرجع الى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك . قال فرجعت الى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال آية بيني وبينك يوم القيامة ان أقل الناس المنحسرون يومئذ . قال فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى اذا مات أمر بها فضمت في كفته ثم دفنا جميعاً ثم رواه الامام احمد عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن أنيس - أو قال عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس - عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه . وهكذا رواه أبو داود عن أبي معمر عن عبد الوارث عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر عن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكر نحوه .

ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكره . وقد ذكر قصة عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيها مرسله فأنه أعلم . قال ابن هشام وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله نوائح تفرى كل جيب معد
تناولته والظعن خلني وخلفه بابيض من ماء الحديد المهند
عجوم لهام الدارين كأنه شهاب غضى من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه أنا ابن أنيس فارس غير قعد
أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره رحيب فناء الدار غير مزند
وقلت له خذها بضربة ماجد خفيف على دين النبي محمد
وكنت اذا همَّ النبي بكافر سبقت اليه باللسان وباليد

قلت عبد الله بن أنيس بن حرام أبو يحيى الجعفي صحابي مشهور كبير القدر كان فيمن شهد العقبة وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك وتأخر موته بالشام الى سنة ثمانين على المشهور وقيل توفي سنة أربع وخسين والله أعلم . وقد فرق على بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاري الذي روى عن النبي ﷺ أنه دعا يوم أحد بادواة فيها ماء فخل فيها وشرب منها كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه ثم قال الترمذي وليس اسناده يصح وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق

واسلامه

قال محمد بن اسحاق بعد مقتل أبي رافع وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب ابن اوس الثقفي عن حبيب بن اوس حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : لما انصرفنا يوم الاحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الامور علواً منكراً وأنا لقد رأيت أمراً فما ترون فيه . قالوا وما رأيت قال رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كننا عند النجاشي فاننا ان فكن تحت يديه أحب البنا من أن نكون تحت يدي محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : ان هذا لرأى . قلت : فاجمعوا لنا ما نهدي له فكان أحب ما يهدي اليه من أرضنا الا دم فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده إذ جاءه عمرو بن

أمية الضمرى وكان رسول الله ﷺ قد بعثه اليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت رأيت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتل رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجنت له كما كنت أصنع . فقال : مرحبا بصديقي هل أهديت لى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً . قال ثم قرأته اليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له أيها الملك انى قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطينيه لاقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت الارض لدخلت فيها فرقا . ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك . قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الا كبر الذى كان يأتي موسى فتقتله ؟ قال قلت أيها الملك أ كذاك هو ؟ قال ويحك يا عمرو أظننى وأتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده قال قلت اقتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي اسلامي ثم خرجت عامداً الى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين أبا سليمان ؟ فقال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبي أذهب والله أسلم فحقى متى ؟ قال قلت والله ماجئت الا لاسلم . قال فقدمنا المدينة على النبي ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله انى أبايعك على أن تغفر لى ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر . قال فقال رسول الله ﷺ : يا عمرو بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما كان قبلها . قال فبايعته ثم انصرفت . قال ابن اسحاق وقد حدثني من لا أنهم ان عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبي الزبرى السهمي :

أنشد عثمان بن طلحة خلفنا وملتقى نعال القوم عند المقبل
وما عقد الآباء من كل حلقة وما خالد من مثلها بمحلل
أفتاح بيت غير بيتك تبغى وما تبغى من بيت مجد مؤئل
فلا تأمنن خالداً بعد هذه وعثمان جاء بالدهيم المعضل

قلت كان اسلامهم بعد الحديبية وذلك ان خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتى بيانه فكان ذكر هذا الفصل في اسلامهم بعد ذلك أنسب ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للامام محمد بن اسحاق رحمه الله تعالى لأن أول ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشي كان بعد وقعة الخندق الظاهر انه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم

فصل

في تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ قال هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين . ثم قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن نجيمة حدثنا يحيى بن عبد الحميد أنبأنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن أم حبيبة أنها كانت عند عبد الله بن جحش وكان رحل إلى النجاشي فمات وإن رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها من عنده وما بعث رسول الله ﷺ بشيء . قال وكان مهور أزواج النبي ﷺ أربعائة . قلت والصحيح أن مهور أزواج النبي ﷺ كانت ثلثي عشرة أوقية ونشأ والوقية أربعون درهما والنش النصف وذلك يعدل خمسمائة درهم . ثم روى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة أن عبدة الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله ﷺ زوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه

قلت أما تنصر عبدة الله بن جحش فقد تقدم بيانه وذلك على أثر مهاجرة مع المسلمين إلى أرض الحبشة استزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار إليه حتى مات عليه لعنة الله وكان يعير المسلمين فيقول لهم أبصروا وصاأتم وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة . وأما قول عروة أن عثمان زوجها منه فغريب لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله أعلم . والصحيح ما ذكره يونس عن محمد بن اسحاق قال بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص . قلت وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أصحمة النجاشي ملك الحبشة كما قال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربعائة دينار

وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن اسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ووهنه فاستأذنت علي فأذنت لها فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه فقلت بشرك الله بالخير وقالت يقول لك

الملك وكلى من يزوجك . قالت : فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرهة
سوارين من فضة وخدمتين من فضة كانتا على وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلي سروراً بما
بشرته به . فلما أن كان من العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين
أن يحضروا وخطب النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم . أما بعد فإن رسول الله ﷺ طلب
أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فاجبت الى مادعا اليه رسول الله ﷺ وقد أصدقها أربع مائة
دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم . فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمد واستغفره
وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون . أما بعد فقد أجت الى مادعا اليه رسول الله ﷺ وزوجه أم حبيبة بنت
أبي سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ ودفع النجاشي الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا
أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الانبياء اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج . فدعا بطعام
فأكلوا ثم تفرقوا . قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي
بعد الخندق إنما كان في قضية أم حبيبة فأنه أعلم . لكن قال الحافظ البيهقي ذكر أبو عبد الله
ابن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست وإن تزويجه بأم سلمة كان في سنة
أربع . قلت وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المثنى وابن البرقي وإن تزويج أم حبيبة
كان في سنة ست وقال بعض الناس سنة سبع . قال البيهقي هو أشبه قلت قد تقدم تزويجه عليه
السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ويحتمل أن يكون
بعده وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي
فهو في قضيتها والله أعلم . وقد حكى الحافظ ابن الاثير في الغابة عن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت
من الحبشة الى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها . وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد اسلام
أبيها بعد الفتح واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليماني عن أبي زميل
سماك بن الوليد عن ابن عباس أن ابا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطينهن . قال نعم . قال تؤمرني
على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال نعم . قال ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال
نعم . قال وعندى أحسن العرب واجله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزواجكم . الحديث بتمامه .
قال ابن الاثير وهذا الحديث مما أنكر على مسلم لأن ابا سفيان لما جاء بمجدد المقعد قبل الفتح دخل
على ابنته أم حبيبة فنفت عنه فراش النبي ﷺ فقال والله ما أدرى أرغبت بي عنه أو به عني ؟
قالت بل هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك . فقال والله لقد أصابك بعدى يابنية شر

وقال ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لا يتابع عليه . وقال آخرون أراد أن يحدد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه . وقال بعضهم لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه . وهذه كلها ضعيفة والاحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الاخرى عرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان باختها أم حبيبة كما في الصحيحين وانما وهم الراوى في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً . قال أبو عبيد القاسم بن سلام توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين وقال أبو بكر بن أبي خيثمة توفيت قبل معاوية لسنة وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين

ترويح علىه السلام بزينة بنت جحش

ابن رثلب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمعة الاسدية أم المؤمنين وهي بنت أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة تزوجها عليه السلام سنة خمس زاد بعضهم في ذى القعدة قال الحافظ البيهقي تزوجها بعد بنى قريظة وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده تزوجها سنة ثلاث والاول أشهر وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه السلام حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا إيراد قصداً لثلاث يضعه من لا يفهم على غير موضعه وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في زواج أديانهم اذا قضوا منها وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ . ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾

وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية فالمراد بالذى أنعم الله عليه هاهنا زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعنق وزوجه ابنة عمه زينب بنت جحش . قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخمسة أوملحفة ودرعاً وخمسين مداً وعشرة أمداد من تمر فكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله ﷺ فكان ﷺ يقول له : اتق الله وامسك عليك زوجك . قال الله ﴿ وتخفى في نفسك ما الله مبديه ﴾ قال علي بن الحسين زين العابدين والسدى : كان الله قد علم أنها ستكون من أزواجه فهو الذى كان في نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف هاهنا بآثار

غريبة وبعضها فيه نظر تركناها . قال الله تعالى ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها ﴾ ، ذلك أن زيدا طلقها فلما انقضت عدتها بعث اليها رسول الله ﷺ يخطبها الى نفسها ثم تزوجها وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى كما ثبت في صحيح البخارى عن أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات . وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : أنكحنى الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ﴾ الآية . وروى البيهقي من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله ﷺ يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال أنس : فلو كان رسول الله ﷺ كأمماً شيئاً لكم هذه فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات ثم قال : رواه البخارى عن أحمد عن محمد بن أبى بكر المسمى عن حماد بن زيد ، ثم روى البيهقي من طريق عفان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو الى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش فقال النبي ﷺ : أمسك عليك أهلك فزلت ﴿ وتحنى في نفسك ما الله مبديه ﴾ ثم قال البخارى عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن محمد مختصراً وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جابر عن مغيرة عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي ﷺ انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد تعنى عبد المطلب فانه أبوأبى النبي ﷺ وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب وانى أنكحنيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه السلام . وقال الامام أحمد حدثنا هاشم - يعنى ابن القاسم - حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد اذهب فاذكرها على فانطلق حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها ان رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي . وقلت يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله ﷺ بذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل ثم قامت الى مسجدنا ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ اطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر . قال فانطلق حتى دخل البيت فنهبته أدخل معه فأتى الستر بينى وبينه ونزل

الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾ الآية ، وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة

ذكر نزول الحجاب صبيحة عرسها

الذي ولي الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين وذلك وفق الراي العمري . قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاش حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجاز عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون فاذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر وجاء النبي ﷺ ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا ، فبحثت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فأنهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ الآية ، وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر . ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه . وقال البخاري : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بنى علي النبي ﷺ زينب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجىء قوم فياً كلون ويخرجون ثم يجىء قوم فياً كلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقى ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي ﷺ فانطلق الى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ؟ فتقرئ حجر نسائه كلهن ويقول لمن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي ﷺ فاذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون وكان النبي ﷺ شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدرى أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فخرج حتى اذا وضع رجله في أسكفة الباب واخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب ، تفرد به البخاري من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن اسحاق هو ابن نصر عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد بن أنس بنحو ذلك ، وقال « رجلان » بدل ثلاثة فأنه أعلم قال البخاري : وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيساً ثم حطته في نور فقالت اذهب الى رسول الله ﷺ وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في

جهد فجئت به فقلت يا رسول بعث بهذا أم سليم اليك وهي تقرأك السلام وتقول ان هذا منسأله
 قليل فنظر اليه ثم قال ضعه في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً فسمى رجلاً كثيراً
 قال ومن لقيت من المسلمين فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة
 والحجرة ملاء من الناس . فقلت يا أبا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلثمائة . قال أنس فقال لي رسول
 الله ﷺ جيء فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتخلق عشرة عشرة
 ويسموا وليأكل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول
 الله ﷺ ارفعه قال فجئت فأخذت الثور فنظرت فيه فلا أدري أهو حين وضعته أم أكثر أم حين
 رفعتة قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله ﷺ التي دخل
 بها معهم مولية وجهها الى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله ﷺ وكان أشد الناس
 حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً فقام رسول الله ﷺ فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رآوه
 قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر
 ودخل البيت وأنا في الحجرة فكث رسول الله ﷺ في بيته يسيرا وأنزل الله القرآن فخرج وهو
 يقرأ هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِ
 إِنَاءٍ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى
 النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ
 أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُتَّكَبَرُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِ أَبْدَائِ
 أَنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً . إِنْ تَبَدُّوا شَيْئاً أَوْ تَخَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ قال أنس
 فقرأهن على قبل الناس وأنا أحدث الناس بهن عهداً . وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً
 عن قتبية عن جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم أيضاً
 عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد أبي عثمان به وقد روى هذا الحديث البخاري
 والترمذي والنسائي من طرق عن أبي بشر الاحمسي الكوفي عن أنس بنحوه ورواه ابن أبي
 حاتم من حديث أبي نضرة العبدى عن أنس بنحوه ولم يخرجوه . ورواه ابن جرير من حديث
 عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك . قلت : كانت زينب بنت جحش رضي
 الله عنها من المهاجرات الاول وكانت كثيرة الخير والصدقة وكان اسمها أولاً برة فسماها النبي ﷺ
 زينب وكانت تكنى بأُم الحكم قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين
 من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة . وثبت في الصحيحين كما
 سيأتي في حديث الافك عن عائشة انها قالت وسأل رسول الله ﷺ عني زينب بنت جحش

وهي التي كانت تساميني من نساء النبي ﷺ فعصمها الله بالورع فقالت يا رسول الله احى سمى وبصرى، ما علمت الا خيرا. وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه **حدثنا** محمود بن غيلان **حدثنا** الفضل بن موسى الشيباني **حدثنا** طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله ﷺ **أسرعن** لحوقا بي أطول لكن يداً قالت فكنا نتطاول أينا أطول يداً قالت فكانت زينب أطولنا يداً لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق. انفرد به مسلم. قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازي والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ودفنت بالبقيع وهي أول امرأة صنع لها النعش

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي كان يقال في الحرم منها سرية محمد بن مسلمة قبل نجد وأسروا فيها ثمانية بن اثال اليمامي قلت: لكن في سياق ابن اسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه شهد ذلك وهو انما هاجر بعد خيبر فيؤخر الى ما بعدها والله أعلم. وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان على الصحيح قال ابن اسحاق وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة وولى تلك الحجة المشركون يعني في سنة خمس كما تقدم. قال ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا وشهرى ربيع وخرج في جمادى الاولى على رأس سنة أشهر من فتح بني قريظة الى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع حبيب وأصحابه وأظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم والمقصود انه عليه السلام لما انتهى الى منازلهم هربوا من بين يديه فتحصنوا في رؤوس الجبال فمال الى عسفان فلقى بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف. وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهناك ذكرها البيهقي والاشبه ماذ كره ابن اسحاق انها كانت بعد الخندق وقد ثبت انه صلى بعسفان يوم بني لحيان فلتكتب هاهنا ونحول من هناك اتباعاً لامام أصحاب المغازي في زمانه وبعده كما قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق. وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان:

لوان بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق
لقوا سرعانا مملأ السرب روعه أمام طحون كالحجرة فيلق
ولكنهم كانوا وباراً تنبت شعاب حجاز غير ذى متفق

غزوة ذي قرد

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة فلم يبق بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح النبي ﷺ بالغابة وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح . قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذرهم سلة بن عمرو بن الاكوع الاسلمي غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فاشرف في ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردم بالنبل ويقول :

خذها وانا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع

فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمي رمى ثم قال :

خذها وانا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع

قال فيقول قائلهم : أويكمننا هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله ﷺ صباح ابن الاكوع فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع . فترامت الخيول الى رسول الله ﷺ فكان أول من انتهى اليه من الفرسان المقداد بن الاسود ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن ظهير - يشك فيه - وعكاشة بن محصن ومحرز بن فضلة أخو بني أسد بن خزيمه وأبو قتادة الخارث بن ربيعي أخو بني سلمة وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق قال : فلما اجتمعوا الى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال : أخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس وقد قال النبي ﷺ لا بى عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله ! أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني فمعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن معاص أو عائذ بن معاص بن قيس بن خلدة وكان ثامناً قال وبعض الناس يعد سلمة بن الاكوع ثامناً ويطرح أسيد بن ظهير فالله أعلم أى ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الاكوع يومئذ فارساً قد كان أول من لحق بالقوم على رجله . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن فضلة وكان يقال له الاخرم ويقال له قير وكانت الفرس التي تحته لمحمود بن مسلمة وكان يقال للفرس ذو اللمة

فلما انتهى الى العدو قال لهم : قفوا معشر بني السكينة حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين والانصار قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية من بني عبد الاشهل أي رجع الى مربطه الذي كان فيه بالمدينة

قال ابن اسحاق ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره قال ابن هشام وقد ذكر غير واحد من أهل العلم انه قد قتل معه أيضا وقاص بن مجرز المدلجي . قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزا كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها الجناح فقتل محرز واستلب جناح فأنه أعلم . قال ولما تلاحت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عينة وغشاه برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فاذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله ﷺ ليس بأبي قتادة ولكنه قتل لأبي قتادة ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه قال وادرك عكاشة بن محصن اوبارا وابنه عمرو بن اوبار وهما على بعير واحد فانتظما بالرمح فقتلها جميعا واستنقذا بعض اللقاح قال وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق به الناس فاقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الاكوع يارسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت باعناق القوم فقال رسول الله ﷺ فيما بلغني : انهم الآن ليغبقون في غطفان فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة قال واقبلت امرأة الغفاري على ناقة من ابل النبي ﷺ حتى قدمت عليه المدينة فاخبرته الخبر فلما فرغت قالت يارسول الله اني قد نذرت الله أن أنحرها ان نجاني الله عليها قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال «بئسما جزيتها أن حملك الله عليها ونجأك بها ثم تنحرينها انه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكين انما هي ناقة من ابلي فارجعي الى أهلك على بركة الله » قال ابن اسحاق والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة بما ذكر من الاسناد والسياق . وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خيبر غزوة ذي قرد وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد سمعت سلمة بن الاكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالاولى وكانت لقاح النبي ﷺ ترعى بنى قرد قال فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح النبي ﷺ فقلت من أخذها قال غطفان قال فصرخت ثلاث صرخات واصباحاه قال فاصممت ما بين لابقى المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت راميا وأقول أنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وأنجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة قال وجاء النبي ﷺ والناس فقلت يارسول الله قد حميت

القوم الماء وهم عطاش فابعث اليهم الساعة . فقال « يا ابن الاكوع ، ملكت فأسجج » ثم رجعنا وردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم عن قتبية به ورواه البخاري عن أبي عاصم السهلي عن يزيد بن أبي عبيدة عن موله سلمة بنحوه

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ فخرجت أنا ورباح غلام النبي ﷺ بظهر رسول الله ﷺ وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الابل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله ﷺ فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل فقلت يارباح اقعد على هذا الفرس فالحقه بطلحة وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أغير على سرحه . قال : وقت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه ! قال : ثم اتبعت القوم معي سبي ونبلي فجعلت أرميهم وأعقر بهم وذلك حين يكثر الشجر فاذا رجع إلى فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت فلا يقبل إلى فارس إلا عقرت به فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

قال : فخلق برجل منهم فارميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كتفه فقلت

خذها وأنا ابن الاكوع . واليوم يوم الرضع

فاذا كنت في الشجر أحرقهم بالنبل فاذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرددتهم بالحجارة فما زال ذلك شأني وشأنهم اتبعهم وارتجز حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري فاستنقذته من أيديهم ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رجلاً وأكثر من ثلاثين برودة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة وجمته على طريق رسول الله ﷺ حتى اذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مدداً لهم وهم في ثنية ضيقة ثم علوت الجبل فأنا فوقهم فقال عيينة ما هذا الذي أرى ؟ قالوا لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم اليه نفر منكم . فقام اليه نفر منهم أربعة فصعدوا في الجبل فلما أسمعهم الصوت قلت أتعرفونني قالوا ومن أنت قلت أنا ابن الاكوع والذي كرم وجهه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم ان أظن . قال فما برحت مقعدى ذلك حتى نظرت الى فوارس رسول الله ﷺ يخللون الشجر واذا أولهم الاخرم الاسدي وعلى أثره ابو قتادة فارس رسول الله ﷺ وعلى أثره المقداد بن الاسود الكندي فولى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل

فأخذ عنان فرسه ، ققلت : يا أخرم ائذن القوم - يعنى احذرهم - فأنى لا آمن أن يقتطعوك فأتيت
حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . قال : ياسلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم
أن الجنة حق والنار حق فلا تحمل بينى وبين الشهادة . قال فخلطت عنان فرسه فيلحق بعبد الرحمن
ابن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين فقمر الآخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن
فقتله فتحول عبد الرحمن على فرس الآخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فقمر بأبى
قتادة وقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة على فرس الآخرم . ثم انى خرجت أعدو فى أثر القوم حتى
ما أرى من غبار صحابة النبي ﷺ شيئاً ويعرضون قبل غيبوبة الشمس الى شعب فيه ماء يقال له ذو
قرد فأرادوا أن يشربوا منه فابصروا أعدو وراءهم فمطفوا عنه وأسندوا فى الثنية ثنية ذى بئر
وغربت الشمس وألحق رجلا فارميه ققلت : خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع . قال فقال
يا ثكل أم أكوع بكرة . ققلت نعم أى عدو نفسه . وكان الذى رميته بكرة وأتبعته سهما آخر فعلق
به سهان ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقهما الى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذى أجليتهم عنه ذو
قرد واذا بنى الله ﷺ فى خمسة واذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفت فهو يشوى لرسول الله ﷺ
من كبدها وسنامها فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله خلنى فأتخب من أصحابك مائة فأخذ
على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم غبر إلا قتلته . فقال أكنت فاعلا ذلك ياسلمة ؟ قال قلت نعم والذى
أكرمك . فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه فى ضوء النار ثم قال : انهم يقرءون الآن
بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزوراً فلما أخذوا
يكشطون جلدها رأوا غيرة فتركوها وخرجوا هرا بيا فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ خير فرساننا
أبو قتادة وخير رجالنا سلمة ، فاعطانى رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً ثم أردقنى وراءه
على المضياء راجعين الى المدينة فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفى القوم رجل من الانصار كان
لأيسبق جعل ينادى : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق الى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراءه
رسول الله ﷺ مردق فقلت له : اما تكرم كريماً ولا تنهاب شريعاً ؟ قال : لا الا رسول الله ﷺ
قال قلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى خلنى فلاسابق الرجل . قال : ان شئت . قلت أذهب اليك
فطفر عن راحلته وثبت رجلى فطفرت عن الناقة ثم انى ربطت عليه شرفاً أو شرفين يعنى استبقيت
من نفسى ثم انى عمدت حتى ألحقه فاصك بين كتفيه بيدي قلت سبقتك والله أو كلمة نحوها قال فضحك
وقال : ان أظن . حتى قسمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم عن طريق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده
فسبقته الى المدينة فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا الى خير . ولأحمد هذا السياق . ذكر البخارى
والبيهقى هذه القزوة بعد الحديبية وقبل خير وهو أشبه مما ذكره ابن اسحاق والله أعلم فينبغى

تأخيرها الى أوائل سنة سبع من الهجرة فان خيبر كانت في صفر معها
وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن
اسحاق بروايته عن أبي الزبير عن الحسن البصري مرسلًا . وقد جاء متصلاً من وجوه آخر
وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلب
عن عمران بن حصين قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت
العضباء معه . قال فر به رسول الله ﷺ وهو في وثاق ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة
فقال يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابعة الحاج ؟ فقال رسول الله ﷺ نأخذك بمجريرة حلفائك
تقيف . قال وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي ﷺ . وقال فيما قال مسلم فقال رسول
الله ﷺ لو قتلها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح قال ومضى رسول الله ﷺ فقال يا محمد
اني جائع فاطمئني واني ظمآن فاسقني فقال رسول الله ﷺ هذه حاجتك ثم فدى بالرجلين وحبس
رسول الله ﷺ العضباء لرحله . قال ثم ان المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به وكانت
العضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين . قال وكانوا اذا نزلوا أراحوا ابله بأفنيتهم قال فقامت المرأة
ذات ليلة بعد ما نوموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء فأنتت على ناقة ذلول
مجرسة فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة قال ونذرت ان الله أنجاها عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة
عرفت الناقة فقيل ناقة رسول الله ﷺ قال وأخبر رسول الله ﷺ بنذرها أو أنته فأخبرته
فقال بئس ماجزيتها أو بئس ماجزتها ان أنجاها الله عليها لتنحرنها . قال ثم قال رسول الله ﷺ
لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن
حماد بن زيد

قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الاشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لولا الذي لاقت ومس نسورها	بجنوب ساية أمس في التقواد
للقينكم يحملن كل مدجج	حامي الحقيقة ماجد الاجداد
ولسر أولاد اللقيطة اتنا	سلم غداة فوارس المقداد
كنا نمانية وكانوا جحفلا	لجبا فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلوئهم	ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الراقصات الى منى	يقطن عرض مخارم الاطواد
حتى قبيل الخيل في عرصاتكم	وثوب بالملكات والأولاد
رهوا بكل مقلص وطمرق	في كل معترك عطفن وواد

أفنى دوابرها ولاح متونها يوم تقاد به ويوم طراد
فكذلك ان جسادنا ملبونة والحرب مشعلة بريح غواد
وسيوفنا بيض الحدائد تجلى جنن الحديد وهامة المرتاد
أخذ الاله عليهم لحامه ولعزة الرحمن بالاسداد
كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذى قرد وجوه عناد

قال ابن اسحاق فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين امام رسول الله ﷺ على حسان وحلف لا يكلمه أبداً وقال انطلق الى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد. فاعتذر اليه حسان بأنه وافق الروى اسم المقداد، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد:

إذا أردتمُ الأشدَّ الجداً أو ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهدأ هدأ

قال فلم تقع منه بموقع. وقال حسان بن ثابت في يوم ذى قرد:

أظنَّ عيينة اذ زارها بأن سوف يهدم فيها قصورا
فأكذبت ما كنت صدقته وقلتم سنغم أمراً كبيراً
فمفت المدينة اذ زرتها وآنست للأسد فيها زئيراً
وولوا سراعاً كشد النعام ولم يكشفوا عن ملط حصيراً
أمير علينا رسول المليك أحجب بذاك الينا أميراً
رسول يصدق ما جاءه ويتلو كتاباً مضياً منيراً

وقال كعب بن مالك في يوم ذى قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين:

أبحسب أولاد اللقيطة انسا على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
وانا أناس لانرى القتل سبة ولا نثنى عند الرماح المداعس
وانا لنقرى الضيف من قع الذرى ونضرب رأس الأبلج المتشاورس
نرد كامة المعلمين اذا انتحوا بضرب يسلى نخوة المتقاعس
بكل فتى حامى الحقيقة ماجد كريم كسر حان العضاة مخالس
ينودون عن أحسابهم وبلادهم ببيض تقد الهام تحت القوانس
فسائل بنى بدر اذا ما لقيتهم بما فصل الاخوان يوم التمارس
اذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم ولا تكتموا أخباركم فى المجالس
وقولوا زللنا عن مخالب خادر به وحر فى الصدر ما لم يمارس

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخارى وهى غزوة المريسيع . قال محمد بن اسحاق وذلك فى سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى كان حديث الافك فى غزوة المريسيع هكذا رواه البخارى عن مغازى موسى بن عقبة انها كانت فى سنة أربع . والذى حكاه عنه وعن عروة انها كانت فى شعبان سنة خمس . وقال الواقدي كانت لليلتين من شعبان سنة خمس فى سبعمائة من أصحابه . وقال محمد بن اسحاق بن يسار بعد ما أورد قصة ذى قرد فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبى ذر الغفارى ويقال نميلة بن عبد الله الليثى . قال ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق قالوا : بلغ رسول الله ﷺ ان بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث التى تزوجها رسول الله ﷺ بعد ذلك فلما جمع بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتراحم الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه وقال الواقدي خرج رسول الله ﷺ لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه الى بنى المصطلق وكانوا حلفاء بنى مدلج فلما انتهى اليهم دفع راية المهاجرين الى أبى بكر الصديق ويقال الى عمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عباد ، ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى فى الناس أن قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا ففروا بالنبل ، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد . وثبت فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله ﷺ على بنى المصطلق وهم غارون فى أنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه قال - جويرية بنت الحارث . وأخبرنى عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش . قال ابن اسحاق وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه أصابه رجل من الانصار وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ

وذكر ابن اسحاق أن أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكة مظهرآ للإسلام فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ لانه قتل خطأ فاعطاه ديته ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع

مرتداً الى مكة وقال في ذلك :

شفي النفس ان قد بات بالقاع مسنداً
وكانت هموم النفس من قبل قتله
حللت به وترى وأدركت ثورتى
نأرت به فهراً وحملت عقله
يصرح ثوبيه دماء الاخادع
تلم فتحمينى وطاء المضاجع
وكننت الى الاوثان أول راجع
سراة بنى النجار أرباب فارغ

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الاربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم
وان وجدوا معلقين باستار الكعبة . قال ابن اسحاق فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس
ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه
وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى : يامعشر الانصار
وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد
ابن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما أعدنا وجلايب
قريش هذه الا كما قال الاول « ممن كلبك يا كلك » أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بانفسكم احللتهموم بلادكم
وقاسمتهموم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد
ابن أرقم فمشى به الى رسول الله ﷺ فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال من مر به عباد
ابن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا
ولكن أذن بالرحيل . وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى
عبد الله بن أبي بن سلول الى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه فحلف
بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان فى قومه شريعافاً عظيماً فقال من حضر رسول الله ﷺ من
الانصار من أصحابه يارسول الله عسى ان يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حديثاً
على ابن أبي ودفعاً عنه . فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة
وسلم عليه وقال : يارسول الله والله لقد رحلت فى ساعة منكورة ما كنت تروح فى مثلها . فقال له
رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال أى صاحب يارسول الله ؟ قال عبد الله بن أبي .
قال وما قال قال زعم أنه ان رجع الى المدينة اخرج الأعرز منها الاذل قال فانت والله يارسول الله
تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يارسول الله ارفق فوالله لقد جاءنا الله بك وان
قومه لينظمون له الخرز لينتو جوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكاً . ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس
يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم

يلبثوا ان وجدوا مس الارض فوقموا نياما . وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالامس من حديث عبد الله بن ابي نمر راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقاء فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة فأذتهم وتخوفوها فقال رسول الله ﷺ : لا تخوفوها فانما هبت لموت عظيم من عظام الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رافعة بن زيد بن النابوت أحد بني قينقاع وكان عظيما من عظام اليهود وكهفيا للمنافقين مات ذلك اليوم . وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي . وروى مسلم من طريق الاعمش عن ابي سفيان عن جابر نحو هذه القصة الا أنه لم يسم الذى مات من المنافقين قال هبت ريح شديدة والنبي ﷺ فى بعض أسفاره فقال هذه لموت منافق فلما قدمنا المدينة اذا هو قد مات عظيم من عظام المنافقين . قال ابن اسحاق ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن ابي ومن كان على مثل أمره فأخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم وقال هذا الذى أوفى الله بأذنه . قلت وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن اعادته هاهنا وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك وبالله التوفيق . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن ابي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمولى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى ننسى أن أنظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ بل نترقب به ونحسن صحبته ما بقى معنا . وجعل بعد ذلك اذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلت يوم قلت لى لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . فقال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى . وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لايه عبد الله بن ابي بن سلول عند مضيق المدينة فقال قف فوالله لا تسلمها حتى يأذن رسول الله ﷺ فى ذلك فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه فى ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة . قال ابن اسحاق وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناس وقتل على بن ابي طالب منهم رجلين مالكا وابنه . قال ابن هشام وكان شعار المسلمين : يا منصور أمت أمت

قال ابن اسحاق وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً قسمهم فى المسلمين وقال

البخارى **حدثنا** قتيبة بن سعيد أخبرني اسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز أنه قال دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل فقال أبو سعيد خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتبهنا الفساء واشدت علينا العزوبة وأحببنا العزل وقلنا نازل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال : ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة الا كائنة وهكذا رواه . قال ابن اسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت ابن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسي فجنحتك أستعينك على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال أفضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت . قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس أمهارة رسول الله ﷺ فارسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها . ثم ذكر ابن اسحاق قصة الافك بينهما في هذه الغزوة وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور فليحق بكلامه إلى ها هنا والله المستعان

وقال الواقدي **حدثنا** حرام عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث رأيت قبل قبوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرتي فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ فلما سُبينا رجوت الرؤيا قالت : فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى . قال الواقدي : ويقال ان رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق . وذكر موسى بن عقبة عن بني المصطلق أن أباهما طلبها واقتداها ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوجه إياها

قصة الافك

وهذا سياق محمد بن اسحاق حديث الافك : قال ابن اسحاق **حدثني** الزهري عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة قال الزهري : وكل قد حدثني بهذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت كل الذي حدثني القوم . قال ابن اسحاق : و**حدثني** يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا ، فسكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فإيهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله ﷺ . قالت : وكان النساء إذا كن العلق لم يهجن اللحم فيثقلن وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودجني ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملوني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم أذن مؤذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد في فيه جزع ظفار فلما فرغت انسلت من عنقي ولا أدري فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع فاحتملوه فشده على البعير ولم يشكوا أني فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به فرجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس . قالت فتلفت بمجلبابي ثم اضطلعت في مكاني وعرفت أن لو افتقدت لرجع الناس إلى . قالت فوالله أني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس فرأى سوادى فأقبل حتى وقف على وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رأياني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون طعينة رسول الله ﷺ ؟ وأنا متلفعة في ثيابي . قال ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته . ثم قرب إلى البعير فقال اركبي واستأخر عني . قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما اطمانوا طلع الرجل يقود بي فقال أهل الافك ما قالوا وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى

شديدة لا يبلغني من ذلك شيء . وقد انتهى الحديث الى رسول الله ﷺ والى أبوي لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي كنت اذا اشتكيت رحمتي ولطف بي فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك فانكرت ذلك منه ، كان اذا دخل عليّ وعندي أمي^(١) تمرّضني قال كيف تيكم ؟ لا يزيد علي ذلك قالت حتى وجدت في نفسي فقلت يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي فانتقلت الى امي فرضتني قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمي ولا علم لي بشيء مما كان حتى نكحت من وجعي بعد بضعة وعشرين ليلة وكنا قوماً غريباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الاعاجم لعافها ونكرها انما كنا نخرج في فسخ المدينة وانما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مسطح ابنة ابي رهم بن المطلب قالت فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها فقالت تس مسطح (ومسطح لقب واسمه عوف) قالت فقلت بئس لعمرؤ الله ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدراً قالت أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر قالت قلت وما الخبر فاخبرتني بالذي كان من قول أهل الافك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي قالت وقلت لامي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكريني لي من ذلك شيئاً قالت أي بنية خفي عليك الشأن فوالله لقل ما كانت امرأة حشناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرت وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتنا من بيوتى إلا وهو معي ، قالت وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني في المنزلة عنده غيرها فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة فاشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير يا رسول الله ان يكونوا من الاوس تكفيكم وان يكونوا من اخواننا من الخزرج فرنا أمك فوالله انهم لأهل أن تضرب أعناقهم قالت فقام سعد بن عباد وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد بن حضير كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت وتساور الناس حتى كاد

(١) في سيرة ابن هشام : هي أم رومان ، واسمها زينب بنت عبددهمان احد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة

يكون بين هذين الحيين من الاوس والخزرج شر، ونزل رسول الله ﷺ فدخل على فدعا على بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما فأما أسامة فأنى خيراً وقاله ثم قال يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم الا خيراً وهذا الكذب والباطل . وأما على فانه قال يا رسول الله ان النساء لكثير وانك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها قالت فقام اليها على فضربها ضرباً شديداً ويقول : أصدقى رسول الله ﷺ . قالت فتقول والله ما أعلم الا خيراً وما كنت أعيب على عائشة شيئاً الا انى كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله . قالت ثم دخل على رسول الله ﷺ وعندي أبواى وعندي امرأة من الانصار وأنا أبكى وهى تبكى فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا عائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتق الله وان كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده . قالت فوالله ان هو الا أن قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ فلم يتكلما . قالت وأيم الله لآنا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى قرآننا يقرأ به ويصلى به، ولكنى كنت أرجو أن يرى النبى ﷺ فى نومه شيئاً يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتى ويخبر خيراً وأما قرآننا ينزل فى فوالله لنفسى كانت أحقر عندي من ذلك قالت فلما لم أر أبواى يتكلمان قلت لهما ألا تحييان رسول الله ﷺ ؟ فقالا والله ما ندرى بما نجيبه . قالت ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الايام قالت فلما استعجما على استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبداً والله انى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم انى منه بريئة لأقولن ما لم يكن ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى قالت ثم التمس اسم يعقوب فما أذكره فقلت ولكن سأقول كما قال أبو يوسف **﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾** قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاها من الله ما كان يتغشاها فسجى بثوبه ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت انى بريئة وان الله غير ظالمى وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لنخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس . قالت ثم سرى عن رسول الله ﷺ فجلس وانه ليتحدر من وجهه مثل الجمان فى يوم شات فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشرى يا عائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت قلت الحمد لله . ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك ثم أمر بمسطح بن أمانة وحسان بن ثابت وحننة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حننة

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين عن الزهري . وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حد القنف لحسان ومن معه رواه أبو داود في سننه . قال ابن اسحاق وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاق حسان الذي كان أهله وحنة اذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذي العرش الكريم فأترخوا
وأذوا رسول الله فيها فجللوا مخازي تبقى عمومها وفضحوا
وصبت عليهم محصنات كأنها شأيب قطر في ذرا المزن تسفح
وقد ذكر ابن اسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة
من قريش ممن نخاصم على الماء من أصحاب جهجاه كما تقدم أوله هي :

أمسى الجلايب قد عزوا وقد كثروا وابن الغريفة أمسى بيضة البلد
قد ثكلت أمه من كنت صاحبه أو كان منتشبا في برثن الاسد
ما لقتيلي الذي أعدو فأخذ من دية فيه يعطاها ولا قود
ما البحر حين تهب الريح شامية فيفطئل ويرمي العبر بالزبد
يوماً بأغلب مني حين تبصرني ملغيظ أفرى كفرى العارض البرد
أما قريش فاني لا أسألها حتى ينبؤوا من الغيات للرشد
ويتركوا اللات والعزى بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق فيوفوا بحق الله والوكد
قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تلق ذباب السيف عني فاني غلام اذا هوجيت لست بشاعر

و ذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً فلقه عبد
الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله هل علم رسول الله ﷺ
بشيء من ذلك ؟ قال لا . فاطلقه ثم أتوا كلهم رسول الله ﷺ فقال ابن المعطل : يا رسول الله
آذاني وهجاني فأحتملني الغضب فضربتني . فقال رسول الله ﷺ : يا حسان أنت شوهت على قومي
اذ هداهم الله . ثم قال : أحسن يا حسان فيما أصابك . فقال : هي لك يا رسول الله . فعوضه منها
ببرحاء التي تصدق بها أبو طلحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن . قال :
وكانت عائشة تقول سئل عن ابن المعطل فوجد رجلاً حصوراً ما يأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً
رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة :

حَصَان رِزَان مَاتَزْنُ بَرِيَّة وَتَصْبِحُ غَرَفِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ
عَقِيلَةٌ حَتَّى مِنْ لَوْيَ بْنِ غَالِب كَرَامِ الْمَسَاعِي بِجَدَمِ غَيْرِ زَائِلِ
وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَا تُط بِكَ الدَّهْرُ بَلْ قِيلَ أَمْرِي بِي مَاحِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فَلَا رَفْعَتِ سَوْطِي إِلَى أَنْامِلِي
فَكَيْفَ وَوَدَى مَا حَيَّيْتُ وَنَصَرْتُ لَأَلَّ رَسُولُ اللَّهِ زَيْنَ الْحَاغِلِ
وَإِنْ لَمْ عَزَا تَرَى النَّاسَ دُونَهُ قَصَارًا وَطَالَ الْعَزَّ كُلُّ التَّطَاوُلِ

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهي من قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسِبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ - إلى - مغفرة ورزق كريم ﴿وَمَا أَوْدَاهُنَّ هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق

غزوة الحديبية

وقد كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف . ومن نص على ذلك الزهري ونافع مولى ابن عمر وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذي رواه ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة أنها كانت في ذي القعدة سنة ست . وقال يعقوب بن سفيان حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْخَلِيلِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مَسِيرٍ أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَدِيثِ فِي رَمَضَانَ وَكَانَتِ الْحَدِيثُ فِي شَوَّالٍ . وهذا غريب جدا عن عروة . وقد روى البخاري ومسلم جميعا عن هذبة عن همام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر في ذي القعدة إلا العمرة التي مع حجته . عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ومن الجمرات في ذي القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ البخاري . وقال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوال وخرج في ذي القعدة معتمرا لا يريد حربا . قال ابن هشام واستعمل على المدينة نائلة بن عبد الله الليثي . قال ابن اسحاق واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الأعراب وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربته وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعهظا له . قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قال خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله

فيا بلغني يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة . قال الزهري وخرج رسول الله ﷺ حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر^(١) بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جنود النور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا الى كراع الغميم . قال فقال رسول الله ﷺ يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام واقرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ان رجلا من أسلم قال أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقاً وعراً أجزل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله ﷺ قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للخطئة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها . قال ابن شهاب فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحوض في طريق يخرج على ثنية المزارع الحديبية من أسفل مكة . قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأته خيل قريش فقرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش . وخرج رسول الله ﷺ حتى اذا سلك في ثنية المزارع بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها . ثم قال للناس انزلوا . قيل له يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه . فأخرج سحبا من كنفاته فأعطاه رجلا من أصحابه فترل به في قليب من تلك القلب فمرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن . قال ابن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم ان الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب^(٢) سائق بدن رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ فوالله أعلم أي ذلك كان . ثم استدلى ابن اسحاق للاول ان جارية من الانصار جاءت البئر وناجية أسفله يبيع فقالت :

يا أيها المأمح دولي دونكا اني رأيت الناس يحمونكا

يثنون خيراً ويمجدونكا

(١) قال ابن هشام : ويقال « بشر » (٢) تامة عند ابن هشام : ناجية بن جندب بن عمرو بن عمرو بن دارم بن عمرو بن دائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن أبي حارثة

فأجابها فقال :

قد علمت جلالية يمانيه أنى أنا المأمع واسمى ناجيه
وطعنة ذات رشاش واهيه طعنتها عند صدور العاديه

قال الزهرى فى حديثه : فلما اطمان رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فكلّموه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ، وإن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهمهم وجبهوم وقالوا وإن جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا نحدث بذلك عنا العرب . قال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ مسلمها ومشرکها لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بنى عامر بن لؤى فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله ﷺ وكلّمه قال له رسول الله ﷺ نحو ما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ثم بعثوا بحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الاحابيش وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه رسول الله ﷺ قال : ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائمه قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله ﷺ اعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك . قال فقالوا له : اجلس فانما أنت اعرابى لا علم لك . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبى بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالنا كم ولا على هذا عاهدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظماً له ؟ والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كف عنا حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به . قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا الى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفى فقال : يا معشر قريش انى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرقتكم أنكم والد وانى ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومي ثم جئتكم حتى آسيئتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال يا محمد أجمعت أو شاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وإيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله ﷺ فقال : امصص بظر اللات

أنحن ننكشف عنه؟ قال من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن أبي قحافة. قال أما والله لو لا يد كانت لك عندي
 لكافأتك بها ولكن هذه بهنه قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة
 ابن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، قال: فجعل يقرع يده اذ يتناول لحية رسول
 الله ﷺ ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لاتصل اليك قال فيقول عروة
 ويحك ما أظفك وأغظاك. قال: فتبسم رسول الله ﷺ فقال له عروة من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن
 أخيك المغيرة بن شعبة قال أي غدر وهل غسلت سوءتك إلا بالامس. قال الزهري فكله رسول الله
 ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عند رسول الله ﷺ
 وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق "بصافاً" إلا ابتدروه ولا
 يسقط من شعره شيء إلا أخنوه فرجع الى قريش فقال: يا معشر قريش اني قد جئت كسرى في
 ملكه وقيصر في ملكه والتجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في
 أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً فروا رأيكم. قال ابن اسحاق وحدثني بعض أهل
 العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال
 له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فمقروا به جل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فثمنه الاحابيش
 ثفلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ. قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أنهم عن عكرمة عن
 ابن عباس أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله
 ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا فأتى بهم رسول الله ﷺ فمعا عنهم وخلي سبيلهم وقد
 كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه الى مكة فيبلغ
 عنه أشراف قريش ماجاء له فقال يا رسول الله اني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدى
 أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان
 ابن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم
 يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة فخرج عثمان الى مكة فلقه أبان بن سعيد بن
 العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ
 فانطلق عثمان حتى أتى أبي سفيان وعظاء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به فقالوا لعثمان
 حين بلغ رسالة رسول الله ﷺ إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال ما كنت لأفعل حتى يطوف
 به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل.
 قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل:
 لا نبرح حتى نناجز القوم. ودعا رسول الله ﷺ الى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله ﷺ على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله ﷺ الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجذ بن قيس أخو بني سلمة وكان جابر بن عبد الله يقول والله لكأنني أنظر اليه لاصقاً بأبط ناقته قد ضبأ اليها يستتر من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل . قال ابن هشام وذكر وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الاسدي . قال ابن هشام وحدثني من أتق به عن حدثه باسناد له عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعنان فضرب باحدى يديه على الاخرى . وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الاسناد ضعيف لكنه ثابت في الصحيحين . قال ابن اسحاق : قال الزهري ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي الى رسول الله ﷺ وقالوا آت محمداً وصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا نتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهل الى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى . قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه فأتى اشهد انه رسول الله قال عمر وانا اشهد انه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أليست برسول الله قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال أنا عبد الله ورسوله لن اخالف أمره ولن يضيعني . وكان عمر رضى الله عنه يقول ما زلت أصوم واتصدق وأصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً . قال ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم قال فقال رسول الله ﷺ اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . قال فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك . ولكن أكتب اسمك واسم أبيك . قال فقال رسول الله ﷺ : اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتوالت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده

وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الركب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها . قال : فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ويرسف في الحديد قد انفلت الى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قائم اليه فضرب وجهه وأخذ بتأبيه وقال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت فجعل ينتره بتبليبه ويجره يعني يرده الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أريدُ الى المشركين يفتنونني في ديني ! فزاد ذلك الناس الى ما بهم . فقال رسول الله ﷺ « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . أنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله ، وأنا لا نقدر بهم » قال : فوثب عمر ابن الخطاب مع أبي جندل يمشي الى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فانهما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية . فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلى بن أبي طالب ، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل^(١) وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام الى هديه فنحره ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذي خلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وخلق توابثوا ينحرون ويخلقون . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : خلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ « يرحم الله الخلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله الخلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ! قال : « والمقصرين » قالوا : يا رسول الله فلم ظهرت الترجيم للمخلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا . وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول

(١) أي ضارباً خيامه خارج منطقة الحرم

الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جلالاته في رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البخارى كما سيأتى مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترأها ان شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ونذكر في الاحاديث الصحاح والحسان ما فيه ان شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان

قال البخارى : حدثنا خالد بن مخلد **حدثنا** سليمان بن بلال **حدثنا** صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أتدرون ماذا قال ربكم ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى ، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بى . وهكذا رواه في غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهرى ، وقد روى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة

وقال البخارى **حدثنا** عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال : تعدون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كذا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فترحنها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بأناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركنها غير بعيد ثم انها أصدرت ما شئنا نحن وركأبنا . انفرد به البخارى

وقال ابن اسحاق في قوله تعالى ﴿ فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ : صلح الحديبية . قال الزهرى : فما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئاً الا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج الى الحديبية في ألف وأربع مائة رجل في قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف

وقال البخارى : **حدثنا** يوسف بن عيسى **حدثنا** ابن فضيل **حدثنا** حصين عن سالم عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله ﷺ : ما لكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب الا ما في ركوتك . فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون .

قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابر كم كنتم يومئذ ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن حصين عن سالم بن أبى الجمعد عن جابر به . وقال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة . فقال لى سعيد : حدثنى جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبى ﷺ يوم الحديبية . تابعه أبو داود حدثنا قرة عن قتادة . تفرد به البخارى

ثم قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو وميمت جابراً قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية « أنتم خير أهل الأرض » وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة . وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر قال : إن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال يا رسول الله لا تدخلن حاطب النار . فقال رسول الله ﷺ « كذبت لا يدخلها ، شهد بدرًا والحديبية » رواه مسلم . وعند مسلم أيضاً من طرق ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول أخبرتنى أم ميسرة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا نحنا » فقالت حفصة : بلى يا رسول الله ، فأنهرها ، فقالت حفصة « وإن منكم إلا واردها » فقال رسول الله ﷺ قد قال تعالى « ثم ننحى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » قال البخارى : وقال عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة حدثنى عبد الله بن أبى أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين . تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة . هكذا رواه البخارى معلقاً عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المنثرى عن أبى داود عن اسحق بن إبراهيم عن النضر بن شميل كلاهما عن شعبة به

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن مروان والمِسْوَر بن مخرمة قالا : خرج النبى ﷺ عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بدى الخليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم منها . تفرد به البخارى وسيأتى هذا السياق بتمامه والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن اسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة ، وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه من حيث أن البدن كن سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره فيكون المهلون سبع مائة ، ولا يلزم أن يهدى كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضاً ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يحرم أبو قتادة

حق قتل ذلك الحمار الوحشى فأكل منه هو وأصحابه وحملوا منه الى رسول الله ﷺ فى أثناء الطريق فقال : هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار اليها ؟ قالوا : لا . قال : فكأوا مابقى من الحمار . وقد قال البخارى : حدثنا شعبه بن الربيع حدثنا على بن المبارك عن يحيى عن عبد الله بن أبى قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحديبية فأحرم أصحابى ولم أحرم وقال البخارى حدثنا محمد بن رافع حدثنا شبابة بن سوار الفرزاري حدثنا شعبه عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا طارق عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا اليها العام المقبل فعميت علينا . وقال البخارى أيضاً حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقت حاجاً فمرت بقوم يصلون ، فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان ، قأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد : حدثني أبى أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيتها فلم نذكر عليها . ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يعلموها ، وعلمتموها أنتم ! فأنتم أعلم ؟ ورواه البخارى ومسلم من حديث الثورى وأبى عوانة وشبابة عن طارق . وقال البخارى حدثنا سعيد حدثني أخى عن سليمان عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم قال : لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : على ما يبايع ابن حنظلة الناس ؟ قيل له على الموت ، فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ ، وكان شهد معه الحديبية . وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به . وقال البخارى : حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبى عبيد قلت لسلمة بن الأكوع : على أى شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال : على الموت . ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبى عبيد . وفى صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات فى أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم . وفى الصحيح عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس ، وكان أول من بايع رسول الله ﷺ يومئذ أبو سنان وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن وقيل سنان بن أبى سنان

وقال البخارى : حدثني شعجاع بن الوليد معمم الضرير بن محمد حدثنا صخر بن الربيع عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله الى فرس له عند رجل من الانصار أن يأتى به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدري بذلك ، فبايعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول

الله ﷺ ، وهي التي تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر . وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تغرقوا في ظلال الشجرة فإذا الناس محذقون بالنبي ﷺ فقال يا عبد الله أنظر ما شأن الناس قد أحذقوا برسول الله ﷺ فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع . تفرد به البخاري من هذين الوجهين

ذكر سياق البخاري لعمره الحديبية

قال في كتاب المغازي : حدثني عبد الله بن محمد حدثنا سفيان سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قال أخرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمره وبعث عيناً له من خزاعه ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الاشطاط أتاه عينه قال : إن قریشاً قد جمعوا لك جمعاً وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك ، فقال : أشيروا أيها الناس على أتروا أن أميل إلى عيالم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركنا لهم محروبين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فن صدنا عنه فالتناه . قال امضوا على اسم الله . هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا

وقال في كتاب الشهادات (١) : حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قال أخرج رسول الله ﷺ من الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : إن خالد بن الوليد بالعميم في خيل لقريش طليعة نخفوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حل حل ، فألحت . فقالوا : خلأت القصواء التي خلأت القصواء ، فقال رسول الله ﷺ : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يأتوني خطبة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت ، ففعل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على نمد قليل الماء يتبرضه تبرضاً فلم يلبثه الناس

حق نزحوه ، وشكى الى رسول الله ﷺ العطش فانزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يحيش لهم بالى حتى صدروا عنه ، فبيناهم كذلك إذ جاء بديل بن وقاص الخراعى في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب ابن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا اعداد مياه الحديدية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال النبي ﷺ : انا لم نجى لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قرىشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاموا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فان أظهر فان شاموا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا ، وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لا قاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالتقى ولينفذن أمر الله . قال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قرىشاً فقال : انا قد جئناكم من عند هذا الرجل ومعهناه يقول قولاً فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفيان بن وهب لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال : أى قوم ، ألسن بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أولستم بالولد ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تهمنى ؟ قالوا : لا . قال : ألسن تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى . قال : فان هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعونى آتية ، فقالوا : اتته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ فحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أى محمد أرايت ان استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك ؟ وان تكن الاخرى فانى والله لا أرى وجوها وانى لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك . فقال له أبو بكر : أمصص بظر اللات ، أنحن نفر عنه وتدعه ؟ قال من ذا ؟ قالوا أبو بكر . قال أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجرك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له : أخرج يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا قالوا المغيرة بن شعبة . فقال أى غدر ألسن أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة صاحب قوماً في الجاهلية قتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ : أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء . ثم ان عروة جعل يرمى أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا تواسوا كادوا يقتتلون على وضوءه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيماً له . فرجع عروة الى أصحابه فقال : أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قبصر

وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك به واجبه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا تواضوا كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له ، وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة دعوني آتية . فقالوا آتته . فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابصروها له . فبعثت له واستقبله الناس يلبنون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قُلت وأشعرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مركز بن حفص فقال دعوني آتية . قالوا آتته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ هذا مركز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : لقد سهل لكم من أمركم . قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل فقال هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا باسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله ﷺ : والله أني لرسول الله وإن كذبتوني . اكتب محمد بن عبد الله . قال الزهري : وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله ، إلا أعطيتهم إياها ؟ فقال له النبي ﷺ : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . قال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب . فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيتك من رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا . قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيت عليه أن ترده إلى فقال النبي ﷺ : أنا لم نقض الكتاب بعد . قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي ﷺ : فأجزه لي . قال ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعل قال : ما أنا بفاعل . قال مركز : بلى قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أردت إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت . وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله . فقال عمر رضى الله عنه فأتيته رسول الله ﷺ فقلت : أأنت نبي الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق

وعدوننا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم تعطى الدنيا في ديننا اذن . قال : انى رسول الله ولست
أعصيه وهو ناصرى . قلت : اولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك
أنا تأتية العام ؟ قال قلت لا . قال : فانك آتية ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر
أليس هذا نبي الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال :
قلت : فلم تعطى الدنيا في ديننا اذن . قال أيها الرجل انه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره
فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق . قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال بلى
فأخبرك أنك تأتية العام . فقلت لا . قال فانك آتية ومطوف به . قال الزهرى قال عمر : فعملت
لذلك أعمالاً . قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا ثم
احلقوا . قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم
سلمة فذكر لها ما لقي من الناس . فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم
كلمة حتى تنحر بطنك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر
بطنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأى ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم
يقتل بعضاً غماً . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامنعنوهن - حتى بلغ - بعصم الكوافر ﴾ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك .
ففرز وج احدهما معاوية بن أبى سفيان والاخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبي ﷺ الى المدينة
فجاءه أبو بصير رجل من قریش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذى جعلت لنا .
فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد
الرجلين : والله انى لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً . فاستله الآخر فقال : أجل والله انه لجيد لقد
جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه . فأمكنه منه فضر به حتى برد وفر الآخر حتى
أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه « لقد رأى هذا ذعراً » فلما انتهى
الى النبي ﷺ قال : قُتل والله صاحبي وانى لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى
اللهُ ذمتك ، قد رددتني اليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي ﷺ « ويل امه مسعر حرب لو كان
له أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرة اليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر . قال : وينفلت
منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير ، فجعل لا يخرج من قریش رجل قد أسلم الا
لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقریش الى الشام الا
اعترضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قریش الى النبي ﷺ تناسده بالله والرحم لما
أرسل اليهم فن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ اليهم فأنزل الله تعالى ﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم

وأيدىكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم - حتى بلغ - الحية حمية الجاهلية) وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا أنه نبي الله ولم يقرأوا بيسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن اسحاق عن الزهري ، فقد رواه عن الزهري عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمر ومحمد بن اسحاق كلهم عن الزهري عن عروة عن مروان ومسور ، فذكر القصة

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري عن عروة^(١) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله ﷺ فذكر القصة . وهذا هو الاشبه فان مروان ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن اسحاق حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مفلح سمعت أبا حصين قال قال أبو وائل : لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناها نستخبره فقال : اتهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيفنا عن عواتقنا لأمر يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه ، قبل هذا الأمر ما نسد منها خصباً إلا انفجر علينا خصم ماندرى كيف تأتي له^(٢)

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل في قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، قال فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ، فجئت رسول الله ﷺ فسألت عليه فقال « لقد أنزلت على الآية سورة لمي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) . قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكلماتنا في كتابنا التفسير بما فيه كفاية لله الحمد والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل

(١) في صحيح البخاري (دار الطباعة العامرة ١٣١٥ ج ٣ ص ١٧٢) : عقيل عن ابن شهاب عن عروة (٢) كان جماعة اتهموا سهل بن حنيف بأنه قصر في القتال يوم صفين فقال لهم : اتهموا رأيكم ولا تنهونني ، فاني لا أقصر وقت الحاجة ، كنا زمن النبي ﷺ لا نلبس السلاح لأمريشتد علينا إلا أفضى بنا صلاحنا إلى سهولة ، وأما أمر صفين فنحن لانسد منه جانباً حتى ينفجر علينا منه جانب آخر فلا يمكننا اصلاحه وتلافيه

فصل في ذكر السرايا والبعوث

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

في ربيع الاول منها أو الآخر بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلا الى
... فهربوا منه ونزل على مياهم وبعث في آثارهم وأخذ منهم مائتي بعير فاستاقها
الى المدينة

وفيهما كان بعث أبي عبيدة بن الجراح الى ذى القصة بأربعين رجلا أيضاً فساروا اليهم مشاة
حتى أتوها في عمية الصبح فهربوا منه في رموس الجبال فأسر منهم رجلا فقدم به على رسول الله
ﷺ وبعثه محمد بن مسلمة في عشرة نفر وكن القوم لهم حتى باتوا أصحاب محمد بن مسلمة كلهم
وافلت هو جريحا

وفيهما كان بعث زيد بن حارثة بالحوم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليلة فدلتهم على محلة
من محال بنى سليم فأصابوا منها نساء وأسروا وكان فيهم زوج حليلة هذه فوهبه رسول الله
ﷺ لزوجها وأطلقهما

وفيهما كان بعث زيد بن حارثة أيضاً في جهادى الاولى الى بنى ثعلبة في خمسة عشر رجلا
فهربت منه الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال
وفيهما خرج زيد بن حارثة في جهادى الاولى الى العيص

قال وفيها أخذت الاموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع فاستجار بزينب بنت رسول
الله ﷺ فأجارته . وقد ذكر ابن اسحاق قصته حين أخذت البعير التي كانت معه وقتل أصحابه وفر
هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بدر
فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح فأجاره لها رسول الله ﷺ وأمر الناس برده
ما أخذوا من غيره فردوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها الى مكة
وأدى الى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم وخرج من مكة راجعاً الى المدينة فرداً عليه رسول
الله ﷺ زوجته بالنكاح الاول ولم يحدث نكاحاً ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين اسلامه
 وهجرتها ست سنين وروى سنين . وقد بينا أنه لا منافاة بين الروايتين وان اسلامه تأخر عن وقت
تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين وكان اسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام
الواقدي من أنه سنة ست فאלله أعلم

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر قد أجازته بأموال

وخلع ، فلما كان بحسبى لقيه ناس من جذام ففعلوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث اليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً رضى الله عنه

قال الواقدي **حدثني** عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال خرج على رضى الله عنه في مائة رجل الى أن نزل الى حى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن لم يجمعوا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار اليهم بالليل وكن بالنهار وأصاب عيناً لم فاقه له أنه بعث الى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر

قال الواقدي رحمه الله تعالى وفي سنة ست كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ، وقال له رسول الله ﷺ انهم أطاعوا وتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الاصبع الكلبيه وهى أم أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف

قال الواقدي في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري الى العرنيين الذين قتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم كرز بن جابر فى عشرين فارساً فردّهم وكان من أمرهم ما أخرجه البخارى ومسلم من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رهطاً من عُكْلٍ وعُربنة - وفى رواية من عكل أو عربنة - أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله انا أناس أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف فاستوخنا المدينة . فأمرهم رسول الله ﷺ بدور وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا بناحية الحرّة قتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم ، فبعث النبي ﷺ فى طلبهم فأمرهم بقطع أيديهم وأرجلهم ومهر أعينهم وتركهم فى الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة فبأفنا أن رسول الله ﷺ كان اذا خطب بعد ذلك حصّ على الصدقة ونهى عن المثلة . وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك . وفى رواية مسلم عن معاوية بن قرّة عن أنس أن نفراً من عُربنة أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع فى المدينة الموم - وهو البرسام - فقالوا هذا الموم قد وقع يا رسول الله ، لو أذنت لنا فرجعنا الى الابل . قال نعم فخرجوا فكونوا فيها . فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالابل . وعنده سار من الانصار قريب عشرين فأرسلهم اليهم وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ومهر أعينهم . وفى صحيح البخارى من طريق أيوب عن أبى قلابه عن أنس أنه قال قدم رهط من عكل فأسلموا واجتروا المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال الحقوا بالابل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعى واستاقوا الابل ، فجاء الصريح الى رسول الله ﷺ فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمرهم بسامير فأحيت فكواهم بها وقطع

أيديهم وأرجلهم وأنفاسهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحجمهم . وفي رواية عن أنس قال فلتقد رأيت أحدهم يكسب الأرض بفيه من العطش . قال أبو قلابة فهو لاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ﷺ . وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان عن محمد بن عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال « اللهم عمّ عليهم الطريق » ، واجعلها عليهم أضيق من مسك جمل قال فعمى الله عليهم السبيل فأدركوا فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم . وفي صحيح مسلم انما سملم لانهم سملموا أعين الرعاء

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كما قرره الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى ﴿ وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ولهذا ذهب الى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لأنه ﷺ لم يحج إلا في سنة عشر . وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى ﴿ وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وإنما في هذه الآية الأمر بالانعام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة بما فيه كفاية وفي هذه السنة حرمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا ، فنزل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتَهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنُ حَلُّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الآية وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الافك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم

وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صدّ المشركين رسول الله ﷺ وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمن الناس فيهنّ بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال . وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أما كنهه والله الحمد والمنة . وولى الحج في هذه السنة المشركون قال الواقدي وفيها في ذى الحجة منها بعث رسول الله ﷺ ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة شهيد بدرآ الى الحارث بن أبي شمر الغساني يعنى ملك عرب النصارى ، ورضية بن خليفة السكابي الى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري الى هوزة ابن على الحنفي ، وعمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحبه ابن الحرّ

سنة سبع من الهجرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة خيبر في أولها

قال شعبة عن الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله (وأتابهم فتحاً قريباً) قال خيبر . وقال موسى بن عقبة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج إلى خيبر وهي التي وعده الله إياها . وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست ، والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدمنا : قال ابن اسحاق . ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور قالا : انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فنزل بالرجيع وأدب بين ... غطفان فتخوف أن تقدم غطفان حتى أصبح فغدا عليهم . قال البيهقي وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخه في خروجه أول سنة سبع من الهجرة . وقال عبد الله بن إدريس عن اسحق **حدثني** عبد الله بن أبي بكر قال : لما كان افتتاح خيبر في عقيب المحرم وقدم النبي ﷺ في آخر صفر قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا حسيم يعني ابن عراك عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي ﷺ في خيبر وقد استخلف سباع بن عرفة يعني الغطفاني على المدينة قال فأنتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كهيعص وفي الثانية ويل للمطففين ، فقلت في نفسي ويل لفلان إذا اكتمل بالوفاء وإذا كل كل بالناقص قال فلما صلى ردونا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي ﷺ خيبر قال فكلّم المسلمين فأشركونا في سهامهم . وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خنيم بن عراك عن أبيه عن نضر من بني غفار قال إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره . قال ابن اسحاق وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصفور بنى له فيها مسجداً ثم على الصهباء ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ فباعني أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا

اليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أموالهم وأهلهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر .
وقال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بُشير أن سويد بن النعمان
أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى
المعمر ثم دعا بالازواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فترى فأكل وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضض
ثم صلى ولم يتوضأ . وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم بن اسماعيل
عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع : قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا
ليلاً فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعنا من هنيئاتك - وكان عامر رجلاً شاعراً -
فتزل يحدو بالقوم يقول :

لا مَّ لولا أنت ما اعتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا وألقين سكينه علينا
وثبت الاقدام إن لاقينا انا إذا صيح بنا أيينا
وبالصياح هوّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق قالوا عامر بن الأكوع قال يرحمه الله . فقال رجل من
القوم وجبت يا نبي الله لولا امتنعنا به . فأتينا خيبر فناصرناهم حتى أصابتنا نغصة شديدة . ثم إن الله
فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة فقال رسول الله
ﷺ ما هذه النيران على أي شيء توقدون قالوا على اللحم قال على أي لحم قالوا لحم الحمر الانسية
قال النبي ﷺ اهريقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله أو نهريقها ونفسلها فقال أو ذاك . فلما
تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب
عين ربة عامر فأت منه فلما قفلوا قال سلمة رأى رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي قال مالك قلت
فذاك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبس عمله قال النبي ﷺ كذب من قاله إن له لأجرين - وجمع بين
أصبعيه - أنه لجاهد مجاهد قلّ عربي مشى بها مثله . ورواه مسلم من حديث حاتم بن اسماعيل وغيره
عن يزيد بن أبي عبيد مثله . ويكون منصوباً على الحالية من نكرة وهو سائق إذا دلت على تصحيح
معنى كما جاء في الحديث فصلى وراءه رجل قياماً . وقد روى ابن اسحاق قصة عامر بن الأكوع
من وجه آخر فقال حدثني : محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر
الاسلمى أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع وهو
عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : أنزل يا ابن الأكوع نخد لنا من هنائك فقال فتزل يرتجز لرسول
الله ﷺ :

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
انا اذا قوم بغوا علينا وان أرادوا فتنة ابينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الاقدام ان لا قينا

فقال رسول الله ﷺ يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب وجبت يا رسول الله لو أمتعتنا به .
فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كمنحو ما ذكره البخارى . قال ابن اسحاق : وحدثني من
لأنهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمى عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ لما
أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين
وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها
وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله . وهذا حديث غريب
جداً من هذا الوجه . وقد رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن المطاردى عن يونس بن
بكير عن إبراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن صالح بن كيسان عن أبي مروان الأسلمى عن أبيه عن
جده قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر حتى اذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال رسول الله
ﷺ للناس قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما
أقللن ورب الشياطين وما أضللن فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من
شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن اسحاق وحدثني من لأنهم عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ اذا غزا
قوماً لم يغز عليهم حتى يصبح فان سمع أذاناً أمسك وان لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلا فبات
رسول الله ﷺ حتى أصبح لم يسمع أذاناً فركب وركبنا معه وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي
لنفس قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكانتلهم ، فلما رأوا
رسول الله ﷺ والجيش قالوا : محمد والحديس معه ، فأدبروا هرباً ، فقال رسول الله ﷺ : الله
أكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال ابن اسحاق حدثنا
هرون عن حميد عن أنس بمثله

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك
أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلا وكان اذا أتى قوماً بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت
اليهود بمساحيهم ومكانتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله ، محمد والحديس فقال رسول الله ﷺ :
خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به دون مسلم
وقال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا أبو عيينة حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن

أنس بن مالك قال : صبحنا خير بكرة فخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا : محمد والله ، محمد والحديس ! فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر خربت خير ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال فأصبنا من لحوم الحمر فننادى منادى النبي ﷺ : إن الله ورسوله ينهيا نكم عن لحوم الحمر فاتها رجس . تفرد به البخاري دون مسلم

وقال الامام أحمد حدثني عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما أتى النبي ﷺ خير فوجدهم حين خرجوا الى زرعهم ومساحيهم فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبي ﷺ الله أكبر خربت خير ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين

وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال ﷺ الصبح قريب من خير بفلس ، ثم قال الله أكبر خربت خير أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبي الذرية وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز ابن صهيب لثابت يا أبا محمد أنت قلت لأنس ما صدقها ، فحرك ثابت رأسه تصديقا له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن لحوم الحمر الاهلية من طرق تذكر في كتاب الاحكام

وقد قال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو طاهر الفقيه أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسي حدثنا محمد بن حميد الايبوردي حدثنا محمد بن الفضل عن مسلم الاور الملائى عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويتبع الجنائز ويحبيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بنى قريظة والنضير على حمار ويوم خير على حمار مخطوم برسن ليف وتحتة اكاف من ليف . وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي عن علي بن حجر عن علي بن مسهر ، وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان وعن عمر بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملائى الاور الكوفي عن أنس به . وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديثه وهو يضعف . قلت والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس ان رسول الله ﷺ أجرى في رفاق خير حتى انحسر الازار عن فخذه ، فالظاهر انه كان يومئذ على فرس لا على حمار . وامل هذا الحديث ان كان صحيحا محمول على انه ركبه في بعض الايام وهو محاصرهما والله أعلم

وقال البخاري حدثنا محمد بن سعيد الخزازي حدثنا زياد بن الربيع عن أبي عمران الجوني قال نظر أنس الى الناس يوم الجمعة فرأى طيالة فقال كأنهم الساعة يهود خير . وقال البخاري : حدثنا

عبد الله بن مسleme حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : كان علي بن أبي طالب يخاف من رسول الله ﷺ في خيبر وكان رمداً فقال أنا أخاف من النبي ﷺ ؟ فلحق به . فلما بقنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لأعطين الراية غداً (أو ليأخذن الراية غداً) رجل يحب الله ورسوله يفتح عليه . فنحن نرجوها . فقبل هذا علي فأعطاه ففتح عليه . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتبية عن حاتم به . ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدواً على النبي ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال فأرسل اليه فأتى فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال ﷺ أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم . وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به . وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سهل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه ، قال عمر فما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فدعا علياً فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت . قال علي : على ما أقاتل الناس ؟ قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منادياهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ه لفظ البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا مصعب بن المقدام وجعش بن المنى قال حدثنا اسراويل حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي سمعت أبا سعيد الخدري رضى الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهزها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال أنا ، قال : امض ، ثم جاء رجل آخر فقال امض ، ثم قال النبي ﷺ : والذي كرم وجهه محمد لا أعطينها رجلاً لا يفر فقال هالك يا علي . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها . تفرد به أحمد واسناده لا بأس به ، وفيه غرابة وعبد الله بن عصمة ويقال ابن أعصر وهكذا يسكني بأبي علوان العجلي وأصله من البصرة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة لا بأس به ، وقال أبو حاتم شيخ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال بخطي كثير آ وذكره في الضعفاء ، وقال يحدث عن الاثبات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق الى القلب أنها موهومة أو موضوعة

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق : حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضى الله عنه قال : بعث النبي ﷺ أبا بكر رضى الله عنه الى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح . فقال رسول الله ﷺ : لا عطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله . يفتح الله على يديه وليس بفراار . قال سلمة فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يومئذ أرمم فتمفل فى عينيه ثم قال : خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك ، فخرج بها والله يصول^(١) يهرول هرولة وإنا خلفه نذبغ أثره حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . فقال اليهودى : غلبتم وما أنزل على موسى ، فما رجع حتى فتح الله على يديه

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا العطاردى عن يونس بن بكير عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة أخبرني أبى قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : لا تدفن لوأى غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ان يرجع حتى يفتح الله له ، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً ، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ثم دعا بالواء وقام قائماً فما منا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تطاولت أنا لها ورفعت رأسى لمنزلة كانت لى منه ، فدعا على بن أبى طالب وهو يشتكى عذبه قال فمسحها ثم دفع اليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبد الله بن بريدة يقول : حدثني أبى أنه كان صاحب مرحب قال يونس قال ابن اسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحي منه فقتلته

ثم روى البيهقى عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلمة الازدى حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة^(٢) فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس ، وان أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال لا عطينها غداً^(٣) يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

(١) فى نسخة يساج

(٢) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس والى أحد جانبيه

(٣) يظهر سقوط « رجلاً » كما تقدم فى الأحاديث السابقة

يأخذها عنوة . وليس ثمَّ عليٌّ ، فتطاوالت لها قریش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بهـ ير له حتى أناخ قريباً وهو أرمـد قد عصب عينه بشقة برد قطري ، فقال رسول الله ﷺ : مالك ؟ قال : رمدتُ بعدك ، قال ادنُ مني فتغل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شك سلاحى بطل مجرب
إذا اللبوث أقبلت تلهب وأحجمت عن صولة المغلب
فقال علي رضي الله عنه :

أنا الذى ستمنى أمى حيدره كليث غابات شديدة القسوره
أكيلكم بالصاع كيل السندره^(١)

قال فاختلفا ضربتين ، فبدره على بضربة فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه ووقع فى الأرض ، وأخذ المدينة

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب عن عبد الله بن بكر عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قصة بعث أبى بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث على فكان الفتح على يديه . وفى سياقه غرابة ونكارة وفى اسناده من هو منهم بالتشيع والله أعلم وقد روى مسلم والبيهقى واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم من غزوة بنى فزارة قال : فلم نمكث الا ثلاثاً حتى خرجنا الى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صالينا
ونحن من فضلك ما استغنيينا فأنزلن سكينه عايننا
وثبت الأقدام ان لاقينا

قال فقال رسول الله ﷺ : من هذا القائل ؟ فقالوا عامر . فقال غفر لك ربك . قال وما خص رسول الله ﷺ قط أحداً به الا استشهد . فقال عمر وهو على جبل : لولا متمنا بعامر . قال فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

(١) السندرة : مكيال واسع . أراد : اقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خير أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلعا ضربتني فوق سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسمل له فرجع على نفسه
فقطع أكله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون
بطل عمل عامر قتل نفسه . قال فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقال مالك ؟ قلت قالوا ان
عامراً بطل عمله . فقال من قال ذلك ؟ قلت نفر من أصحابك . فقال كذب أولئك بل له الاجر
مرتين . قال وأرسل رسول الله ﷺ الى علي رضى الله عنه يدعوه وهو أرمده وقال لأعطين
الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله . قال فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله ﷺ في عينه
فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له على وهو يقول :

أنا الذى صممتى أمى حيدره كليث غابات كرى المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح . هكذا وقع في هذا السياق ان علياً هو الذى
قتل مرحباً اليهودى لعنه الله

وقال أحمد حدثنا حسين بن حسن الأشقر حدثني قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن جده عن
علي قال : لما قتلت مرحباً جئت برأسه الى رسول الله ﷺ

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري ان الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة . وكذلك قال
محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن سهل أحد بني حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب
اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

أطمن أحياناً وحيناً أضرب اذا الليوث أقبلت تلهب

ان حماي لأحمى لا يقرب

قال فأجابه كعب بن مالك :

قد علمت خير أنى كعب مفرج الغم جري صلب

اذ شبت الحرب وثار الحرب معي حسام كالعقيق غضب
يطأ كمو حتى يذل الصعب بكف ماض ليس فيه عيب

قال وجعل مرحب يرتجز ويقول : هل من مبارز . فقال رسول الله ﷺ من لهذا . فقال
محمد بن مسلمة أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور والنائر قتلوا أخى بالامس . فقال قم اليه اللهم
أعنه عليه . قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية ^(١) من شجر العُشْر ^(٢)
المسد فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه حتى برز
كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها قن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه
فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فاضت فاستله وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله

وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن ابن اسحاق بنحوه .

قال ابن اسحاق : وزعم بعض الناس ان محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خيبر أنى ماضٍ حلوا اذا شئت وسم قاضٍ

وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ان محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً ثم
ذكر الواقدي ان محمداً قطع رجلى مرحب فقال له أجهز عليّ . فقال لا ذق الموت كما ذاقه محمود بن
مسلمة . فربه على وقطع رأسه فاختمها في سلبه الى رسول الله ﷺ فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن
مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيف مرحب من يذقه يعطب

ثم ذكر ابن اسحاق ان أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول هل من مبارز . فزعم هشام
ابن عروة ان الزبير خرج له فقالت أم صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يارسول الله فقال بل
ابنك يقتله ان شاء الله فالتقيا فقتله الزبير . قال فكان الزبير اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ
صارما يقول والله ما كان بصارم ولكني أكرهه

وقال يونس عن ابن اسحاق عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : خرجنا
مع علي الى خيبر بعثه رسول الله ﷺ برأيه فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم
فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باب الحصن فترس به عن نفسه فلم
يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم
نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه . وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . ولكن

(١) هي الشجرة العظيمة القديمة التي أتى عليها عمر طويل

(٢) هو شجر له صمغ يقال له سُكْر العُشْر

روى الخافظ البيهقي والحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر الباقر عن جابر أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتحوها وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً . وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب

وقال البخاري حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ماهذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي ﷺ فنفت فيه ثلاث نفثات فما اشتكتها حتى الساعة

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال : التقي النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتنلوا ، فقال كل قوم الى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضر بها بسيفه ، فقبل يارسول ما أجزأ منا أحد ما أجزأ فلان . قال انه من أهل النار . فقالوا أينما من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لا تبعنه فاذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين يديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل الى النبي ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟ فأخبره فقال : ان الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وأنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وأنه من أهل الجنة . رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب عن أبي حازم عن سهل فذكره مثله أو نحوه

ثم قال البخاري : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعى الاسلام هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يارسول الله صدق الله حديثك انتحرق فلان فقتل نفسه . فقال قم يا فلان فاذه أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الايمان والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قالوا وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال ما تريدون قالوا نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي . فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بغمسه حتى عمد لرسول الله ﷺ فقال الى ماتدعو ؟ قال أدعوك الى الاسلام الى أن تشهد أن لا إله

إلا الله وأنى رسول الله وأن لا تمبدوا إلا الله . قال فقال العبد فإذا يكون لى ان شهدت بذلك وأمنت بالله قال رسول الله ﷺ الجنة إن مت على ذلك . فأسلم العبد فقال يابى الله ان هذه الغنم عندى أمانة . فقال رسول الله ﷺ أخرجهما من عسكرنا وارمها بالحصى فان الله سيؤدى عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم الى سيدها فعرف اليهودى أن غلام قد أسلم . فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس فذكر الحديث فى اعطائه الراية علياً ودنوه من حصن اليهود وقتله مرحباً وقتل مع على ذلك العبد الأسود فاحتمله المسلمون الى عسكرهم فادخل فى الفسطاط فزعوا أن رسول الله ﷺ اطلع فى الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام فى قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة

ثم قال البيهقى حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه حدثنا أبو بكر القطان حدثنا أبو الازهر حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انى رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لى فان قاتلت هؤلاء حتى اقتل أدخل الجنة؟ قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول فقال : لقد حسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك . وقال لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتمازغان جيته عليه يدخلان فيما بين جلده وجيته . ثم روى البيهقى من طريق ابن جريج أخبرنى عكرمة بن خالد عن ابن أبي عمار عن شداد ابن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فأمن به واتبعه فقال أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ قسمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه اليه فقال ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله ﷺ فقال ما على هذا اتبعتك وليكنى اتبعتك على أن أرمى هاهنا وأشار الى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال ان تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا الى قتال العدو فأتى به رسول الله ﷺ يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ : هو هو؟ قالوا نعم . قال صدق الله فصدقته . وكفنه النبي ﷺ فى جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فى سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد . وقد رواه النسائي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه

فصل

قال ابن اسحاق : وتدنى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصناً حصناً وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحي منه فقتلته ثم التعموص حصن بنى أبي الحقيق . وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهن صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنى عم لها فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها . قال وفشت السبايا من خير في المسلمين وأكل الناس لحوم الحمر فدكر نهي رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها . وقد اعتنى البخارى بهذا الفصل فأورد النهي عنها من طرق جيدة وتحرى بها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة . وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس الى إباحتها وتنوعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها فقبل لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في الحولة وقيل لأنها لم تكن خست بعد وقيل لأنها كانت تأكل العذرة يعنى جلالة والصحيح أنه نهى عنها لذاتها فان في الأثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله ﷺ أن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فأنها رجس فاكتموها والقذور تغور بها . وموضع تقرير ذلك في كتاب الأحكام . قال ابن اسحاق : حدثني سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله ولم يشهد جابر خير أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ يوم خير عن لحوم الحمر ورخص في الخيل . لفظ البخارى

قال ابن اسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مكحول أن النبي ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الجبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المفاتم حتى تقسم . وهذا مرسل . وقال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرزوق مولى نجيب عن حسن الصنعاني قال : غزونا مع ربيعة بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فيها خطيباً فقال : أيها الناس انى لا أقول فيكم الا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خير قام فينا رسول الله ﷺ فقال : لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماء زرع غيره يعنى إتيان الجبالى من السبي لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم

الآخر أن يبيع مغنا حتى يقسم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجبها ردها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوما من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه . وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن اسحاق . ورواه الترمذى عن حفص بن عمرو والشيبانى عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ربيعة بن سليم عن بشر بن عبيد الله عن رويغ بن ثابت مختصراً وقال حسن

وفي صحيح البخارى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم . وقد حكى ابن حزم عن على وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا الى تحريم البصل والثوم النوى . والذي نقله الترمذى عنهما الكراهة فأنه أعلم . وقد تكلم الناس فى الحديث الوارد فى الصحيحين من طريق الزهرى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية . هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره عن الزهرى وهو يقتضى تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثم نساء يتمنعون بهن اذ قد حصل لهم الاستغناء بالسبائك عن نكاح المتعة . الثانى : أنه قد ثبت فى صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة عن معبد عن أبيه أن رسول الله ﷺ أذن لهم فى المتعة زمن الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : ان الله قد حرمها الى يوم القيامة فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد . ومع هذا فقد نص الشافعى على أنه لا يعلم شيئاً أبيع ثم حرم ثم أبيع ثم حرم غير نكاح المتعة وما حداه على هذا رحمه الله الا اعتماداً على هذين الحديثين كما قدمناه (١)

وقد حكى السهلبى وغيره عن بعضهم أنه ادعى أنها أبيع ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات وقال آخرون أربع مرات وهذا بعيد جداً والله أعلم . واختلفوا أى وقت أول ما حرمت فقيل فى خيبر وقيل فى مرة القضاء وقيل فى عام الفتح وهذا يظهر وقيل فى أوطاس وهو قريب من الذى قبله وقيل فى تبوك وقيل فى حجة الوداع رواه أبو داود

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث على رضى الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير وإنما المحفوظ فيه ما رواه الامام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهرى عن الحسن وعبد الله ابني محمد

عن أبيهما - وكان حسن أرضاهما في أنفسهما - أن علياً قال لابن عباس: إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المنعة وعن لحوم الجر الاهلية زمن خيبر . قالوا فاعتقدنا الراوى ان قوله خيبر ظرف للنهي عنهما وليس كذلك انما هو ظرف للنهي عن لحوم الجر ، فأما نكاح المنعة فلم يذكر له ظرفا وانما جمعه معه لأن علياً رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المنعة ولحوم الجر الاهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : انك امرؤ تائه أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المنعة ولحوم الجر الاهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقد في ذلك من الاباحة . وإلى هذا التقرب كان ميل شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى فعمده الله برحمته آمين . ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب [اليه] من [اباحة] الجر والمنعة ، أما النهي عن الجر فتأوله بأنها كانت حواتهم وأما المنعة فانما كانت يبيعها عند الضرورة في الاسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرفاهية والوجدان وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز الى زمن ابن جريج وبعده . وقد حكى عن الامام أحمد بن حنبل رواية كذهب ابن عباس وهي ضعيفة وحاول بعض من صنف في الحلال نقل رواية عن الامام بمنزل ذلك ولا يصح أيضاً والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب الاحكام وبالله المستعان

قال ابن اسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والاموال فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض من أسلم أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إني قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنى وأكثرها طعاماً وودكاً . ففدا الناس ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه (١)

قال ابن اسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الاموال ما حاز انتهوا الى حصنهم الوطيع والسلام وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً فحاصرهم رسول الله ﷺ بضعة عشر ليلة . قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر يا منصور أمت أمت

قال ابن اسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان الاسدي الاسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال : أتى لم رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية اذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله ﷺ من رجل يطعمنا من هذه الغنم قال أبو اليسر

(١) الودك : دسم اللحم ودُهْنه الذي يستخرج منه

فقلت أنا يا رسول الله قال فافعل . قال فخرجت أشد مثل الظليم فلما نظر الى رسول الله ﷺ مولياً قال اللهم أمتعنا به قال فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن فأخذت شاتين من أخراها فاحتضفتهما تحت يدي ثم جئت بهما أشد كأنه ليس معي شيء حتى ألقينهما عند رسول الله ﷺ فذبوهما فأكلوهما فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً وكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امنعوا بي لعمرى حتى كنت من آخرهم . وقال الحافظ البيهقي في الدلائل أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني حدثنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا سعدان بن نصر حدثنا أبو معاوية عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدي أو عن أبي قلابة قال لما قدم النبي ﷺ خيبر قدم والثرمة خضرة قال فأسرع الناس اليها فحموا فشكوا ذلك اليه فأمرهم أن يقرسوا الماء في الشنان^(١) ثم يجرؤنه عليهم إذا أتى الفجر ويذكرون اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكانت نشطوا من عقل . قال البيهقي وروى عنه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً وعنه بين صلاتي المغرب والعشاء . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى وبهرز قال حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال حدثنا عبد الله بن مغفل قال دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت لأعطي أحداً منه شيئاً قال فالتفت فإذا رسول الله ﷺ يتبسّم . وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال كنا نحاصر قصر خيبر فالتقى البنا جراب فيه شحم فذهبت فأخذته فرأيت النبي ﷺ فاستحييت وقد أخرجه صاحبها الصحيح من حديث شعبة . ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ عن عثمان ابن المغيرة . وقال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال أصبت من فيء خيبر جراب شحم قال فاحتلمته على عنقي الى رحلى وأصحابي قال فلقمني صاحب المغنم الذي جعل عليها فأخذ بناحيته وقال هلم حتى تقسمه بين المسلمين قال وقلت لا والله لا أعطيكه قال وجعل يجاذبني الجراب قال فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسّم ضاحكاً ثم قال لصاحب المغنم خل بينه وبينه قال فأرسله فاطلقت به الى رحلى وأصحابي فأكلناه . وقد استدلل الجمهور بهذا الحديث على الامام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال لكم قال وليس هذا من طعامهم فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم . وقد استدللوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يتخمس ويعضد ذلك ما رواه الامام أبو داود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية حدثنا اسحاق الشيباني عن محمد بن أبي مجالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال قلت كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ فقال أصبنا طعاماً يوم خيبر وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف . تفرد به أبو داود وهو حسن

ذكر قصة صفية بنت حيي بن أخطب النضيري رضي الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجلي رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة كما تقدم فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي الحقيق وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها فلما زفت إليه وادخلت إليه بني بها ومضى على ذلك ليالي رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها فقصت رؤياها على ابن عمها فلعلم وجهها وقال أتمنين ملك ينرب أن يصير بملك. فما كان إلا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إيام فكانت صفية في جملة السبي وكان زوجها في جملة القتلى. ولما اصطفاها رسول الله ﷺ وصارت في حوزة ومسلكه كما سيأتي وبني بها بعد استبرائها وحلها وجد أثر تلك اللطمة في خدها فسألها ما شأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها قال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال: صلى النبي ﷺ الصبح قريبا من خيبر بفلس ثم قال: الله أكبر خربت خيبر، أنا إذا نزانا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبي الذرية، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها. ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد وله طرق عن أنس. وقال البخاري: حدثنا آدم عن شعبة عن عبد العزيز ابن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سبي النبي ﷺ صفية فأعتقها وتزوجها. قال ثابت لأنس ما أصدقها قال أصدقها نفسها فأعتقها تفرد به البخاري من هذا الوجه. وقال البخاري حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح. وحدثنا أحمد بن عيسى حدثنا ابن وهب أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك قال: قدمنا خيبر فلما فتح ﷺ الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه فخرج بها حتى بلغ بها سد الصبابة حلت فبني بها رسول الله ﷺ ثم صنع حيسا في نطع صغير ثم قال لي: آذن من حولك فكانت تلك ولبنته على صفية. ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي ﷺ يموت لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بغيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تتركب. تفرد به دون مسلم. وقال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مرجم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حميد أنه سمع أنسا يقول: أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبني عايه بصفية فدعوت المسلمين إلى ولبنته وما كان فيها من خبز ولحم وما كان فيها إلا أن أمر بلالا بالانطاع فبسطت فألقى عليها التمر والاقط والسمن فقال المسلمون احدي أمهات المؤمنين أو

ما ملكت يمينه ؟ فقالوا ان حجبتها فهي احدى أمهات المؤمنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه .
 فلما ارجمها وطأ لها خلفه ومد الحجاب . انفرد به البخارى . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا حماد بن
 زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدية السكلى ثم صارت
 لرسول الله ﷺ . وقال أبو داود حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن عليه عن عبد العزيز بن
 صهيب عن أنس قال : جمع السبي - يعنى بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله اعطني جارية من السبي
 قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حبي فجاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله أعطيت
 دحية قال يعقوب صفية بنت حبي سيدة قرظلة والنضير ما تصلح الا لك قال ادهوا بها فلما نظر
 اليها النبي ﷺ قال خذ جارية من السبي غيرها وان رسول الله ﷺ اعتقها وتزوجها . وأخرجاه من
 حديث ابن عليه . وقال أبو داود حدثنا محمد بن خلاد الباهلي حدثنا بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة
 حدثنا ثابت عن أنس قال وقع في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ثم
 دفعها الى أم سلمة تصنعها وتهيشها قال حماد وأحسبه قال وتعندني بيتها صفية بنت حبي . تفرد به أبو داود
 قال ابن اسحاق فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص حصن بنى أبي الحقيق أتى بصفية بنت حبي
 ابن أخطب وأخرى معها فربهما بلال - وهو الذى جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع
 صفية صاحت وصكت وجهها وحشت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال : أعز بوا
 عني هذه الشيطانة . وأمر بصفية فحبرت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ
 قد اصطفاهما لنفسه . وقال رسول الله ﷺ لبلال فيما بلغنى حين رأى بتلك اليهودية ما رأى :
 أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي
 عروس بكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قرا وقع في حجرها ، فمرضت رؤياها على زوجها
 فقال : ما هذا الا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لكمة خضر عينها منها . فأتى بها
 رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هذا ، فأخبرته الخبر . قال ابن اسحاق . وأتى رسول الله
 بكثانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله عنه فجحد ان يكون يعلم مكانه . فأتى رسول
 الله ﷺ رجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة
 فقال رسول الله ﷺ لكثانة أرايت ان وجدناه عندك أقتلك ؟ قال نعم . فأمر رسول الله ﷺ
 بالخربة فحمرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله ﷺ
 الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده . وكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف
 على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

فصل

قال ابن اسحاق وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم الوطيج والسلام حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل ، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الاموال كلها الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم الا ما كان من ذبك الحصنين ، فلما سمع أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله ﷺ ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محبصة بن مسعود أخو بني حارثة . فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الاموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأمر لها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أننا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وعامل أهل فدك بمنل ذلك

فصل في فتح حصونها وقسيمه أرضها

قال الواقدي لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ الى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما نستريح به من أهل النطاة ونخرج الى أهل الشق فان أهل الشق قد هلكوا رعباً منك قال فأمنه رسول الله ﷺ على أهله وماله فقال له اليهودي انك لو أقت شهرآ تحاصرهم ما بالوا بك ، ان لهم تحت الارض دبولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون الى قلعته . فأمر رسول الله ﷺ بقطع دبولهم فخرجوا فقاتلوا أشد القتال وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة وافتتحه رسول الله ﷺ وكان آخر حصون النطاة . وتحول الى الشق وكان به حصون ذوات عدد فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا الى البراز فبرز اليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعاً فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه وبرز منهم آخر فقام اليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي فنهض اليه أبو دجانة فقتله وأخذ سلبه وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجانة فوجدوا فيه أنثاء ومناجاً وغنا وطعاماً وهرب من كان فيه من المقاومة وتقهحوا الجزر كأنهم الضباب حتى صاروا الى حصن البراة بالشق وتنعوا أشد الامتناع فزحف اليهم رسول الله ﷺ وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة حتى أصاب نبلهم بناته عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساخ في الارض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد . قال الواقدي :

ثم تحول رسول الله ﷺ إلى أهل الأخبية والوطيح والسلام حصنى أبي الحقيق ونحصنوا أشد التحصن وجاء اليهم كل من كان انهمز من النطاة إلى الشق فتحصنوا معهم في القموص وفي الكتبية وكان حصناً منيعاً في الوطيح والسلام وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى هم رسول الله ﷺ أن ينصب المنحنيق عليهم فلما أيقنوا بالملكة وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق فصالحه على حق دمائهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحاقة وعلى البر إلا ما كان على ظهر الإنسان يعني لباسهم فقال رسول الله ﷺ وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم شيئاً فصالحوه على ذلك قلت ولهذا لما كنتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة تبين أنه لا عهد لهم فقتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله بسبب نقض اليهود منهم والمواثيق

وقال الحافظ البيهقي حدثنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ الأسفرائيني حدثنا الحسن بن محمد ابن اسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبيد الله بن عمر فيما يحسب أبو سلمة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم فغلب على الأرض والزرع والنخل فصالحوه على أن يجلبوا منها ولهم ما حملت ركبهم ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء ويخرجون منها واشترط عليهم أن لا يكتبوا ولا يُعَيِّنُوا شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فقبضوا مسكاً فيه مال وحلي لحبي بن أخطب وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله ﷺ حينئذ ما فعل مسك حي الذي جاء به من النضير فقال أذهبته النفقات والحروب فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فسه بهذاب وقد كان حي قبل ذلك دخل خربة فقال قد رأيت حياً يطوف في خربة هاهنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله ﷺ ابن أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حي بن أخطب وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذرايعهم وقسم أموالهم بالنكت الذي نكثوا وأراد إجلاءهم منها فقالوا يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض فصلحها ونقوم عليها ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلال يقومون عليها وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله تطعموني السحت والله لقد جئتمكم من عند أحب الناس إلى ولا أنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضى إياكم وحيي إياه على أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض قال فرأى رسول الله ﷺ

بعين صفة خضرة فقال يا صفة ما هذه الخضرة فقالت : كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق وأنا نائمة فم أيت كان قرأ وقع فى حجرى فأخبرته بذلك فلطمنى وقال تتمنين ملك يئرب . قالت وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس الى قتل زوجى وأبى فما زال يعتذر الى ويقول ان أباك ألب على العرب وفعل ما فعل حتى ذهب ذلك من نفسى . وكان رسول الله ﷺ يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير فلما كان فى زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه فقال عمر : من كان له سهم بخير فليحضر حتى تقسمها قسمها بينهم . فقال رئيسهم لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر . فقال عمر : أترانى سقط على قول رسول الله ﷺ كيف بك إذا وقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً . وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل المدينة . وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة . قال البيهقي وعقوله البخارى فى كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره فى الأطراف فأنه أعلم . وقال أبو داود حدثنا سليمان بن داود المهري حدثنا ابن وهب أخبرنى أسامة بن زيد اللبى عن نافع عن عبد الله بن عمر قال : لما فتحت خيبر سألت يهود رسول الله ﷺ أن يقرهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله ﷺ أقركم فيها على ذلك ما شئنا فكانوا على ذلك وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خيبر يأخذ رسول الله ﷺ الخمس وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقاً من شعير . فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل الى أزواج النبى ﷺ فقال لهن : من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصاها وأرضها وماؤها ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا ومن أحب أن نعزل الذى لها فى الخمس كما هو فعلنا . وقد روى أبو داود من حديث محمد بن اسحاق **حدثنى** نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر قال أيها الناس ان رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يخرجهم اذا شاء فمن كان له مال فليملحق به فانى يخرج يهود . فأخرجهم وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال مشيت أنا وعثمان بن عفان الى رسول الله ﷺ فقلنا أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : انما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد . قال جبير بن مطعم ولم يقسم النبى ﷺ لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئاً . تفرد به دون مسلم . وفى لفظ أن رسول الله ﷺ قال : ان بنى هاشم وبنى عبد المطلب شىء واحد ، انهم لم يغارقونا فى جاهلية ولا إسلام . قال الشافعى دخلوا معهم فى الشعب وناصروهم فى إسلامهم وجاهليتهم . قلت وقد ذم أبو طالب بنى عبد شمس و نوفلا حيث يقول :

جزى الله عنا عبد خمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال البخارى حدثنا الحسن بن اسحاق ثنا محمد بن ثابت ثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما . قال فسرره نافع فقال : اذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس فله سهم . وقال البخارى حدثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر أخبرني زيد عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بيانا^(١) ليس لهم شيء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر ، ولا كني أتركها خزائنه لهم يقسمونها . وقد رواه البخارى أيضا من حديث مالك وأبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر به . وهذا السياق يقتضى أن خيبر بكما لها قسمت بين الغنمين . وقد قال أبو داود ثنا ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها [على الجلاء] بعد القتال ، وبهذا قال الزهري خمس رسول الله ﷺ خيبر ثم قسم سائرهما على من شهدا . وفيما قاله الزهري نظر فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الامام مخير في الأراضى المغنومة إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح^(٢) . قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا حدثني سفيان عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبي حثمة قال : قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين ، نصفاً لنوابه ، ونصفاً بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما . تفرد به أبو داود ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلين نصف النواصب الوطيح والكتيبة والسلام وما حيز معها ، ونصف المسلمين الشق والنطاة وما حيز معها وسهم رسول الله ﷺ فيها حيز معها . وقال أيضا حدثنا حسين بن علي ثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهما ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان رسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونواصب الناس . تفرد به أبو داود . قال أبو داود حدثنا محمد بن عيسى ثنا جمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصارى سمعت أبي

(١) بتشديد الباء الثانية كما في النهاية والمصباح . (٢) في النيمورية : إن شاء قسمها وإن شاء قسم بعضها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر فانه خمسها ثم قسم نصفها في الغنمين وأرصد نصفها لما ينوبه في الحاجات والمصالح .

يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري -
 وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن - قال قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله ﷺ
 على ثمانية عشر سهما ، وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس سهمين وأعطى
 الرجل سهما . تفرد به أبو داود . وقال مالك عن الزهري أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي
 ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة . ورواه أبو داود ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين
 وأنا شاهد أخبركم ابن وهب حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة وبعضها
 صلحا والسكنية أكثرها عنوة وفيها صلح . قلت لمالك وما السكنية ؟ قال أرض خيبر وهي أربعون
 ألف عناق . قال أبو داود والعناق النخلة . والعناق العرجون . ولهذا قال البخاري حدثنا محمد بن بشار
 ثنا حرمي ثنا شعبة ثنا عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر .
 حدثنا الحسن ثنا قرة بن حبيب ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال
 ما شبعنا - يعني من التمر - حتى فتحنا خيبر . وقال محمد بن اسحاق ! كانت الشق والنظاة في سهمان
 المسلمين الشق ثلاثة عشر سهما ونظاة خمسة أسهم قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ودفع ذلك إلى
 من شهد الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغيب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر بن
 عبد الله فضرب له بسهمه ، قال وكان أهل الحديبية ألفا وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل
 فرس سهمان فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزيد المائتا فارس أربعمائة سهم
 نخلولهم . وهكذا رواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن صالح بن كيسان
 أنهم كانوا ألفا وأربعمائة معها مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن عدي .
 قال ابن اسحاق : وكانت السكنية خمسا لله تعالى وسهم للنبي ﷺ وسهم لذوي القربى واليتامى
 والمساكين وابن السبيل وطعمة أزواج النبي ﷺ وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فداء ، منهم
 محيصة بن مسعود أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير ، قال وكان
 واديها اللذان قسمت عليه يقال لهما وادي السرير ووادي خاص . ثم ذكر ابن اسحاق تفاصيل
 الاقطاعات منها فأجاد وأفاد رحمه الله . قال وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية
 ابن خفساء أخو بني سلمة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خرص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سفتين ، ثم لما قتل رضي
 الله عنه كما سيأتي في يوم مؤتة ولي بعده جبار بن صخر رضي الله عنه . وقد قال البخاري حدثنا اسماعيل
 حدثني مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة

أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خير فجاء بتمر جنيب ، فقال رسول الله ﷺ « أكل تمر خير هكذا ؟ » قال لا والله يا رسول الله إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة ، فقال « لا تفعل بع الجمع بالدرهم ثم اتبع بالدرهم جنيباً » . قال البخارى وقال الدراوردى عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله ﷺ بعث أخا بنى عدى من الأنصار إلى خير وأمره عليها ، وعن عبد المجيد عن أبي صالح السمان عن أبي سعيد وأبي هريرة مثله .

قلت : كان سهم النبي ﷺ الذى أصاب مع المسلمين مما قسم بخير وفك بكاملها وهى طائفة كبيرة من أرض خير نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بنى النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة وكان يعمل منها نفقة أهله لسنة ثم يجعل مابقى يجعل مال الله يصرفه فى الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتدت فاطمة وأزواج النبي ﷺ - أو أكثرهن - أن هذه الأراضى تكون مورثة عنه ولم يبلغن ما ثبت عنه من قوله ﷺ « نحن معشر الأنبياء لانورث ، متركناه فهو صدقة » ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه اليهم ؛ وذكر لهم قول رسول الله ﷺ « لانورث متركنا صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ والله لقراة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابى ، وصدق رضى الله عنه وأرضاه فانه البار الراشد فى ذلك التابع للحق ، وطلب العباس وعلى على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظرا فى هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك فى المصارف التى كان النبي ﷺ يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه . فتغضبت فاطمة رضى الله عنها عليه فى ذلك ووجدت فى نفسها بعض الموجدة ولم يكن لها ذلك . والصديق من قد عرفت هى والمسلمون محله ومنزله من رسول الله ﷺ وقيامه فى نصرة النبي ﷺ فى حياته وبعد وفاته فجزاه الله عن نبيه وعن الاسلام وأهله خيراً ، وتوفيت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد على البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفرض أمر هذه الصدقة إلى على والعباس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضى الله عنه ذلك وذلك لكثرة اشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته ، فغلب على على عه العباس فيها ثم تساوا فاختصما إلى عمر وقاما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسما بينهما فينظر كل منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة الموارث وقال انظرا فيها وأنتما جميع فان عجزتما عنها فادفعاها إلى ، والذى تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضى فيها قضاء غير هذا . فاستمرافا فيها ومن

بعدها الى ولدها الى أيام بنى العباس تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها ؛
أوال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير .

❖ فصل ❖

وأما من شهد خير من العبيد والفساء فرضخ ^(١) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من
الغنيمة ولم يسهم لهم . قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ثنا بشر بن الفضل عن محمد بن زيد
حدثني عمير مولى أبي اللحم قال : شهدت خير مع سادتي فكلما في رسول الله ﷺ فأمر بي فقلت
سيفا ، فاذا أنا أجره ، فأخبر أني مملوك فأمر لي بشئ من طريق المتاع . ورواه الترمذي والنسائي
جميعا عن قتيبة عن بشر بن الفضل به [وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن علي بن
محمد عن وكيع عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر عن منقذ عن عمير به .

وقال محمد بن اسحاق : وشهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من
القي] ولم يضرب لهن بسهم حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بنى
غفار قد سماها لي قالت أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بنى غفار ، فقلنا يا رسول الله قد أردنا
أن نخرج معك الى وجهك هذا - وهو يسير الى خير - فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا
فقال « على بركة الله » قالت نفرجنا معه ، قالت وكنت جارية حديثة السن فأردفني رسول الله ﷺ
على حقيبة رحله ، [قالت فوالله لنزل رسول الله ﷺ الى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ، قالت]
واذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها ، قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت . فلما رأى رسول
الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال « مالك ؟ لعلك نفست » قالت قلت نعم ، قال « فاصلحي من نفسك
ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك » قالت
فلما فتح الله خير رضح لنا من القي ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده
في عنقي فوالله لا تفارقني أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها ، قالت وكانت
لا تظهر من حيضها إلا جعلت في طهورها ملحاً وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت . وهكذا
رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن اسحاق به . قال شيخنا أبو الحجاج المزني في أطرافه
ورواه الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن أم علي بنت أبي الحكم عن أمية
^(٢) بنت أبي الصلت عن النبي ﷺ به . وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى ثنا رافع بن سلمة

(١) قال السهيلي : أصل الرضح (بالمعجمة) أن تكسر من الشئ الرطب كسرة فتعطيها وأما
الرضح بالخاء المهملة فكسر اليابس . (٢) وفي الاصابة : أن اسمها أمة أو أمامة أو أمينة أو أمية
وقال في موضع أمية بنت قيس بن أبي الصلت .

الأشعبي حدثني حشرج بن زياد عن جدته أم أيبة قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت فبلغ النبي ﷺ أن معه نساء ، قالت فأرسل إلينا فدعانا . قالت فرأينا في وجهه الغضب فقال « ما أخرجكن و بأمر من خرجتن ؟ » قلنا خرجنا فناول السهام ونسقى السويق ومعنا دواء للجرحى ونفزل الشعر فنهين به في سبيل الله . قال فمن فأنصرفن ، قالت فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها يا جدة وما الذي أخرج لكن ؟ قالت تمرا . قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ أن عبد الله الأصماني أخبره حدثنا الحسين ابن الجهم ثنا الحسين بن الفرخ ثنا الواقدي حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ومعي زوجتي وهي حبلى فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي « انقع لها تمراً فاذا انقعر فأمر به لتشربه » ففعلت فما رأت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجدي النساء ولم يسهم لهن ، فأجدي زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

﴿ ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ومن كان بقي بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ومن انضم إليهم من أهل اليمن على رسول الله ﷺ وهو مخيم بخيبر ﴾

قال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ثنا أبو اسامة ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهم ، إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ، فركبنا سفينة فالتفتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقننا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - سبقناكم بالهجرة ، ودخلت أسماء بنت عميس - وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت أسماء ابنة عميس ، قال عمر الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء نعم ! قال سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم ، ففضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعط جاهلكم ، وكنا في دار - أوفى أرض - البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا بني الله إن عمر قال كذا وكذا قالت قال « فما قلت

له ؟ » قالت قلت كذا وكذا ، قال « ليس بأحق بي منكم وله ولا أصحابه هجرة واحدة . ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » قالت فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ، مامن الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ . قال أبو بردة قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد هذا الحديث مني . وقال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي ﷺ « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقي العدو - أو قال الخيل - قال لهم إن أصحابي يأمر ونسكم أن تنظروهم » . وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن براد عن أبي أسامة به . ثم قال البخاري قال حدثنا اسحاق بن إبراهيم ثنا حفص بن غياث ثنا يزيد بن [عبد الله بن] أبي بردة عن أبي موسى قال : قدمنا على النبي ﷺ بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرد به البخاري دون مسلم . ورواه أبو داود والترمذي ومصححه من حديث يزيد به . وقد ذكر محمد بن اسحاق أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا محبة جعفر وقد فتح النبي ﷺ خيبر . قال وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال « ما أدرى بأيهما أنا أمرت بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » . وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلًا وأسند البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال : لما قدم رسول الله ﷺ من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقاها وقبل جبهته وقال « والله ما أدرى بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » ثم قال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا الحسين بن أبي اسماعيل العلوي ثنا أحمد بن محمد البرقي ثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة حدثني مكى بن إبراهيم الرعيثي ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله ﷺ ، فلما نظر جعفر إليه حجل - قال مكى يعني مشى على رجل واحدة - إعظاما لرسول الله ﷺ ، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه . ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يعرف إلى الثوري .

قال ابن اسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلا ، وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وامراته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامراته أمينة ^(١) .

(١) كذا في ابن هشام وفي الاصابة : أميمة بنت خلف بن أسعد الخ وقال يقال أمينة وهمينة .

بنت خلف بن أسعد ، وولده سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد ابن العاص ، ومعيقب بن أبي فاطمة وكان إلى آل سعيد بن العاص ، قال وأبو موسى الأشعري عبد الله ابن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي ، وجهم بن قيس ابن عبد شرحبيل العبدي ، وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو ، وابنته خزيمة ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهري ، وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلكت بها امرأته ربيعة بنت الحارث رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبار الجحفي ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ، ومعمربن عبد الله بن فضالة العدوي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدى ، والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهري .

قلت : ولم يذكر ابن اسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمة أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذلك أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخاري . وكأن ابن اسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك والله أعلم . قال وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد حرر هاهنا شيئا كثيرا حسنا . قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان سمعت الزهري وسأله إسماعيل بن أمية قال أخبرني عن عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة أتى رسول الله ﷺ وسأله - يعني أن يقسم له - فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تعطه ، فقال أبو هريرة هذا قاتل ابن قوئل فقال : وأعجبا لو برتدلى من قدوم الضال . تفرد به دون مسلم . قال البخاري ويذكر عن الزبيدي عن الزهري أخبرني عن عنبسة بن سعيد أنه مع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله ﷺ أبانا على سرية من المدينة قبل نجد . قال أبو هريرة فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ فبخبير بعد ما افتتحها ، وأن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة فقلت يا رسول الله لا تقسم لهم ، فقال أبان وأنت بهذا ياو برتد من رأس ضال . وقال النبي ﷺ « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم ، وقد أسند أبو داود هذا الحديث عن سعيد بن منصور عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه ثم قال البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي ﷺ فسلم عليه . فقال أبو هريرة يا رسول الله هذا قاتل ابن قوئل ، فقال أبان لأبي هريرة : وأعجبا لك ياو برتدي من قدوم ضال تنعى على امرأ أكرم الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده ؟ هكذا رواه منفردا به هاهنا وقال في الجهاد بعد

حديث الحميدى عن سفيان عن الزهرى عن عنبسة بن سعيد عن أبى هريرة قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بخير بعد ما افتتحها ، فقلت يا رسول الله أسهم لى ، فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له ، فقلت يا رسول الله هذا قاتل ابن قوئل الحديث . قال سفيان حدثني السعيدى - يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبى هريرة بهذا . ففى هذا الحديث التصريح من أبى هريرة بأنه لم يشهد خبير وتقدم فى أول هذه الغزوة . رواه الامام احمد من طريق عراك بن مالك عن أبى هريرة وأنه قدم على رسول الله ﷺ بعد ما افتتح خبير فكلم المسلمين فأشركونا فى أسهامهم . وقال الامام احمد حدثنا روح ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمار بن أبى عمار قال : مشهدت مع رسول الله ﷺ مغنا قط إلا قسم لى ، إلا خبير فانها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جا آيين الحديبية وخير . وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ابن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن مالك بن أنس حدثنى ثور حدثنى سالم مولى [عبد الله] بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خبير فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الابل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ الى وادى القرى ومعه عبد له يقال له مدعم أهده له بعض بنى الضبيب فينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد . فقال الناس هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله ﷺ « كلا والذي نفسى بيده إن الشملة التى أصابها يوم خبير لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين فقال : هذا شئ كنت أصبته ، فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم « شراك أو شراكين من نار » .

﴿ ذكر قصة الشاة المسمومة وما كان من أمر البرهان الذى ظهر عندها والحجة البالغة فيها ﴾
قال البخارى : رواه عروة عن عائشة عن النبى ﷺ . ثم قال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثنى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خبير أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم هكذا أورده هاهنا مختصراً . وقد قال الامام احمد حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خبير أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ « اجمعوا لى من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له فقال النبى ﷺ « إني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادق عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ « من أبوك ؟ » قالوا أبونا فلان ، فقال رسول الله ﷺ « كذبتكم بل أبوك فلان » قالوا صدقت وبررت فقال « هل أنتم صادق عن شئ إذا سألتكم عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أيينا ، فقال رسول الله ﷺ « من أهل النار ؟ » فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله ﷺ « والله لا نخلفكم فيها »

أبداً « ثم قال لهم « هل أنتم صادق عن شيء إذا سألتكم ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال « هل جعلتم في هذه الشاة سما » فقالوا نعم ! قال « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك . وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث به . وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة فقال لأصحابه « أمسكوا فانها مسمومة » وقال لها « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطعنك الله عليه ، وإن كنت كاذبا أريح الناس منك . قال فما عرض لها رسول الله ﷺ . رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به . ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك . وقال الامام احمد حدثنا شريح ثنا عباد عن هلال - هو ابن خباب - عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فأرسل اليها فقال « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت أحببت - أو أردت - إن كنت نبياً فإن الله سيطعنك عليه ، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك . قال فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم ، قال فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم . تفرد به احمد واسناده حسن . وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام ابن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، فحجى بها الى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك ؟ قالت أردت لأقتلك ، فقال « ما كان الله ليطعنك على » أو قال « على ذلك » قالوا ألا تقتلها قال « لا » قال أنس فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ . وقال أبو داود حدثنا سليمان بن داود المهري ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر صممت شاة مصلية ^(١) ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم الى المرأة فدعاها فقال لها « أصممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية من أخبرك ؟ قال « أخبرتنى هذه التي في يدي » وهي الذراع ، قالت [نعم] قال « فما أردت بذلك ؟ » قالت قلت إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تكن نبيا استرخنا منك . فمعا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها ، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبي ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجه أبو هند بالقرن والشفرة

(١) صلى اللحم يصلبه صلياً شواه في النار كأصله وصلاه . عن القاموس .

وهو مولى لبني بياضة من الأنصار . ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية ثنا خالد بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخير شاة مصلية نحو حديث جابر ، قال فمات بشر ابن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال « ما حملك على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله ﷺ فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة . قال البيهقي ورويناه من حديث حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها . وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مصلية بخير فقال « ماهذه ؟ » قالت هدية ، وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل ، قال فأكل وأصحابه ثم قال « امسكوا » ثم قال للمرأة « هل سمعت ؟ » قالت من أخبرك هذا ؟ قال « هذا العظم » لساقها وهو في يده ، قالت نعم قال « لم ؟ » قالت أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال فاجتمع رسول الله ﷺ على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا . ومات بعضهم . قال الزهري فأسلت فتركها النبي ﷺ . قال البيهقي هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حملة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه . وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا : لما فتح رسول الله ﷺ خير وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وممته ، وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ ، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بني سلمة ، فقدمت إليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها ، وتناول بشر عظما فانهش منه ، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء مافي فيه ، فقال رسول الله ﷺ « ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أني نعت ^(١) فيها » فقال بشر بن البراء والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعتي أن النظها إلا أني أعظمتك أن أبفضك طعامك ، فلما أسغت مافي فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعى فلم يقم بشر من مكانه حتى عادلونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول . قال الزهري قال جابر واجتمع رسول الله ﷺ يومئذ حجه مولى بني بياضة بالقرن والشفرة وبقى رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال « ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خير عدادا حتى كان هذا أو انقطاع أبهرى » فتوفي رسول الله ﷺ شهيدا .

وقال محمد بن اسحاق . فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحب الى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها الذراع فأكثر فيها من السم ، ثم صمت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسفها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال « إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم » ثم دعاها فاعترفت ، فقال « ما حملك على ذلك ؟ » قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت إن كان كذابا استرحمت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر . قال فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكله التى أكل .

قال ابن اسحاق وحدثني مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن الملعى قال : كان رسول الله ﷺ قد قال فى مرضه الذى توفى فيه - ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور - « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخير » . قال ابن هشام : الأهر العرق المعلق بالقلب . قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحراني قالنا ثنا أبو غياث سهل بن حماد ثنا عبد الملك بن أبى نضرة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أن يهودية أهدت الى رسول الله ﷺ شاة ممحيطا ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمسكوا فان عضوا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة » فأرسل الى صاحبها « أعممت طعامك ؟ » قالت نعم قال « ما حملك على ذلك ؟ » قالت إن كنت كذابا أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلك عليه . فبسط يده وقال « كلوا بسم الله » قال فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحدا منا . ثم قال لا يروى عن عبد الملك بن أبى نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم . وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى فى منامه رؤيا ورسول الله ﷺ محاصر خيبر فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله ﷺ فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد اعطنى ما غنمت من حلفائى - يعنى أهل خيبر - فقال له رسول الله ﷺ « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة فلقبه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع فى غير شئ ، والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبى الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بنى هارون ، إنه لم يرسل ، ويهود لا تطاوعنى على هذا . ولنا

منه ذبحان ؛ واحد بينرب وآخر بخير . قال الحارث : قلت لسلام يملك الأرض ؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

فصل

قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير انصرف الى وادى القرى فحاصر أهلها ليلال ثم انصرف راجعا الى المدينة . ثم ذكر من قصة مدغم وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله ﷺ « كلا والذي نفسى بيده إن الشملة التي أخذها يوم خير لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » . وقد تقدم في صحيح البخارى نحو ما ذكره ابن اسحاق والله أعلم . وسأنى ذكر قتله عليه السلام بوادى القرى . قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبى عمرة عن زيد بن خالد الجهنى أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفى يوم خير ، فدكر ذلك للنبي ﷺ فقال « صلوا على صاحبكم » فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال « إن صاحبكم غل في سبيل الله » ففتشنا متاعه فوجدنا خزانة من خرز يهود ميساوى درهمين وهكذا رواه أبو داود والنسائى من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو داود وبشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى به وقد ذكر البهقى أن بنى فزارة أرادوا أن يقتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خير وتجمعوا لذلك فبعث اليهم بواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب وتقدم أن رسول الله ﷺ لما حلت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سد الصهباء فى أثناء طريقه الى المدينة ؛ وأولم عليها بحيس ، وأقام ثلاثة أيام بينى عليه بها ، وأسلفت فأعتقها وتزوجها وجعل عناقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراعه رضى الله عنها . وذكر محمد بن اسحاق فى السيرة قال : لما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخير - أو ببعض الطريق - وكانت التي جلتها الى رسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله ﷺ فى قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانه قال « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباهاً وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فغفتم عليك ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » . ثم قال حدثني الزهرى عن سعيد بن المسيب فدكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خير وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظاً فقال « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال

يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال « صدقت » ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصليها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهرى عن سعيد مرسل وهذا مرسل من هذا الوجه . وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة حتى إذا أدركنا الكرى عرس وقال لبلال « اكلاً لنا الليل » قال فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ النبي ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ففرع رسول الله ﷺ وقال « يا بلال » قال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بأبى أنت وأمى يارسول الله ، قال فاقادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله ﷺ فأمر بلالا فأقام الصلاة وصلى لهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال « من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها فان الله تعالى يقول « وأقم الصلاة لذكرى » قال يونس وكان ابن شهاب يقرأها كذلك . وهكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر . وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالا هو الذى كان يكأؤهم ، وفي رواية عنه أنه هو الذى كان يكأؤهم . قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال وفي حديث عمران بن حصين وأبى قتادة نومهم عن الصلاة وفيه حديث الميضاة فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة . قال وذكر الواقدي في حديث أبى قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال وروى زافر بن سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك قاله أعلم . ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الاعرابي عن أبى رجاء عن عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطيليتين وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكامله ولم ينقص ذلك منهما شيئاً . ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبى قتادة وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . وقال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبى عثمان عن أبى موسى الأشعرى قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبراً ، وقال لما توجه رسول الله ﷺ الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ « أربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون صميحاً قريباً وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعتنى وأنا أقول لاحول ولا قوة إلا بالله ، فقال « يا عبد الله بن قيس » قلت لبيك يارسول الله قال « ألا ادلك على كلمة من كنز

الجنة « قلت بلى يا رسول الله فذاك ابى وأمى قال لا حول ولا قوة إلا بالله » . وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرحمن بن مل أبى عثمان النهدي عن أبى موسى الأشعري ، والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر فان أباه موسى إنما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ - فيما بلغني - قد أعطى ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لقيم في فتح خيبر :

رمى نطاة من الرسول بفيلق شهباء ذات مناكب وقفار ^(١)
 واستيقنت بالذل لما شيعت ورجال أسلم وسطها وغفار
 صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة والشق أظلم أهله بنهار
 جرّت بأبطحها الذبول فلم تدع إلا الدجاج تصيح بالاسحار
 ولكل حصن شاغل من خيلهم من عبد الاشهل أو بنى النجار
 ومهاجرين قد اعلوا سيامهم فوق المغافر لم ينوا لفرار
 ولقد علمت ليغلبن محمد وليثوين بها الى أصفار
 فرت يهود عند ذلك في الوغى تحت العجاج غمام الأبصار

فصل

﴿ في ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة رضى الله عنهم ﴾

على ما ذكره ابن اسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي .

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكم بن سبخرة الأسدي مولى بنى أمية ، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح حلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهبيبة بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بنى سعد ابن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم ، ومن الأنصار بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله ﷺ كما تقدم ، وفضيل بن النعمان السلمي ، ومعوذ بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزرقى ، ومحمود بن مسعدة الأشجلى ، وأبوضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمرى ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقه ، وأوس الفائد ^(٢) وأنيف بن حبيب ، وثابت

(١) ساء في الاصابة لقيم الدجاج وأورد له هذا البيت الأول هكذا :

رمى مطاه من الرسول يقتون شهباء ذات مذاكر وحفار

ونطاة حصن بخيبر وقيل عين ماء بقرية منها وقيل هو اسم لأرض خيبر وقد تقدم ذكره .

(٢) قال في الاصابة : أوس بن فائد وقيل ابن فائد وقيل ابن الفاتك وفي الأصل الفارض .

ابن أنلة وطلحة ، وعمار بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكواع ثم سلمة بن عمرو بن الأكواع أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعى . وقد أفرد ابن اسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة والله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : ومن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

✽ خبر الحجاج بن علاط البهزى رضى الله عنه ✽

قال ابن اسحاق : ولما فتحت خيبر كلم رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى فقال : يا رسول الله إن لى بمكة مالا عند صاحبى أم شيبه بنت أبى طلحة - وكانت عنده له منها معوض بن الحجاج - ومالا متفرقا فى تجار أهل مكة ، فأذن لى يا رسول الله فأذن له ، فقال إنه لا بد لى يا رسول من أن أقول ، قال قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجلا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ وقد بلغهم أنه قد سار الى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان ، فلما رأونى قالوا الحجاج بن علاط - قال ولم يكونوا علموا باسلامى - عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فانه قد بلغنا أن القاطع قد سار الى خيبر وهى بلد يهود وريف الحجاز ؟ قال قلت قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم ، قال فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون إيه يا حجاج ؟ قال قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقد قتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسّر محمد أسراً وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة] وقالوا . قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال قلت أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى ما هنالك قال فقاموا فجمعوا لى ما كان لى كأحث جمع سمعت به ، قال وجئت صاحبى فقلت مالى وكان عندها مال موضوع فلعلى الحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال فلما سمع العباس ابن عبد المطلب الخبر وما جاءه عنى أقبل حتى وقف الى جنبى وأنا فى خيمة من خيم التجار ، فقال يا حجاج ما هذا الذى جئت به ؟ قال قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال نعم ! قال قلت فاستأخر - حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف حتى أفرغ ، قال حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى أخشى الطلب ثلاثاً ثم قل ما شئت قال اقل قلت فانى والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعنى صفية بنت حبي - وقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه ، قال مات قول

يا حجاج؟ قال قلت أي والله فاكتم عني ولقد أسدت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقا عليه من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فاطهر أمرك فهو والله على ما تحب ، قال حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رآوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال كلا والله الذي خلقتكم به لقد افتتح محمد خير ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها وأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر؟ قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ أمواله فاطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، فقالوا يا العباد الله انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن اسحاق هذه القصة منقطعة ، وقد أسند ذلك الامام احمد بن حنبل فقال حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خير قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلاً وإني أريد أن آتيهم أفأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء . فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندك فاني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصبحت أموالهم . قال وفشي ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً ، قال وبلغ الخبر العباس فغمر وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرني عثمان الخرزجي عن مقسم قال : فأخذ ابنا يقال له قثم واستلقى ووضع على صدره وهو يقول .

حي قثم شبه ذى الأنف الأشم بنى ذى النعم بزعم من زعم

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له الى حجاج بن علاط فقال ويلك ما جئت به وماذا تقول؟ فإوعد الله خير مما جئت به ، فقال حجاج بن علاط : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليدخل لي في بعض بيوته لآتيه فان الخبر على ما يسره ، فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال أبشريا أبا الفضل ، قال فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال حجاج فأعنته ، قال ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خير وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي وأخذها لنفسه ، وخبرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ، قال ولكني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فذهب به فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت ، فآخف على ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك . قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعتها ودفعته اليه ثم انشمر به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك ، قال أجل لا يحزنني الله ولم

يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خير على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه ، فان كانت لك حاجة في زوجك فالحق به . قالت : أظنك والله صادقا؟ قال فاني صادق والأمر على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالس قریش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل ، قال لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب ، قال فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئبا حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون ورد ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين . وهذا الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى الفسائي عن اسحاق بن ابراهيم عن عبد الرزاق به نحوه . ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضا من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر بن نوح . وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قریشا كان بينهم نراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول يظهر الخليفةان ويهود خير ، وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خير ، وكان تحت أم شيبه أخت عبد الدار بن قصي ، وكان الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خير استأذن الحجاج رسول الله ﷺ في الذهاب الى مكة يجمع أمواله فأذن له نحو ما تقدم والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ومما قيل من الشعر في غزوة خير قول حسان :

بئس ما قاتلت خيبر عما جمعوا من مزارع ونخيل
كروها الموت فاستبيح حمام وأقروا فعل الذميم الذليل
أمن الموت يهربون فان المو ت موت الهزال غير جميل

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

ونحن وردنا خيبراً وفروضة بكل قتي عارى الاشاجع مزود
جواد لدى الغايات لا واهن القوى جرى على الاعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة ضروب بنصل المشرقي الهند
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزاً بأحد
يندود ويحمى عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كل أمر يريه يجود بنفس دون نفس محمد

يصدق بالأنباء بالغيب مخلصاً يريد بذلك العز والفوز في غسد

فصل

﴿ في مروره عليه السلام بوادي القرى ومحاصرته قوما من اليهود ومصلحته

يهود على ما ذكره الواقدي وغيره ﴾

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة
 قال خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى وكان رفاعه بن زيد بن وهب الجذامي
 قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له مدعم وكان يرسل لرسول الله ﷺ ، فلما نزلنا بوادي
 القرى انتهينا إلى يهود وقدم إليهم ناس من العرب ، فبينما مدعم يحيط برجل رسول الله ﷺ وقد
 استقبلتنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم نكن على تعبئة ، وهم يصيحون في آطامهم فيقبل سهم عارف أصاب
 مدعماً فقتله ، فقال الناس هنيئاً له بالجنة . فقال النبي ﷺ « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي
 أخذها يوم خيبر من المقام لم تصبها المقام لتشتعل عليه ناراً » فلما جمع بذلك الناس جاء رجل إلى
 رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين ، فقال النبي ﷺ : « شراك من نار أو شراك من نار » .
 وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدي : فعلى رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى
 الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام
 وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله ، قال فبرز رجل منهم فبرز إليه
 الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه على فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً كل ما قتل
 منهم رجلاً دعى من بقي منهم إلى الإسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ثم
 يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلم ترتفع
 الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً
 وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل
 في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تباه ما وطئ به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادي
 القرى صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلما كان عمر أخرج يهود خيبر
 وفدك ولم يخرج أهل تباه ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن مادون وادي
 القرى إلى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام ، قال ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى

المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن الحارث ابن عبد الله بن كعب عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت فذهب رجل من الحنظلي فطرق أهله فوجد ما يكره ، فغلى سبيلها ولم يهجر ورض زوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله ﷺ فرأى ما يكره .

فصل

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شرط ما يخرج منها من تمر أو زرع . وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالها ، وفي بعضها وقال لهم النبي ﷺ « نقرم ما شئنا » . وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمهم إليهم ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طريقه كتاب المزارعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة . وقال محمد بن اسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله ﷺ يهود خيبر فخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم فأقرم ما أقرم الله » فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعمل عليهم في الخرص ، فلما توفي الله نبيه ﷺ أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفي ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلائكم . وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتهجز للجلاء ، فاجلجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله ﷺ . قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله ﷺ فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغترب بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بأساطير الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون وهو كتاب مزور مكذوب ، فمتعل لا أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد ، وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن

الصباغ في مسائله ، والشيخ أبي حامد في تعليقه ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد نحر كوا به بعد السبعائة وأظهر واكتابا فيه نسخة ماذ كره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره وكتبه على بن أبوطالب وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذ من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير ابن العوام والمقداد بن الأسود الى أموالنا بخيبر نتماعدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال فعدي على تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففدعت ^(١) يداي من رفقى ، فلما استصرخت على صاحبائي فأتياي فسالاني من صنع هذا بك ؟ فقلت لا أدري فأصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر ، فقال هذا عمل يهود خيبر . ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا فخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله لانشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به فاني مخرج يهود فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ كما هو ثابت في الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقي في الدلائل : جماع أبواب السرايا التي تذكروا بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

﴿ سرية أبي بكر الصديق الى بني فزارة ﴾

قال الامام احمد : حدثنا بهز ثنا عكرمة بن عمار ثنا أياس بن سلمة حدثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر [ابن] أبي قحافة وأمره رسول الله ﷺ علينا ففزوننا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فمرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشفنا الغارة فقتلنا على الماء من مرقبلنا ، قال سلمة ثم نظرت الى عنق من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم فخشيت أن يسبقوني الى الجبل فرميت بسهم فوقهم وبين الجبل ، قال فجئت بهم أسوقهم الى أبي بكر حتى أتيت على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من آدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال فنفلتى أبو بكر بنيتها ، ^(١) الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى انسيها .

قال فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوباً ، قال فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي « يا سلمة هب لي المرأة » قال فقلت والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً ، قال فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال « يا سلمة هب لي المرأة » قال فقلت يا رسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً ، قال فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال « يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك » قال قلت يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوباً وهي لك يا رسول الله ، قال بعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة . وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

﴿ سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة من أرض هوازن وراء مكة بأربعة أميال ﴾
ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيد أنه أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكباً ومعه دليل من بني هلال وكانوا يسرون الليل ويكنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعاً إلى المدينة ، فقبل له هل لك في قتال خشم ؟ فقال إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

﴿ سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير ^(١) بن رزام اليهودي ﴾

ثم أورد من طريق إبراهيم بن طعيمة عن أبي الأسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخير ، وبلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليفزوه بهم ، فأتوه فقالوا أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خير فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهي من خير على ستة أميال ندم يسير ابن رزام فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يسير وفي يده مخراش من شوحط فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة . وانكفاً كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدة ولم يصب من المسلمين أحد ، وبعث رسول الله ﷺ في شجة عبد الله بن رواحة فلم تقيح ولم تؤذه حتى مات .

﴿ سرية أخرى مع بشير بن سعد ﴾

روى من طريق الواقدي بأسناده أن رسول الله ﷺ بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً

(١) وفي بعض السير وفي الإصابة : أسير بضم الهمزة وفتح السين المهملة .

الى بنى مرة من أرض فدك فاستاق نعيمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتلاً شديداً ، ثم لجأ الى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرجعاً الى المدينة .

قال الواقدي : ثم بعث اليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة فدكر منهم أسامة بن زيد ، وأبامسعود البدرى ، وكعب بن عجرة . ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بنى مرة وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لا موء على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ من بنى سلمة عن رجال من قومه أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله السكابي الى أرض بنى مرة فأصاب مرداس بن نهيك [حليفاً لهم من الحرقة فقتله أسامة : قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعنى مرداس بن نهيك - فلما شهنرا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم نترع عنه حتى قتلناه . فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت يا رسول الله إنما قالها تعوداً من القتل ، قال « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددها على حتى تمنيت أن ما مضى من اسلامي لم يكن ، وأنى أسلمت يومئذ ولم أقتله . فقلت إني أعطى الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ، فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت بعدك . قال الامام احمد : حدثنا هشيم بن بشير أنبأنا حصين عن أبي ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يحدث قال بعثنا رسول الله ﷺ الى الحرقة من جهينة ، قال فصبحناهم وكان منهم رجل اذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، واذا أدبروا كان حاميهم ، قال فغشيتة أنا ورجل من الأنصار ، فلما تفشينا قال لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوداً من القتل ، قال فكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ . وأخرجه البخارى ومسلم من حديث هشيم به نحوه . وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهني عن جندب بن مكيث الجهني قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله السكابي كلب ليث الى بنى الملوخ بالكديد وأمره أن يغير عليهم وكنت فى سريته ، فمضينا حتى اذا كنا بالقديد^(١) لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء اللبثى فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك ، قال فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويلاً أسود كان معنا وقال : أمكث معه حتى نمر عليك فان نازعك فاحتر رأسه . ومضينا حتى

أتينا بطن الكديد فنزلنا عشية بعد العصر ، فبعثني أصحابي اليه فعدت الى تل يطل على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرأى منبطحا على التل فقال لامراته : إني لأرى سواداً على هذا التل مارأيته في أول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجتريت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت والله ما أفقد منها شيئاً ، قال فناوليني قومي وسهمين من نبلي فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جيبني فنزعته فوضعه ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبى فنزعته فوضعه ولم أتحرك : فقال لامراته أما والله لقد خالطه سهمي ولو كان ريبة لتحرك ، فإذا أصبحت فابتغى سهمي فخذيهما لاتفصهما على الكلاب ، قال فأملهنا حتى اذا راحت روايهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ؛ شفنا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قفلين به وخرج صريح القوم الى قومهم بقربنا ، قال وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأتانا صريح الناس فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى اذا لم يكن بيننا وبينهم الا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء ماء مارأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقواً ينظرون الينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجذبها أو نحدوها - شك النفيلى - فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حذرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا . وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن اسحاق في روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم . وذكر الواقدي هذه القصة باسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلاً . ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير ابن سعد أيضاً الى ناحية خيبر فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعماً كثيراً ، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حسيل بن نيرة وهو الذي كان دليل النبي ﷺ الى خيبر قاله الواقدي .

﴿ سرية أبي حرد الى الغابة ﴾

قال يونس عن محمد بن اسحاق : كان من حديث قصة أبي حرد وغزوته الى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حرد قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقها مائتي درهم ، قال فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي فقال « كم أصدقت ؟ » فقلت مائتي درهم ، فقال « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتهم ، والله ما عندي ما أعينك به » فلبثت أياماً ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعه بن قيس - أو قيس بن رفاعه - في بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم وشرف في جشم ، قال فدعا رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال « اخرجوا الى هذا الرجل

حتى تأتوا منه بخبر وعلم . « وقدم لنا شارفاً عجفاء فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال « تبلغوا على هذه » فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكنت في ناحية وأمرت صاحبي فكنا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت وشدت في العسكر فكبرا وشدا معي ، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشنا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعه بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقن أمر راعينا ولقد أصابه شر ، فقال نفر ممن معه والله لا تذهب نحن نكفيك ، فقال لا إلا أنا ، قالوا نحن مملك . فقال والله لا يتبعني منكم أحد ، وخرج حتى مر بي فلما أمكنتني نفحته بسهم فوضعت في فؤاده ، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتزرت رأسه ثم شددت ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا ، فوالله ما كان إلا النجاء ممن كان فيه عندك ^(١) بكل ما قدروا عليه من نسلهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم ؛ واستقنا إبلا عظيمة وغنا كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الابل ثلاثة عشر بعيراً في صدقي فجمعت إلى أهلي .

﴿ السرية التي قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الأضبط ﴾

قال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى أضم في نفر من المسلمين منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربي ومحلم ابن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له معه متبع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتبعه ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً) هكذا رواه الامام احمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه فذكره .

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمري يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وعن جده قالوا - وكانا شهدا حينئذ - قالوا : فصلى رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقام فيه فقام إليه عيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعي وهو سيد ^(١) كذا في الأصول والذي في ابن هشام : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه عندك عندك الخ .

عامر هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بغيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي ، فقال رجل من بني ليث يقال له ابن مكيل وهو قصير من الرجال فقال : يا رسول الله ما أجدر لهذا القليل شهاباً في غرة الإسلام إلا كنتم وردت فشربت ^(١) أولها فنفرت أعراسها استن اليوم وغير غدا ، فقال رسول الله ﷺ هل لكم أن تأخذوا خمسين بغيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محلم بن جشامة إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ قال فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تمها فيها للقتل فقام بين يدي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ اللهم لا تغفر لحلم قالها ثلاثاً ، فقام وإنه ليلقي دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن اسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك . وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد ابن سلمة عن ابن اسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر عن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه ، والصواب كما رواه ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة ^(٢) عن أبيه وعن جده وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وعن عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن اسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال لم يقبلوا الدية حتى قام الاقرع بن حابس فحلبهم وقال يا معشر قيس سألكم رسول الله ﷺ قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه فأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ فيغضب الله لغضبه ويلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتسلنه إلى رسول الله ﷺ أو لا تبن بخمسين من بني نهم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ماصلي قط فلا يطلبن دمه ، فلما قال ذلك لم أخفوا الدية . وهذا منقطع معضل وقد روى ابن اسحاق عن لايتهم عن الحسن البصري أن محملاً لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له « أمنتهم ثم قتلته ؟ » ثم دعا عليه ، قال الحسن فوالله ما مكث محملاً إلا سبعة حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله ﷺ فقال ان الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم لما أراكم منه » وقال ابن جرير ثنا وكيع ثنا جابر عن ابن اسحاق عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ محملاً بن جشامة مبعثاً فلقبهم عامر بن الأضبط فحيام بتحية الإسلام - وكانت بينهم هنة في الجاهلية - فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فنكلم فيه عيينة والاقرع فقال الاقرع : يا رسول الله (١) في ابن هشام : فرميت (٢) كذا في الاصل والخلاصة وفي ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

الله سن اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من النكل ما ذاق نساى فجاء
 محم في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال رسول الله ﷺ « لا غفر الله لك »
 فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له ساعة حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض فجاءوا النبي ﷺ
 فذكروا ذلك له فقال « إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من
 حرمتكم » ثم طرحوه في جبل فالتقوا عليه من الحجارة ونزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل
 الله فتبينوا) الآية . وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ورواه شبيب عن الزهري عن عبد الله
 ابن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه الفصة إلا أنه لم يسم محم بن جثامة ولا عامر بن الاضط
 وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال وفيه نزل قوله تعالى (يا أيها الذين
 آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية .

قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية والله الحمد والمنة .

﴿ سرية عبد الله بن حذافة السهمي ﴾

ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن
 علي بن أبي طالب قال : استعمل النبي ﷺ رجلاً من الانصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسموا له
 ويطيعوا ، قال فاغضبوه في شئ فقال اجمعوا لي حطباً فجمعوا فقال أوقدوا ناراً فاقعدوا ثم قال ألم يأمركم
 رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا بلى قال فادخلوها قال فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا إنما
 فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار ، قال فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبي ﷺ
 ذكروا ذلك له فقال « لودخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف » وهذه القصة ثابتة أيضاً
 في الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقد تكلمنا على هذه بما
 فيه كفاية في التفسير والله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عمرة القضاء ﴾

ويقال القصاص ورجحه السهيلي ويقال عمرة القضية فالأولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية
 والثاني من قوله تعالى (والحرمت قصاص) والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها على أن يرجع
 عنهم عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلا في جلبان (١) السلاح وأن لا يقيم أكثر
 من ثلاثة أيام وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة (لقد صدق الله رسوله

(١) الجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف وقيل القوس
 والسيف ونحوه .

الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون) الآية .
وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة
والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له ألم تكن تحدثنا أنا سنانى البيت ونطوف به ؟ قال « بلى
أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال لا قال « فانك آتية ومطوف به » وهي المشار إليها في قول
عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ الى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله

أى هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر الى المدينة أقام بها شهرى ربيع وجماديين
ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً يبعث فيما بين ذلك سراياه ثم خرج من ذى القعدة في الشهر
الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صده عنها . قال ابن هشام : واستعمل
على المدينة عوف بن الأضبط الدثلي ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في
ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقص رسول الله ﷺ منهم فدخل مكة في ذى القعدة في
الشهر الحرام الذى صده فيه من سنة سبع ، بلغنا عن ابن عباس أنه قال فأنزل الله تعالى في ذلك
(والحرمت قصاص) وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في مغازيه لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر
أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذى القعدة فنادى في الناس أن تجهزوا للعمرة فتجهزوا
وخرجوا الى مكة .

وقال ابن اسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدمه في عمرته تلك وهي سنة سبع فلما سمع
به أهل مكة خرجوا عنه ونحدثت قريش بينها أن محمداً في عسرة وجهد وشدة . قال ابن اسحاق :
فحدثني من لا أنهم عن عبد الله بن عباس قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه
فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال « رحم الله امرأ
أراهم اليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن ثم خرج يهول ويهول أصحابه معه حتى إذا وراه البيت
منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هروا كذلك ثلاثة اطواف ومشى سائرهما
فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها
لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فضت السنة بها . وقال البخارى
ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد - هو ابن زيد - عن أبوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم
رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حتى يثرب فأمرهم النبي ﷺ

أن يرملوا الأشواط الثلاث وأن يمشوا ما بين الركنتين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . قال أبو عبد الله ورواه أبو سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ لعامهم الذي استأمن قال « ارملوا ليرى [المشركون قوتكم » و [المشركين من قبل قبيقعا . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد وأسند البيهقي طريق حماد بن سلمة . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا اسماعيل بن أبي خالد سمع بن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يارب إني مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم - يعني يوم صفين - قاله السهيلي . قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين والمشركون لم يقرؤوا بالتنزيل وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، وفيما قاله ابن هشام نظر فان الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس قال : لما دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وفي رواية وهو أخذ بغرزه وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله قد نزل الرحمن في تنزيله
بأن خير القتل في سبيله نحن قتلناكم على تأويله

وفي رواية بهذا الاسناد بعينه :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
يارب إني مؤمن بقبيله

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمحجنه . قال ابن هشام من غير علة ، والمسلمون

لشنتون حوله وعبد الله بن رواحة يقول :

بسم الذى لادين لإلادينه بسم الذى محمد رسوله

خلوا بنى الكفار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحديبية معتمراً فى ذى القعدة سنة سبع وهو الشهر الذى صده المشركون عن المسجد الحرام حتى إذا بلغ بأبجج وضع الاداة كلها الحنف والمجان والرماح والنبل ودخلوا بسلاح الرأكب السيوف وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبى طالب الى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها الى العباس وكان تحتها أختها أم الفضل بنت الحارث فزوجها العباس رسول الله ﷺ فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه قال « اكشفوا عن المناكب واسمعوا فى الطواف » ليرى المشركون جلدكم وقوتهم وكان يكادهم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون الى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحاً بالسيف وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله أنا الشهيد أنه رسوله

قد أنزل الرحمن فى تنزيله فى صحف تتلى على رسوله

فاليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ غيظاً وحنقاً ، ونفاسة وحسداً ، وخرجوا الى الخدمة فقام رسول الله ﷺ بمكة وأقام ثلاث ليل ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله ﷺ فى مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عباد فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والمقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد بن عباد : كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج ، ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطلاً فقال : « إني قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل ونأكلون معنا » فقالوا نناشدك الله والمقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة وقد لقيت ميمونة ومن معها عناه

وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، قدمت على رسول الله ﷺ بسرف فبني بها ثم أذلج فسار حتى أتى المدينة ، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فأتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ . ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صد فيه . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة في صحيح البخاري من طريق فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً ، فحال كفار قریش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا ، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثاً أمره أن يخرج فخرج . وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدم فيه المشركون وقال أبو داود ثنا النفيلي ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن ميمون سمعت أبا حنيفة الحميري يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة وبعث معي رجال من قومي بهدي ، قال فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال فنحرت الهدى مكاناً ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي فأتيت ابن عباس فسألته فقال : أبدل الهدى فان رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدى الذي نحرُوا عام الحديبية في عمرة القضاء . تفرد به أبو داود من حديث أبي حنيفة عثمان بن حاضر الحميري عن ابن عباس فذكره . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني عمرو بن ميمون قال : كان أبي يسأل كثيراً أهل كان رسول الله ﷺ أبدل هديه الذي نحر حين صدم المشركون عن البيت ؟ ولا يجذب في ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حنيفة الحميري عن ذلك فقال له : على الخبير سقطت ، حججت عام ابن الزبير في الحصر الأول فاهدت هدياً فحالوا بيننا وبين البيت ، فنحرت في الحرم ورجعت إلى اليمن وقلت لى رسول الله ﷺ أسوة ، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحرت على بده أم لا ؟ قال نعم فأبدل ، فان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدى الذي نحرُوا عام صدم المشركون فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، فعزت الأبل عليهم فرخص لهم رسول الله ﷺ في البقر .

وقال الواقدي : حدثني غانم بن أبي غانم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : جعل رسول الله ﷺ فاجية بن جندب الأسلمي على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعي في الشجر معه أربعة

فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضية ستين بدنة . فحدثني محمد بن نعيم الجمر عن أبيه عن أبي هريرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها . قال الواقدي وسار رسول الله ﷺ يلبي والمسلمون معه يلبنون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيول إلى مر الظهران فيجد بها فرأى من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة ؟ فقال هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله ، ورأوا سلاحا كثيرا مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فاخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيول ، ففزعت قريش وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا وهدنتنا فقيم يفزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله ﷺ من الظهران ، وقدم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الاحنف في نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله ﷺ في أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافرين السيوف في القرب ، فقال النبي ﷺ « إني لا أدخل عليهم السلاح » فقال مكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به البر والوفاء ، ثم رجع سريعا بأصحابه إلى مكة . فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي ﷺ خرجت قريش من مكة إلى رؤس الجبال ودخلوا مكة وقالوا لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه ، فأمر رسول الله ﷺ بالهدى أمامه حتى حبس بذي طوى ، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم محذقون به يلبنون وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة أخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله
إلى آخره

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعني من ذى القعدة سنة سبع - فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حتى يثرب ، فأمر رسول الله ﷺ أن يرموا الاشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركبتين ، ولم يمنعه أن يرموا الاشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ثنا اسماعيل بن زكريا عن عبد الله بن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل من الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشا تقول : ما يتباعثون من العجف ، فقال أصحابه : لو انتحرننا من ظهرنا فأكلنا من لحومهم وحسنوا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جماعة ، فقال « لا تفعلوا ولكن اجمعوا إلى من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشى كل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطجع بردائه ثم قال « لا يرى القوم فيكم غبزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تفيب بالركن اليماني مشى إلى الركن

الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالشيء أما أنهم لينفرون نفر الظباء ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة . قال أبو الطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود ثنا أبو سلمة موسى ثنا حماد — يعني ابن سلمة — أنبأنا أبو عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا ، قلت ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال صدقوا رمل رسول الله ﷺ ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النعف ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قعيقعان ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه « ارملوا بالبيت ثلاثاً » قال وليس بسنة . وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبي بصير ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن ابن عباس به نحوه . وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله ﷺ رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجمرات أيضاً كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره . وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان وقد أطال الله الأسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ ، وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام . وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة كما ثبت في الصحيحين من حديث سفیان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال : إنما سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفاء والمروة ليرى المشركين قوته . لفظ البخاري . وقال الواقدي : لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم - بن لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول ! ! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه لما معموا بذلك غطوا وجوههم . قال الحافظ البيهقي : قد أكرم الله أكرمه بالاسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان في عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح والله أعلم .

﴿ وأما قصة تزويجه عليه السلام بميمونة ﴾

فقال ابن اسحاق : حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أخيها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة درهم . وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ . قال وفيها نزلت الآية (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) . وقد روى البخاري من طريق أبيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم ، وبني بها وهو حلال ، وماتت بسرف . قال البيهقي ^(١) : وروى الدارقطني من طريق أبي الأسود يقيم عروة ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال . قال وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرماً أي في شهر حرام كما قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً فدعا فلم أر مثله مخذولاً

أي في شهر حرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ، لأن الرواية متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ولا سيما قوله تزوجها وهو محرم وبني بها وهو حلال ، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً وهو شهر حرام . وقال محمد بن يحيى الذهلي : ثنا عبد الرزاق قال قال لي الثوري : لا يلتفت إلى قول أهل المدينة . أخبرني عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج وهو محرم ، قال أبو عبد الله قلت لعبد الرزاق روى سفيان الحديثين جميعاً عن عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؟ قال نعم أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا - يعني باليمن - وأما حديث عمرو فحدثناهم - يعني بمكة - وأخرجه في الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به . وفي صحيح البخاري من طريق الأوزاعي أنبأنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم . فقال سعيد بن المسيب : وهم ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما أحل . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثني بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته ، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فكان الحل والنكاح جميعاً فشبه ذلك على ابن عباس . وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن

(١) كذا في المصرية والتميمورية وفي الخلبية السهيلي

يزيد بن الأصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت : تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلال بسرف . لكن قال الترمذي : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلًا أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الاصفهاني الزاهد ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا مطر الوراق عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما . وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذي حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلًا ، ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلًا قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ويقال سنة ستين رضى الله عنها

﴿ ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته ﴾

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قریشاً بعثوا اليه حويطب بن عبد العزى بعد مضي أربعة أيام^(١) ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم وإنما أراد تأليفهم بذلك فأبوا عليه وقالوا بل اخرج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن اسحاق^(٢) وقال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسراويل عن أبي اسحاق عن البراء قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قالوا لا تقر بهذا لو علم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله قال « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلي ابن أبي طالب « أمح رسول الله » قال لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة إلا بالسيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها ، فلما دخل ومضى الاجل أتوا علياً فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها على فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك ، فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر فقال علي : أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلي « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر « أشبهت خلقتي وخلقتي » وقال زيد « أنت أخونا ومولانا » قال علي ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال « إنها ابنة أخي من الرضاة » .

(١-١) كذا في الاصل وفي سيرة ابن هشام : ثلاثة أيام وأما حويطب في اليوم الثالث .

تفرد به البخارى من هذا الوجه وقد روى الواقدى قصة ابنة حمزة فقال حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأما سلمى بنت عميس كانت بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كلم على بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرائى المشركين ؟ فلم ينه النبي ﷺ عن إخراجها ، فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة وكان وصى حمزة ، وكان النبي ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال أنا أحق بها ابنة أخى ، فلما سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدّة وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس وقال على : ألا أراكم تختصمون هي ابنة عمى وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين . وليس لكم اليها سبب دونى وأنا أحق بها منكم فقال النبي ﷺ « أنا أحكم بينكم ، أما أنت يا زيد فولى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلعتى وخلعتى ، وأنت يا جعفر أولى بها تحتك خالتها ولا تدكح المرأة على خالتها ولا على عمتها » فقضى بها لجعفر . قال الواقدى : فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال يا رسول الله كان النجاشى إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله ، فقال للنبي ﷺ تزوجها فقال « ابنة أخى من الرضاة » فزوجها رسول الله ﷺ سلمة بن أبى سلمة ، فكان النبي ﷺ يقول « هل جزيت أباً سلمة . » قلت : لانه ذكر الواقدى وغيره أنه هو الذى زوج رسول الله ﷺ بامه أم سلمة ، لانه كان أكبر من أخيه عمر بن أبى سلمة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذى الحجة ، وتولى المشركون تلك الحجة . قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً) [يعنى خبير] .

فصل

ذكر البيهقى هاهنا سرية ابن أبى العوجاء السلمى الى بنى سليم ، ثم ساق بسنده عن الواقدى حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهرى قال : لما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضية رجع في ذى الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبى العوجاء السلمى في خمسين فارساً فخرج العيين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيراً وجاءهم ابن أبى العوجاء والقوم معدون ، فلما أن رأوهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعوهم إلى الاسلام ، فرشعهم بالنبل ولم يسمحوا قولهم وقالوا لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم اليه فرموهم ساعة وجعلت الامداد تأتى حتى أحرقوا بهم من كل جانب ، فقاتل

القوم قتالا شديداً حتى قتل عامتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة فتحامل حتى رجع الى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدي في الحجة من هذه السنة - يعنى سنة سبع - رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع وقد قدمنا الكلام على ذلك ، وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين وقد أسلمتا في الطريق ، و غلام خصى . قال الواقدي : وفيها اتخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومعهده ، قال والنبت عندنا أنه عمل في سنة ثمان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رب يسر وأعن بحولك وقوتك ﴾

سنة ثمان من الهجرة النبوية

﴿ فصل في اسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة رضى الله عنهم ﴾
وكان قدومهم في أوائل سنة ثمان على ما سبأني

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن اسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي (١) وذلك في سنة خمس من الهجرة ، وأما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضاء فروى من طريق الواقدي أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال عمرو بن العاص : كنت للاسلام مجانباً معانداً ، حضرت بدرآ مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحداً فنجوت ، ثم حضرت الخندق فنجوت ، قال فقلت في نفسي كم أوضع والله ليظهرن محمداً على قريش فلحقت بمالي بالرهط وأقلت من الناس - أى من لقائهم - فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله ﷺ في الصلح ، ورجعت قريش إلى مكة ، جعلت أقول يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شئ خير من الخروج ، وأنا بعد نافي عن الاسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم ، فقدمت مكة وجمعت رجلاً من قومي وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم ، فقلت لهم كيف أنا فيكم ؟ قالوا ذورأينا ومدرهنا في عين نفسه وبركة أمر ، قال قلت تعلمون أنى والله لأرى أمر محمد أمراً يعلو الامور علواً منكراً ، وإنى قد رأيت رأياً قالوا وما هو ؟ قلت نلحق بالنجاشي فنكون معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي

(١) واسمه سلام بن أبي الحقيق أبو رافع الاعور قتله خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ بخيبر .

نكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قریش فنحن من قد عرفوا ، قالوا هذا الرأي . قال قلت فاجمعوا ما نهديه له . وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم - فحملنا أدم كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كتبه بوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، (١) فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فاعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سرت قریش وكنت قد أجزأت عنها حتى قتلت رسول محمد ، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال مرحبا بصديقي أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال قلت نعم أيها الملك أهديت لك أدم كثيراً ثم قدمته فاعجبته وفرق منه شيئاً بين بطارفته وأمر بسائرته فادخل في موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقبلته ، فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراي فحملت أتلقى الدم بثيابي فاصابني من الدل ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فرقا منه ، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك ، قال فاستحيا وقال : يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الا كبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى لنقتله ؟ قال عمرو فغير الله قلبي عما كنت عليه ، وقلت في نفسي عرف هذا الحق والعرب والعجم وتخالف أنت ثم قلت أنشهد أيها الملك بهذا ؟ قال نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت أتبايعني له على الاسلام ؟ قال نعم فبسط يده فبايعني على الاسلام ، ثم دعا بطست ففسل عني الدم وكساني ثياباً - وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فالتقيتها - ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك وقالوا هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم كرهت أن أكله في أول مرة وقلت أعود إليه ، فقالوا الرأي ما رأيت . قال ففارقتهم وكأني أعمد الى حافة فعمدت الى موضع السفن فاجد سفينة قد شحنت تدفع ، قال فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا الى الشعبة وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى اذا كنت بالهدة فاذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً وأحدهما داخل في الخيمة والاخر يمسك الراحتين ، قال فنظرت فاذا خالد بن الوليد ، قال قلت أين تريد ؟ قال محمداً ، دخل الناس في الاسلام فلم يبق أحد به طم ، والله لو أقت

(١) هكذا في الاصل ، وفي ابن هشام كان قد جاء في شأن جعفر وأصحابه ، وفي السهيلي أنه جاء بكتاب النبي ﷺ وكان فيه دعوته الى الاسلام .

لاخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها، قلت وأنا الله قد أردت محمداً وأردت الاسلام، فخرج
 عثمان بن طلحة فرحب بي فزلنا جميعاً في المنزل، ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة فما أنس قول رجل لقيناه
 بيتر أبي عتبة يصيح : يارباح يارباح يارباح ، فتفاء لنا بقوله وسرنا ، ثم نظر إلينا فأصمعه يقول : قد
 أعطت مكة المقادة بعد هذين ، وظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد وولي مدبراً الى المسجد
 سريعاً فظننت أنه بشر رسول الله ﷺ بقدمونا فكان كما ظننت ، وأنحنا بالحرّة فلبسنا من صالح
 ثيابنا ، ثم نودي بالعصر فانطلقنا على أظلعنا عليه ، وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا
 فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست
 بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه . قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم
 يحضرنى ما تأخر ، فقال « إن الاسلام يجب ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها » قال فوالله
 ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حربه منذ أسلمنا ، ولقد كنا
 عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة وكان عمر على خالد كالعائب . قال
 عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب فقال : أخبرني راشد
 مولى حبيب بن أبي أوس الثقفى عن مولاة حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن راشد عن مولاة حبيب [قال]
 حدثني عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ما تقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع ، وسيأتى الواقدي
 أبسط وأحسن . قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب وقت لك متى
 قدم عمرو وخالد ؟ قال لا إلا أنه قال قبل الفتح ، قلت فان أبي أخبرني ان عمرا وخالداً وعثمان بن
 طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان ، وسيأتى عند وفاة عمرو من صحيح مسلم ما يشهد لسياق اسلامه
 وكيفية حسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة
 مباشرته الامارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضى الله عنه .

﴿ طريق اسلام خالد بن الوليد ﴾

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت أبي
 يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرني
 رشدي ، فقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ ، فليس في موطن أشهده الا انصرف
 وأنا أرى في نفسي أئى موضع في غير شئ ، وأن محمداً سيظهر ، فلما خرج رسول الله ﷺ الى
 الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان ، فقامت بازائه

وتعرضت له فصلى بإصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فاطلع على ما في أنفسنا من الهم به فصلى بإصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا وقلت الرجل ممنوع فاعتزلنا ، وعدل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعتهم قريش بالرواح قلت في نفسي أى شئ بقى ؟ أين أذهب الى النجاشى ؟ لقد اتبع محمد وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج الى هرقل فأخرج من ديني الى نصرانية أو يهودية ، فاقم في عجم ، فاقم في دارى بمن بقى قانا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء فتغييت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضاء ، فطلبني فلم يجدني فسكتب الى كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ؛ فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ! ومثل الاسلام جهله أحد ؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك وقال أين خالد ؟ فقلت يأتي الله به ، فقال « مثله جهل الاسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة . قال فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني ، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجذبة نخرجت في بلاد خضراء واسعة فقلت إن هذه لرؤيا ، فلما أن قدمت المدينة قلت لاذ كرها لابي بكر ، فقال مخرجك الذي هداك الله للاسلام ، والضيق الذي كنت فيه من الشرك ، قال فلما أجمعت الخروج الى رسول الله ﷺ قلت من أصحاب الى رسول الله ﷺ ؟ فقلت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه إنما نحن كاضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فان شرف محمد لنا شرف ؟ فاني أشد الالباء فقال : لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا . فانفردنا وقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر ، فقلت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية ، قلت فاكمم على قال لا أذكرك . فخرجت الى منزلي فأمرت براحلي نخرجت بها الى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت إن هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قتل من آباءه فكروه أن أذكروه ، ثم قلت وما على وأنا راحل من ساعتي فذكرت له ما صار الأمر اليه فقلت إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء نخرج ، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبي فاسرع الاجابة ، وقلت له اني غدوت اليوم وأنا أريد ان اغدو وهذه راحلي بنج مناخة ، قال فأتدت أنا وهو بأجج إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه ، قال فادلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بياضج ، ففقدونا حتى انتهينا الى الهدية فنجد عمرو بن العاص بها ، قال مرحباً بالقوم فقلنا وبك ، فقال إلى أين مسيركم ؟ قلنا وما أخرجك ؟ فقال وما أخرجكم ؟ قلنا الدخول في الاسلام واتباع محمد ﷺ ، قال وذاك الذي أقدمني ، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فاتمخنا بظهر الحرة

ركابنا فأخبر بنا رسول الله ﷺ فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابي ثم عدت الى رسول الله ﷺ فلقيني أخى : فقال اسرع فان رسول الله ﷺ قد أخبر بك فسر بقدمك وهو يفتظركم ، فأسرعنا المشى فاطلمت عليه فما زال يتبسم الى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه مطلق ، فقلت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال « تعال » ثم قال رسول الله ﷺ « الحمد لله الذى هدأك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير » قلت يا رسول الله انى قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادعوا الله أن يغفرها لى ، فقال رسول الله ﷺ « الاسلام يجب ما كان قبله » قلت يا رسول الله على ذلك ، قال « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيل الله » قال خالد : وتقدم عثمان وعمر وفبايعا رسول الله ﷺ ، قال وكان قدومنا فى صفر سنة ثمان ، قال والله ما كان رسول الله ﷺ يعدل فى أحداً من أصحابه فيما حزه .

﴿ سرية شجاع بن وهب الاسدى الى نفر من هوازن ﴾

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب فى أربعة وعشرين رجلاً الى جمع من هوازن وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكن النهار حتى جاءهم وهم غارين ، وقد أوعز الى أصحابه أن لا تمتنعوا فى الطلب ، فأصابوا نعلماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً لكل رجل [وزعم غيره أنهم أصابوا سبياً أيضاً وأن الامير اصطفى عنهم جارية وضيئة] ثم قسم أهلوم مسلمين فشاورة النبي ﷺ أميرهم فى ردهن اليهم ، فقال نعم فردوهن وخير التى عنده الجارية فاختارت المقام عنده ، وقد تكون هذه السرية هى المذكورة فيما رواه الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سرية قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال فأصبنا إبلاً كثيراً فبلغت سهامنا اثنا عشر بعيراً ونقلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً أخرجه فى الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه [وقال أبو داود حدثنا هناد حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر] قال بعث رسول الله ﷺ سرية الى نجد فخرجت فيها فأصبنا نعلماً كثيراً فنقلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذى أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع وكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنقله .

﴿ سرية كعب بن عمير الى بنى قضاة من أرض الشام ﴾

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبد الله الزهري قال بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا الى ذات اطلاق من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعوم إلى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلهم أشد القتال حتى قتلوا ، فارتث منهم رجل جريح في القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فهم بالبعثة اليهم فبلغه انهم ساروا إلى موضع آخر .

﴿ غزوة مؤتة ﴾

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أرض الشام . قال محمد بن اسحاق بعد قصة عمرة القضية . فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة ، - وولى تلك الحجة المشركون - والحرم وصفرًا وشهري ربيع وبعث في جمادى الاولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة . فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الاولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » فجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن عمرو بن الحكم عن ابيه قال : جاء النعمان ابن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ « زيد بن حارثة أمير الناس ، فان قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فان قتل عبد الله بن رواحة فليترض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم » . فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ ان الانبياء في بنى اسرائيل كانوا اذا سموا الرجل على القوم فقالوا ان أصيب فلان ففلان ، فلو سموا مائة أصيبوا جميعاً ، ثم جعل يقول لزيد اعهد فانك لا ترجع أبداً إن كان محمد نبياً . فقال زيد : أشهد أنه نبي صادق بار . رواه البيهقي .

قال ابن اسحق : فلما حضر خروجه ودع الناس امراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم ، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى ، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم . ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) فليست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبتكم الله ودفع عنكم وردكم إنما صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدنى أرشده الله من غاز وقد رشدا
قال ابن اسحاق : ثم أن القوم تهيئوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال :

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا
إنى تفرست فيك الخير نافلة الله يعلم أنى ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر
قال ابن اسحاق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى اذا ودعهم وانصرف ،
قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرئ ودعته فى النخل خير مشيع و خليل
وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو خالد الاحمر عن الحجاج عن الحكم عن مقسم
عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث الى مؤتة فاستعمل زيدا ، فان قتل زيد فجعفر فان قتل
جعفر فان رواحة ، فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي ﷺ فرآه فقال « ما خلفك ؟ » فقال اجمع
معك « قال لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها » . وقال أحمد ثنا أبو معاوية ثنا الحجاج
عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فى سرية
فوافق ذلك يوم الجمعة ، قال فقدّم أصحابه وقال أتخلف فاصلى مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم الحقهم ،
قال فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال « ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟ » فقال أردت ان أصلى
معك الجمعة ثم الحقهم ، فقال رسول الله ﷺ « لو أنفقت ما فى الارض جميعاً ما أدركت غدوتهم » .
وهذا الحديث قد رواه الترمذى من حديث أبى معاوية عن الحجاج - وهو ابن أرطاة - ثم علله
الترمذى بما حكاه عن شعبة انه قال لم يسمع الحكم عن مقسم الا خمسة احاديث وليس هذا منها .
قلت والحجاج بن أرطاة فى روايته نظر والله اعلم ، والمقصود من ايراد هذا الحديث انه يقتضى
أن خروج الامراء الى مؤتة كان فى يوم جمعة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من ارض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل ما ب
من ارض البلقاء فى مائة الف من الروم ، وانضم اليه من ظلم وجذام والقيين وبهراء وبلى مائة الف منهم
عليهم رجل من بلى ، ثم احدثارشة يقال له مالك بن رافلة ، وفى رواية يونس عن ابن اسحاق فبلغهم
ان هرقل نزل بما ب فى مائة الف من الروم ومائة الف من المستعربة ، فلما بلغ ذلك المسلمين اقاموا

على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله ﷺ نخبه بعدد عدونا ، فاما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له ، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن التي تكروهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين ، إما ظهور وإما شهادة ، قال فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فضى الناس فقال عبد الله بن رواحة في محبسهم ذلك :

جلبنا الخيل من اجأ وفرع	تعر من الحشيش الى العكوم
حدوناها من الصوان سبنا	أزل كأنت صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان	فأعقب بعد قترتها هجوم
فرحنا والجياد مسومات	تنفس في مناخرها موم
فلا وابي ما ب لنايتها	وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا اعنتها فجاءت	عوابس والغبار لها يريم
بذى لحب كأن البيض فيه	إذا برزت قوائسها النجوم
فراضية المعيشة طلقها	استننا (١) فتنكح أوتئيم

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال : كنت يتيا لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلثداً معتمته وهو يفشد أبياته هذه :

إذا أدنيتني وحملت رحلي	مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلالك ذم	ولا أرجع الى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني	بارض الشام مستنهي (٢) الثواء
وردك كل ذى نسب قريب	الى الرحمن منقطع الأخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل	ولا نخل أسافلها رواء

قال فلما سمعتهن منه بكيت ، فنفقتي بالدرة وقال : ما عليك يا لعمرك أن برزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرحل ؟ ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يازيد زيد العملات الذبل تطاول الليل هديت فانزل

(١) في ابن هشام : أسفنها . (٢) قال السهيلي : مستنهي الثواء مستفعل من النهاية والانتها . أى حيث انتهى ثواءه ، ومن رواه مشتهى الثواء (كما في الاصل) أى لا أريد رجوعاً .

قال ابن اسحاق : ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بنخوم البلقاء لقيتهم جوع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتمبى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك . وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن المقبري عن أبي هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا مالا قبل لاحد به من العدة والسلاح والكرام والديباج والحبر والذهب ، فبرق بصري ، فقال لي ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة ؟ قلت نعم ! قال إنك لم تشهد بدرأ معنا ، إنا لم ننصر بالكثرة رواه البيهقي . قال ابن اسحاق ثم التقى الناس فاقتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل ، فكان جعفر أول المسلمين عقر في الاسلام . وقال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد حدثني أبي الذي ارضعني وكان أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكانني أنظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

باحبذ الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كفرة بعيدة أنسابها على إن لاقيتها ضرابها
وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي اسحاق ولم يذكر الشعر ، وقد استدلل من جواز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو كما يقول أبو حنيفة في الاغنام اذا لم تتبع في السير ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تذبح وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك والله أعلم . قال السهيلي ولم ينكر أحد على جعفر ، فدل على جوازه إلا اذا أمن أخذ العدو له ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثا . قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بمضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأنابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلا من الروم ضرب به يومئذ ضربة فقطعه بنصفين . قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال حدثني أبي الذي ارضعني وكان أحد بني مرة بن عوف قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أو لنكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنه مالى أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نقطة في شنه
وقال أيضاً :

يا نفس إن لا تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرأ ، ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده فانهس منه نهسة . ثم مع الحطمة في ناحية الناس فقال وانت في الدنيا ثم ؟ القاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنه . قال ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم اخو بنى العجلان . فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى ^(١) بهم ثم انجازوا نهيز عنه حتى انصرف بالناس . قال ابن اسحق : ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، قال ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم قال لقد رفعوا الى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله ابن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت عم هذا ؟ فقبل لى مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى . هكذا ذكر ابن اسحق هذا منقطعاً ، وقد قال البخارى ثنا أحمد بن واقد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فاصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . تفرد به البخارى ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : وما يسرم أنهم عندنا . وقال البخارى ثنا أحمد بن أبي بكر ثنا مغيرة بن عبد الرحمن الخزومي وليس بالحرامى عن عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر . قال أتمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد ابن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ ان قتل زيد فجعفر ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال عبد الله كنت فيهم في تلك الغزوة فالتسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضاً وتسعين من ضربة ورمية تفرد به البخارى أيضاً . وقال البخارى أيضاً حدثنا احمد ثنا ابن

(١) في السهيلي : الخاشاة المحاجزة وهى مفاعلة من الخشية لانه خشى على المسلمين اقله عددهم .

ثم قال : ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الخشى وهى الناحية . وقيل حاشى بهم انجاز بهم .

وهب عن ابن عمرو عن أبي هلال - هو سعيد بن أبي هلال الليثي - قال : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتييل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره . وهذا أيضاً من أفراد البخاري . ووجه الجميع بين هذه الرواية والتي قبلها أن ابن عمر اطلع على هذا العدد ، وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، وأن هذه في قبله أصيبت قبل أن يقتل ، فلما صرع إلى الأرض ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعد ابن عمر ما كان في قبله وهو في وجه الاعداء قبل أن يقتل رضي الله عنه . ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ثم شاله ما رواه البخاري ثنا محمد بن أبي بكر ثنا عمر بن علي عن اسمعيل بن أبي خلاد عن عامر قال كان ابن عمر إذا حوَّ ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين . ورواه أيضاً في المناقب والنسائي من حديث يزيد بن هرون عن اسمعيل بن أبي خالد ، وقال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفيان بن اسمعيل عن قيس بن أبي حازم قال سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي الا صفحة يمانية . ثم رواه عن محمد بن المثني عن يحيى بن اسمعيل حدثني قيس سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت في يدي صفحة يمانية انفرد به البخاري . قال الحافظ أبو بكر البيهقي ثنا أبو نصر بن قتادة ثنا أبو عمرو مطر ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجعي ثنا سليمان بن حرب ثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قدم علينا عبدالله بن رباح الانصاري وكانت الانصار تفقهه ، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه فقال أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ قال بعث رسول الله ﷺ جيش الامراء وقال عليكم زيد بن حارثة ، وقال ان أصيب زيد فجعفر ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال فوثب جعفر وقال يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل زيدا على قال امض فانك لا تدري أي ذلك خير ، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله فصعد رسول الله ﷺ المنبر فامر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله ﷺ فقال اخبركم عن جيشكم هذا ، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء هو امر نفسه ثم قال رسول الله ﷺ « اللهم انه سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمى خالد سيف الله . ورواه النسائي من حديث عبدالله بن المبارك عن الاسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو انه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع اليه الناس قال باب خير باب خير و ذكر الحديث . وقال الواقدي حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم . قال : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر

الى معتركم ، فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فجاء الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ، وحبب اليه الدنيا فقال الآن استحكم الايمان في قلوب المؤمنين تحبب الي الدنيا ، فمضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال استغفروا له فقد دخل الجنة وهو شهيد . قال الواقدي وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومنه الدنيا فقال الآن حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين بمنى الدنيا ، ثم مضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال استغفروا لاختيم فانه شهيد دخل الجنة وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء في الجنة ، قال ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضا فشق ذلك على الأنصار فقبل يا رسول الله ما أعترضه ؟ قال لما أصابته الجراح نكل فماتت نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة فسرى عن قومه . قال الواقدي وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله ﷺ الآن حي الوطيس . قال الواقدي فحدثني العطف بن خالد قال لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد فلما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميسرته ميسرته ، قال فانكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين ، قال فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه فانه قال بعد عمرة الحديبية ثم صدر رسول الله ﷺ الى المدينة فكثبها ستة أشهر ثم إنه بمث جيشا الى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب جعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فبعده الله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى اذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فاغلاق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا على زرع أحمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم اخذه جعفر فقتل ، ثم اخذه عبد الله بن رواحة فقتل ثم اصطالح المسلمون بعد امراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد الخزومي فهزم الله العدو وظهر المسلمين قال وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الاولى - يعني سنة ثمان - قال موسى بن عقبة : وزعموا ان رسول الله ﷺ قال مرة على جعفر في الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان . قال وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله ﷺ ان شئت فاخبرني وان شئت أخبرك ، قال اخبرني يا رسول الله قال فاخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرقا لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله ﷺ « ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معتركم » فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن اسحاق وفيه مخالفة لما ذكره ابن اسحاق من أن خالد انما

حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بانهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه . ورواه البخارى وهذا هو الذى رجحه ومال اليه الحافظ البهقي بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن اسحاق وبين قول الباقيين وهو أن خالد لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة . فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء الى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزمهم بأذن الله والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر عن عروة قال لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه [قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فأتى بعبد الله فأنزله فحمله بين يديه] فجعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ « ليسوا بالفرار ولكنكم الكرار إن شاء الله عز وجل » وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة ، وعندى أن ابن اسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفرؤا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ للمسلمين وهو على المنبر في قوله ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فرارا بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراما وأعظاما ، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . قال الامام احمد حدثنا حسن ثنا زهير ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فخاص الناس حيصة وكنت فيمن خاص ، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة قتلنا ، ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله ﷺ فان كانت لنا توبة والا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ونخرج فقال من القوم ؟ قال قلنا نحن فرارون ، فقال لا بل انتم الكرارون انا فقتلكم وانا فئة المسلمين ، قال فأتيناه حتى قبلنا يده . ثم رواه غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر قال : كنا في سرية ففررنا فاردنا أن نركب البحر ، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون ، فقال لا بل انتم المكارون . رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي حسن لا نعرفه الا من حديثه . وقال احمد حدثنا اسحاق بن عيسى وأسود بن عامر قالا : حدثنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن عمر قال : بعثنا رسول

الله ﷺ في سرية ، فلما لقينا العدو انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفر ليل فاختفينا ثم قلنا لو خرجنا الى رسول الله ﷺ واعتذرنا اليه ، فخرجنا اليه ثم التقينا قلنا نحن الفرارون يا رسول الله قال « بل أنتم العكارون وأنا فثتكم » قال الاسود « وأنا فثة كل مسلم » وقال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فرار فررتهم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو على ما ذكره مائتي الف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله ، ويؤيد ذلك ويشأ كله بالصحة ما رواه الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ومدوى من اليمن ليس معه غير سيفه فنحرج رجل من المسلمين جزوراً فسأله المدوى طابقة من جلده فاعطاه اياه فأتخذه كهيئة الدرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له اشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يغزى بالمسلمين ، وقعد له المدوى خلف صخرة فر به الرومي فرقبه فخر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث اليه خالد بن الوليد يأخذ من السلب ، قال عوف فاتيته فقلت يا خالد اما علمت ان رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال بلى ولكني استكثر به ، فقلت به ؟ فقلت لتردنه اليه اولا عرفنكمها عند رسول الله ﷺ ، فابى أن يرد عليه . قال عوف فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المدوى وما فعل خالد فقال رسول الله ﷺ « يا خالد رد عليه ما أخذت منه » قال عوف فقلت دونك يا خالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله ﷺ وما ذاك فاخبرته فغضب رسول الله ﷺ وقال « يا خالد لا ترد عليه هل أنتم تاركوا أمرائي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » قال الوليد سألت ثورا عن هذا الحديث فحدثني عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عوف بنحوه . ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرفهم وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خلادا رضي الله عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي الا صفحة يمانية ، وهذا يقتضي أنهم انخروا فيهم قتلا ولولم يكن كذلك لما قد روا على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو

اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي وحكاة ابن هشام عن الزهري . قال البيهقي رحمه الله : إنه اختلف أهل المغازي في فرارهم وأنحيازهم ، فمنهم من ذهب الى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا . قال وحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن اسحاق أن قطبة بن قنادة العذري - وكان رأس ميمنة المسلمين - حمل على مالك بن زافلة ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله وقال يفتخر بذلك :

طعنت ابن رافلة بن الاراش برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جبهه ضربة فمال مال غصن السلم
وسقنا نساء بنى عمه غداة رقوقين سوق النعم

وهذا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش اذا قتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرح في شعره بأنهم سبوا من نساءهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله أعلم . واما ابن اسحاق فإنه ذهب الى أنه لم يكن الا الخاشاة والتخلص من أيدي الروم ومعنى هذا نصراً وفتحاً أى باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقضى العادات أن يصطلحوا بالكلية ، فلما تخلصوا منهم وأنحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام وهذا متحمل لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام « ففتح الله عليهم » والمقصود أن ابن اسحاق يستدل على ما ذهب اليه فقال : وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن المهسر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فوالله لا تنفك نفسى تلومنى على موقفى والخيل قابضة قبل
وقفت بها لا مستعجزاً فذا هذا ولا مانعاً من كان حم له القتل
على أنفى آسيت نفسى بخالد ألا خالد فى القوم ليس له مثل
وجاشت الى النفس من نحو جعفر بمؤنة إذ لا ينفع النابل النبل
وضم البنا حجزتهم كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عدل

قال ابن اسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره أن القوم جاحزوا وكرهوا الموت ، وحقق أنحياز خالد بمن معه . قال ابن هشام : واما الزهري فقال - فيما بلغنا عنه - أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع الى المدينة .

﴿ فصل ﴾

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن

جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناء وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفهم ، فقال رسول الله ﷺ « إئتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال « نعم أصيبوا هذا اليوم » قالت فقامت أصبح واجتمع إلى النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » . وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ورواه ابن اسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون . وقال الامام أحمد حدثنا سفيان ثنا جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : لما جاء نفي جعفر حين قتل قال النبي ﷺ « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم ، أو أتاهم ما يشغلهم » وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة الخزومي المكي عن أبيه عن عبد الله بن جعفر وقال الترمذي حسن . ثم قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لما أتى نفي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن ، قالت فدخل عليه رجل فقال يا رسول الله [إن النساء] عييننا وفتننا ، قال « أرجع اليهن فاسكنهن » قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت [يقول] وربما ضر التكلف - يعني أهله - [قالت قال فاذهب] فاسكنهن فان أبين فاحشوا في أفواههن التراب » قالت [وقلت] في نفسي أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ ، قالت وعرفت أنه لا يقدر يحش في أفواههن التراب . إنفرد به ابن اسحاق من هذا الوجه وليس في شيء من الكتب وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال أخبرني عمرة قالت سمعت عائشة تقول : لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة وأنا اطلع من صابر الباب - شق - فأتاه رجل فقال : أي رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاهن ، فامرهم أن ينهالن قالت فذهب الرجل ثم أتى فقال والله لقد غلبتنا ، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال « فاحش في أفواههن من التراب » قالت عائشة رضى الله عنها فقلت أرغم الله أنفك ، فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله ﷺ من العناء . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عن يحيى بن سعيد الانصاري عن عمرة عنها . وقال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن قتل زيد أو استشهد فأمرهم جعفر ، فان قتل أو استشهد

فأميركم عبد الله بن رواحة « فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي ﷺ فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتهم ، ثم أتاهم فقال « لا تبكوا على أخى بعد اليوم ، أدعوا إلى بنى أخى » قال فجئ بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا إلى الحلاق » فجئ بالحلاق فخلق رؤسنا ، ثم قال « أما محمد فشبيهه عننا أبي طالب ، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلقى » ثم أخذ بيدي فأشأها وقال « اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات . قال فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح ^(١) له فقال « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ » ورواه أبو داود يبعضه ، والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به ، وهذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ثم نهام عنه بعدها ، ولله معنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله بن شداد عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها لما أصيب جعفر « تسلى ثلاثاً ثم اصنعى ما شئت » تفرد به أحمد فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبى أولادها وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الاحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شئت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الاحداد المعتاد والله أعلم . و يروى تسلى ثلاثاً - أى تصبرى ثلاثاً - وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم . فاما الحديث الذى قاله الإمام أحمد حدثنا يزيد ثنا محمد بن طلحة ثنا الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال لا تحدى بعد يومك هذا . فانه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به ولكنه مشكل إن حل على ظاهره لانه قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تمجد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام الأعلى زوج أربعة أشهر وعشراً » فان كان ما رواه الإمام أحمد محفوظاً فتكون مخصوصة بذلك أو هو أمر بالمبالغة في الاحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم والله أعلم .

(١) في النهاية تفسيراً لهذا الخبر : فهو من أفرحه إذا غمه وإزال عنه الفرح (ثم قال) وإن كان بالجيم فهو من الفرج الذى لا عشيرة له حتى قال لها النبي ﷺ تخافين العيلة وأنا وليهم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فأليت لا تنفك نفسى حزينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

فله عينا من رأى مثله ففى أكر وأحى فى الهياج وأصبرا

ثم لم تنشب أن انفقت عنها نخطبها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فزوجها فأولم وجاء الناس للولية فكان فيهم على بن أبى طالب ، فلما ذهب الناس استأذن على أبى بكر رضى الله عنهما فى أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها على : — على وجه البسط — من القائلة فى شعرها :

فأليت لا تنفك نفسى حزينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا ؟

قالت دعنا منك يا أبى الحسن فانك امرؤ فيك دعابة ، فولدت للصديق محمد بن أبى بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله ﷺ ذاهب الى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتهل وسبأنى فى موضعه ، ثم لما توفى الصديق تزوجها بعده على بن أبى طالب وولدت له أولاداً رضى الله عنه وعنهما وعنهم أجمعين .

فصل

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال « خذوا الصبيان فاحلوم واعطوئى ابن جعفر » فأتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم فى سبيل الله ! قال فيقول رسول الله ﷺ « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله » وهذا مرسل . وقد قال الامام أحمد ثنا أبو معاوية ثنا عاصم عن مورك المعلى عن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله ﷺ اذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته ، وأنه قدم من سفر فسبق الى اليه ، قال فحملنى بين يديه ثم قال « جئ باحد بنى فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فاردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة . وقد رواه مسلم وأبو داود والفسائى وابن ماجه من حديث عاصم الاحول عن مورك به . وقال الامام أحمد ثنا روح حدثنا ابن جريج ثنا خالد بن سارة أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتنى وقما وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب اذ مر النبي ﷺ على دابة فقال « ارفعوا هذا الى » فحملنى أمامه وقال لقم « ارفعوا هذا الى » فحمله وراه ، وكان عبيد الله أحب الى عباس من قم فاستحى من عمه أن حمل قما وتركه قال ، ثم مسح على رأسه ثلاثا وقال كلما مسح « اللهم اخلف جعفراً فى ولده » قال

قلت لعبد الله ما فعل قم؟ قال استشهد؟ قال قلت الله ورسوله أعلم بالخير؟ قال أجل . ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج به . [وهذا كان بعد الفتح فان العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح فاما الحديث رواه الامام أحمد ثنا اسماعيل ثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن أبي مليكة قال قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر اذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال نعم فحملنا وتركك . وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الاجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه والله أعلم (١) .

فصل

﴿ في فضل هؤلاء الامراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضى الله عنهم ﴾

اما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله ﷺ ، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فاغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، وقيل اشتراه رسول الله ﷺ لها فوهبته من رسول الله ﷺ قبل النبوة فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله ﷺ فاعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى (وما جعل أديعاءكم أبناءكم) وقوله تعالى (ادعواهم لأبائهم هو أقبسط عند الله) وقوله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) وقوله (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها) الآية أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى أنعم الله عليه أى بالاسلام ، وأنعمت عليه أى بالعتق ، وقد تكلمنا عليها في التفسير . والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غير ه ، وهداه الى الاسلام وأعتقه رسول الله ﷺ وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحب بن الحب ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش وأخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الامرة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه . وقد قال الامام أحمد والامام الجاهظ أبو بكر بن أبي شيبة - وهذا لفظه - ثنا محمد بن

عبيد عن وائل بن داود سمعت البهي يحدث أن عائشة كانت تقول : ما بعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة في سرية الا أمره عليهم ، ولو بقي بعد لاستخلفه . ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان عن محمد بن عبيد الطنافسي به . وهذا اسناد جيد قوى على شرط الصحيح وهو غريب جدا والله أعلم . وقال الامام أحمد ثنا سليمان ثنا اسمعيل أخبرني ابن دينار عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فظعن بعض الناس في أمرته ، فقام رسول الله ﷺ فقال : « ان تطعنوا في أمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وإيم الله ان كان خليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس الى وإن هذا لمن أحب الناس الى بعده » وأخرجاه في الصحيحين عن قتيبة عن اسمعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا عمر بن اسمعيل عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : لما أصيب زيد ابن حارثة وجيء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فأخر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « ألقى منك اليوم ما لقيت منك أمس » وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم . وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول : « أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » قال وإن عينيه لتدرفان ، وقال وما يسرهم أنهم عندنا . وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة . وقد قال حسان بن ثابت يري زيد بن حارثة وابن رواحة :

عين جودى بدمعك المنزور	واذ كرى في الرخاء أهل القبور
واذ كرى مؤتة وما كان فيها	يوم راحوا في وقعة التغوير
حين راحوا وغادروا ثم زيدا	نعم مأوى الضريك والمأسور
حب خير الانام طراً جميعاً	سيد الناس حبه في الصدور
ذا كم أحمد الذي لاسواه	ذاك حزنى له معاً وسرورى
إن زيد قد كان منا بامر	ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودى للخزرجى بدمع	سيلاً كان ثم غير نزور
قد أنانا من قتلهم ما كفانا	فبحزن نبيت غير سرور

واما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله ﷺ وكان أكبر

من أخيه على بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، أسلم جعفر قديماً وهاجر الى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة والله الحمد . وقد قدم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال عليه الصلاة السلام « ما أدرى أنا بأيهما أمر ، أبقدم جعفر أم بفتح خير » وقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية « أشبهت خلقي وخلقي » فيقال إنه حجل عند ذلك فرحاً كما تقدم في موضعه والله الحمد والمنة . ولما بعثه الى مؤتة جعل في الامر مصلياً - أي نائباً - لزيد بن حارثة ، ولما قتل وجدوا فيه بضعا وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر ، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء فلما فقدما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال إن رجلا من الروم ضربه بسيف فقطعه ياننتين رضى الله عن جعفر ولمن قاتله ، وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد ، فهو ممن يقطع له الجنة . وجاء بالاحاديث تسميته بذى الجناحين . وروى البخارى عن ابن عمر أنه كان اذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا ابن ذى الجناحين ، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما في الصحيح عن ابن عمر . قالوا لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين في الجنة وقد تقدم بعض ما روى في ذلك . قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا علي بن حجر ثنا عبد الله بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « رأيت جعفرأ يطير في الجنة مع الملائكة » وتقدم في حديث أنه رضى الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثين سنة . وقال ابن الاثير في الغابة كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين ، قال وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسن من على بعشر سنين يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن حلياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره احدى وعشرين سنة ، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة والله أعلم . وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيار لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لاحسانه اليهم . قال الامام احمد وحدثنا عفان بن وهيب ثنا خالد عن عكرمة عن أبي هريرة قال : ما احتدى النمل ولا انتمل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب وهذا إسناد جيد الى أبى هريرة وكأنه إنما يفضل في الكرم ، فاما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، واما أخوه على رضى الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه ، وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم بدليل ما رواه البخارى ثنا

أحمد بن أبي بكر ثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهنى عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة ، أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وأنى كنت أؤزم رسول الله ﷺ بشبع بطنى خبز لا آكل الخبز ولا ألبس الحرير ولا يخدمنى فلان وفلانة ، وكنت ألتصق بطنى بالخصباء من الجوع ، وإن كنت لاستقرى الرجل الآية هى معى كى ينقلب بى فيطعمنى ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان فى بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العسكة التى ليس فيها شئ فنشقها فنلحق ما فيها . تفرد به البخارى . وقال حسان ابن ثابت برئى جعفرأ :

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر	حب النبي على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعت لى	من للجلاد لدى العقاب وظلها
بالبيض حين تسل من أغمادها	ضربا وإنهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر	خير البرية كلها وأجلها
رزماً وأكرمها جمعياً محتدا	وأعزها متظلماً وأذلها
للحق حين ينوب غير تنحل	كذباً وأنداهها يدا وأقلها
فخساً وأكثرها اذا ما يجتدى	فضلاً وأنداهها يدا وأبلها
بالعرف غير محمد لأمثله	حى من احياء البرية كلها

واما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الاكبر بن مالك بن الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمد ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو الانصارى الخزرجى وهو خال النعمان بن بشير ، اخته عمرة بنت رواحة أسلم قديماً وشهد العقبة وكان أحد النقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج وشهد بدر وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وكان يبعثه على خرصها كما قدمنا وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقه رسول الله ﷺ وقيل بفرزها - يعنى الركاب - وهو يقول * خلوا بنى الكفار عن سبيله * الأبيات كما تقدم . وكان أحد الامراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم وقد شجع المسلمين لقاء الروم حين اشتوروا فى ذلك وشجع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قتل صاحبه ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . وروى أنه لما أنشد النبي ﷺ شعره حين ودعه الذى يقول فيه :

فثبت الله ما آتاك من حسن تنبيت موسى ونصراً كالذى نصرنا

قال له رسول الله ﷺ « وأنت فثبتك الله » قال هشام بن عروة : فثبتته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنة . وروى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى

رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول « اجلسوا » فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « زادك الله حرصا على طواعة الله وطواعة رسوله » وقال البخارى فى صحيحه وقال ابن معاذ اجلس بنائو من ساعة . وقد ورد الحديث المرفوع فى ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك فقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد عن عمارة عن زياد النحوى عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة اذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال تؤمن بربنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة فقال النبي ﷺ « رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » وهذا حديث غريب جدا . وقال البيهقى ثنا الحاكم ثنا أبو بكر ثنا محمد بن أيوب ثنا أحمد بن يونس ثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى تؤمن ساعة ، قال أو لسنا بمؤمنين ؟ قال بلى ولكننا نذكر الله فتزداد إيمانا . وقد روى الحافظ أبو القاسم اللالكاني (١) من حديث أبي الهيثم عن صفوان بن سليم عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا تؤمن ساعة فنجلس فى مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك فى أول شرح البخارى والله الحمد والمنة . وفى صحيح البخارى عن أبي الدرداء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فى حر شديد وما فىنا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، ومما نقله البخارى من شعره فى رسول الله ﷺ :

وفينا رسول الله فتلوا كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يحافى جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالمشركين المضاجع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

وقال البخارى حدثنا عمران بن ميسرة ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى ، واجبلأه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق : ما قلت شيئا الا قيل لى أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ثنا خيشمة عن حصين عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه وقد قدمنا ما رواه به حسان بن ثابت مع غيره . وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضى الله عنهم :

كفى حزنا أنى رجعت وجعفر وزيد وعبد الله فى رمس أقبر

(١) كذا فى الاصل وفى الحلبية : اللالكاني والمحفوظ : اللالكاني .

قضوا نجبهم لما مضوا لسبيلهم وخلفت قلوبى مع المتغير
وسياتى إن شاء الله تعالى بقية مارئى به هؤلاء الامراء الثلاث من شعر حسان بن ثابت وكعب بن
مالك رضى الله عنهما وأرضاها .

﴿ فصل فى ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين ﴾

فمن المهاجرين جعفر بن أبى طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ، ومسعود بن الاسود بن
حارثة بن نضلة العدوى ، ووهب بن سعد بن أبى سرح ، فهؤلاء أربعة نفر . ومن الانصار عبد الله
ابن رواحة ، وعباد بن قيس الخزرجيان ، والحارث بن النعمان بن اساف بن نضلة النجاري ، وسراقة
ابن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر . فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية
على ما ذكره ابن اسحاق لكن قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهري
أبو كليب وجابر أبنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر
ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى فهؤلاء أربعة من
الانصار أيضاً فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان فى
الدين أحدهما وهو الفئة التى تقاتل فى سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا الف
مقاتل ، من الروم مائة الف ، ومن نصارى العرب مائة الف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله
لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلاً وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول
لقد اندقت فى يدي يومئذ تسعة أسياف وماصبرت فى يدي الا صفحة بمانية فإذا ترى قد قتل بهذه
الاسياف كلها ؟ ! دع غيره من الابطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكوا فى عبدة الصليبان
عليهم لعائن الرحمن ، فى ذلك الزمان وفى كل أوان . وهذا مما يدخل فى قوله تعالى (وقد كان لكم
فى فتنين النكتة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ترونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره
من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الابصار) .

﴿ حديث فيه فضيلة عظيمة لأمرأ هذه السرية (١) ﴾

وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم . قال الامام العالم
الحافظ أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازى نصر الله وجهه فى كتابه دلائل النبوة - وهو
كتاب جليل - حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ثنا الوليد ثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن

(١) لم يرد هذا الفصل فى نسخة دار الكتب المصرية .

إبراهيم الدمشقي ثنا الوليد وعمر - يعني ابن عبد الواحد - قال : ثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخبازي يقول أخبرني أبو أمامة الباهلي سمعت رسول الله ﷺ يقول « بينا أنا قائم إذا أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا وعراً فقالا اصعد ، فقلت لا أطيقه فقالا إنا سنسهله لك قال فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة فقلت ما هؤلاء الاصوات ؟ فقالا عواء أهل النار ثم انطلقا بي فإذا بقوم معلقين بعراقيهم مشقة أشداقهم تسيل أشداقهم دما فقلت ما هؤلاء ؟ فقالا هؤلاء الذين يظفرون قبل تحلة صومهم فقال خابت اليهود والنصارى » قال سليم سمعه من رسول الله ﷺ أم من رأيه ؟ ثم انطلقا بي فإذا قوم أشد شئاً انتفاخاً وأنتن شئاً رجماً كأن رجيم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء قتلى الكفار ثم انطلقا بي فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن شئاً رجماً كأن رجيم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلقا بي فإذا بنساء ينهش ثديهن الحيات فقلت ما بال هؤلاء ؟ قال هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن الباتهن ثم انطلقا بي فإذا بفلمان يلعبون بين بحرين قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء ذراري المؤمنين ثم أشرفاً بي شرفاً فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خر لهم فقلت من هؤلاء ؟ قال هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة ثم أشرفاً بي شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة فقلت من هؤلاء ؟ قال هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

❖ فصل فيما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة ❖

قال ابن أسحاق : وكان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان :

تأوبني ليل يثرب أعسر	وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة	سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بلية	وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا	شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخر
فلا يبعث الله قتلى تتابعوا ^(١)	بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ^(١)	جميعاً وأسباب المنية فخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم	إلى الموت ميمون النقية أزهـر
أغر كضوء البدر من آل هاشم	أبى إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير مؤسد	بمترك فيه القنا متكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه
 وكنا نرى في جعفر من محمد
 وما زال في الاسلام من آل هاشم
 هموا جيل الاسلام والناس حولهم
 بهاليل منهم جعفر وابن أمه
 وحمة والعباس منهم ومنهموا
 بهم تفرج اللاواء في كل مأزق
 هم أولياء الله أنزل حكمه
 وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نام العيون ودمع عينك يهمل
 في ليلة وردت على همومها
 واعتادني حزن فبت كأنني
 وكأنا بين الجوانح والحشا
 وجداً على النفر الذين تتابعوا
 صلى الآله عليهم من فنية
 صبروا بمؤتة للآله نفوسهم
 ففضوا أمام المسلمين كأنهم
 إذ يهتدون بجعفر ولوائه
 حتى تفرجت الصفوف وجعفر
 فتغير القمر المنير لفقده
 قرم على بفياته من هاشم
 قوم بهم عصم الآله عباده
 فضلوا المعاشر عزة وتكرما
 لا يطلقون الى السفاه جباهوا
 سحاً كما وكف الطيب الخضل (٢)
 طوراً أخن وقارة أنم (٣)
 بينات نعش والسمك موكل
 مما تأوبنى شهاب مدخل
 يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
 وسقى عظامهم الغمام المسبل
 حذر الردى وخافة أن ينكلوا
 فنق عليهم الحديد المرفل
 قدام أولهم فنعم الأول
 حيث التقى وعث الصفوف مجدل
 والشمس قد كسفت وكادت تأفل
 فرط أشم وسودداً ما ينقل
 وعليهم نزل الكتاب المنزل
 وتنفدت أحلامهم من يجهل
 وترى خطيبهم بحق يفصل

(١) العباس المظلم والأعمس الضعيف البصر . (٢) في الأصل الطيب الخضل وهو تصحيف .
 والطيب كما في السهيل جمع طبابة وهي سير بين خرتين في المزايدة فإذا كان غير محكم وكف منه
 الماء . وأيضا جمع طبة وهي شقة مستطيلة . (٣) كذا في الاصل وفي ابن هشام : أنمّل .

بيض الوجه ترى بطون أ كفه تندى اذا اعتذر الزمان المحل
وبهديهم رضى الآله خلقة وبجدم ^(١) نصر النبي المرسل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

✽ كتاب بعث رسول الله ﷺ الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم ✽

✽ يدعوهم الى الله عز وجل وإلى الدخول في دين الاسلام ✽

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذى الحجة بعد عمرة الحديبية ، وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول أبي سفيان لم يقل حين سألته هل يغدر فقال لا ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو صانع فيها . وفي لفظ البخارى وذلك في المدة التي مآذ فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ . وقال محمد بن اسحاق : كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام . ونحن نذكر ذلك هاهنا وإن كان قول الواقدي محتتملا والله أعلم . وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المعنى عن عبد الأعلى عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه . وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال : كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله ﷺ لا نأمن إن وجدنا أمناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قریش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً الا وقد حملني بضاعة ، وكان وجه متجرتنا من الشام غرة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الاعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بمحصر من الشام فخرج منها يمشى متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى ايلياء فصلى بها فاصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء ، فقالت له بطارقه أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ؟ فقال أجل ، فقالوا وما ذاك ؟ فقال أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ، فقالوا والله ما نعلم أمة من الأمم نختنن الا اليهود وهم نحت يديك وفي سلطانك فان كان قد وقع ذلك في نفسك

(١) كذا في الاصول وفي ابن هشام : بجدمهم بالخاء المهملة .

منهم فابعث في مملكته كلها فلا يبقى يهودى الا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم . فانهم في ذلك من رأيهم يدبرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع اليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدثك عن حدث كان ببلاده فأسأله عنه ، فلما انتهى اليه قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذى كان في بلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن فخرجت من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال جردوه فاذا هو مختنن فقال هذا والله الذى قد أريت لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك . ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له قلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه ، قال أبو سفيان فوالله إني وأصحابي لبغزة اذ هجم علينا فسالنا ممن أنتم ؟ فآخبرناه فسالنا اليه جميعاً فلما انتهينا اليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الا غلف - يريد هرقل - قال فلما انتهينا اليه قال أيكم أمس به رحماً ؟ فقلت أنا ، قال ادنوه منى ، قال فاجلسنى بين يديه ثم أمر أصحابي فاجلسهم خلفي وقال : إن كذب فردوا عليه ، قال أبو سفيان فلقد عرفت أنى لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت امرأاً سيذاً أتكرم وأستحي من الكذب وعرفت أن أدنى ما يكون فى ذلك أن يرووه عنى ثم يتحدثونه عنى بمكة فلم أكذب ، فقال أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج فيكم ، فزهدت له شأنه وصغرت له أمره ، فقلت سلنى عما بدا لك ؟ قال كيف نسبه فيكم ؟ فقلت محضاً من أوسطنا نسباً ، قال فأخبرنى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت لا قال فأخبرنى هل له ملك فاسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لردوه عليه ؟ فقلت لا قال فأخبرنى عن اتباعه من هم ؟ فقلت الأحداث والضعفاء والمساكين فاما أشرافهم وذووا الانساب منهم فلا ، قال فأخبرنى عن صحبه أئجه ويكرمه أم يقلية ويفارقه ؟ قلت ما صحبه رجل ففارقته قال فأخبرنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت سجال يدال علينا وتدال عليه . قال فأخبرنى هل يغدر فلم أجده شيئاً أغره به إلا هى قلت لا ونحن منه فى مدة ولا نأمن غدره فيها . فوالله ما التفت اليها منى قال فاعاد على الحديث ، قال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبی لا يأخذه الا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت لا ، وسألتك هل كان له ملك فاسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لردوا عليه ملكه فقلت لا ، وسألتك عن اتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان ، وسألتك عن يتبعه أئجه ويكرمه أم يقلية ويفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقوه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتداولون عليه وكذلك يكون حرب الانبياء

ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يقدر فرغت أنه لا يقدر فلن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت
قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه ، ثم قال الحق بشأنك قال فقامت وأنا أضرب
إحدى يدي على الأخرى وأقول : يا عباد الله لقد أمر [أمر ابن أبي كبشة ، وأصبح ملوك بني
الأنصار يخافونه في سلطانهم . قال ابن اسحاق : وحدثني ^(١) الزهري قال حدثني أسقف من
النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله ﷺ فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد
فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أبيت فإن إثم الأكاريين عليك . قال فلما انتهى إليه كتابه
وقراه أخذته فجعله بين يديه وخصصرته ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية
ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله ﷺ فكتب إليه إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه ، فأمر
بعضاء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم أمر بها فأشرفت ^(٢) عليهم واطلع عليهم من عليه له وهو
منهم خائف فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحمد وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر ومجل
ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته وزمانه فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم فنخروا نخرة رجل
واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم ، فخافهم وقال ردوهم على فردوم عليه فقال لهم
يا معشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ؟ فلقد رأيته
منكم ما سرني فوقوا له سجدا ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا . وقد روى البخاري قصة أبي
سفيان مع هرقل بزيادات أخرأ حبينا أن نوردناها بسندها وحررفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين
من التباين وما فيهما من الفوائد . قال البخاري قبل الإيمان من صحيحه حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع
ثنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره
أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول
الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فاتوه وهم بابلية فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم
دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان قتلته
أنا أقربهم نسباً ، قال ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهري . ثم قال لترجمانه قل لهم إني سألت
هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه ، فوالله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبت عنه ، ثم كان
أول ما سألتني عنه أن قال كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا دونسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد
قط قبله ؟ قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت لا قال فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفائهم ؟
قلت بل ضعفائهم قال أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه
(١) ما بين المربعين سقط من نسخة حلب . (٢) كذا بالأصل ولعلها : فأشرفت عليهم .

بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا قال فهل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا قال
فهل يفدر ، قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً
غير هذه الكلمة ، قال فهل قاتلتمونه ؟ قلت نعم قال فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا
وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال ماذا يأمركم ؟ قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشرکوا به
شيئاً واتركوا ما يقول أبواكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان : قل له سألتك
عن نسبه فرمعت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد
منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول
قبل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه [من ملك] فذكرت أن لا فلو كان من آبائه من ملك قلت
رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ،
فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشرف الناس اتبعوه
أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت
أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل
فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تحالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يفدر فذكرت أن
لا وكذلك الرسل لا تفدر ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشرکوا به
شيئاً وبها كم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقاً فسيملك
موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أني أخلص إليه
لنجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لفلسن عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث
به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله
ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الاسلام
اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك إثم الاريسيين و (يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً
أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) قال أبوسفیان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة
الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات وأخرجنا ، فقلت لاصحابي حين خرجنا لقد رأيت
ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بنى الاصفر ، فازلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام
قال وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم
إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقه قد استنكرنا هيئتك ؟ قال ابن الناطور : وكان
هرقل حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه إني رأيت حين نظرت في النجوم ملك الخلتان

قد ظهر فن يختن من هذه الأمم؟ قالوا ليس يختن الا اليهود ولا يهمنك شأنهم واكتب الى مدائن
ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان
فخبرهم عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا يختن هوأم لا؟ فنظروا
اليه فحدثوه أنه مختن، وسأله عن العرب فقال هم يختنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الامة قد
ظهر. ثم كتب إلى صاحب له برومية - وكان نظيره في العلم - وسار هرقل إلى حصص فلم يرم بمحص
حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ﷺ وهو نبي، فأذن هرقل لعطاء
الروم في دسكرة له بمحص ثم أمر بابوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح
والرشد وأن يثبت لكم ملككم؟ فتتابعوا لهذا النبي، فخاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب
فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم على، وقال إني إنما قلت
مقاتلي آتياً فاختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيته، فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر
شأن هرقل. قال البخاري: ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمار عن الزهري. وقد رواه البخاري
في مواضع كثيرة في صحيحه بالفاظ يطول استقصاؤها. وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق
عن الزهري. وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لصحيح البخاري بما فيه كفاية
وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية والله الحمد والمنة. وقال ابن لهيعة عن الاسود عن
عروة قال: خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش وبلغ هرقل شأن رسول
الله ﷺ فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله ﷺ فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في
ملكه يأمره أن يبعث اليه رجال من العرب يسألهم عنه، فأرسل اليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان
ابن حرب، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها، فقال هرقل: أرسلت اليكم لتخبروني عن
هذا الذي بمكة ما أمره؟ قالوا ساحر كذاب وليس بنبي، قال فاخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه
رحماً؟ قالوا هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فاخرجوا عنه ثم اجلس أبا
سفيان فاستخبره، قال اخبرني يا أبا سفيان؟ فقال هو ساحر كذاب، فقال هرقل إني لا أريد شتمه
ولكن كيف نسب فيكم؟ قال هو والله من بيت قريش، قال كيف عقه ورأيه؟ قال لم يغب له رأى
قط، قال هرقل هل كان حلفاً كذاباً مخادعاً في أمره؟ قال لا والله ما كان كذلك، قال لعله
يطلب ملكاً أو شرفاً كان لاحد من اهل بيته قبله؟ قال أبو سفيان لا، ثم قال من يتبعه منكم هل
يرجع اليكم منهم أحد؟ قال لا، قال هرقل هل يغدر اذا عاهد؟ قال لا إلا أن يغدر مدته هذه، فقال
هرقل وما تخاف من مدته هذه؟ قال إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة، قال هرقل إن
كنتم أنتم بدائم قائم أغدر، فضرب أبو سفيان وقال لم يغلبنا الامرة واحدة وأنا يومئذ غائب وهو يوم

بدر ، ثم غزوته مرتين في بيوتهم بنقر البطون ونجدع الاذان والفروج ، فقال هرقل كذاباً تراه أم صادقاً فقال بل هو كاذب ، فقال إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه فان أفعال الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان في هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن اسحاق ولا البخارى . وقد اورد موسى ابن عقبة في مغازيه قريباً مما ذكره عروة بن الزبير والله اعلم . وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعتك ، فذهب الى صفاطر الاسقف فاذا كره له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجود قولاً عندهم مني ، فانظر ماذا يقول لك ؟ قال فجاء دحية فاخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ الى هرقل وبما يدعو اليه ، فقال صفاطر والله صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه ، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من احمد يدعونا فيه الى الله واتى أشهد أن لا اله الا الله وأن احمد عبده ورسوله . قال فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه قال فلما رجع دحية الى هرقل فاخبره الخبر قال قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا ، فصفاطر والله كان أعظم عندهم واجوز قولاً مني [وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن ابيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله ﷺ الى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت استأذنوا رسول رسول الله ﷺ ، فأتى قيصر فقيل له إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله ففرعوا لذلك وقال أدخله فادخلني عليه وعنده بطارقه فاعطيته الكتاب فاذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ، فنخر ابن أخ له احمر ازرق سبط فقال لا تقرأ الكتاب اليوم فانه بدأ بنفسه وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال فقرأ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث الى فدخلت عليه فسألني فاخبرته ، فبعث الى الاسقف فدخل عليه . وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله . فلما قرأ الكتاب قال الاسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر . قال قيصر فما تأمرني ؟ قال الاسقف أما أنا فأتى مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ما كى وقتلني الروم ^(١) وبه قال محمد بن اسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء اهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من ارض الشام الى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي ﷺ جمع الروم فقال : يا معشر الروم إني عارض

عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها ؟ قالوا ما هي ؟ قال تعلمون والله ان هذا الرجل لنبي مرسل نبعده نعرفه بصفته التي وصف لنا فهل فلننتبعه فتسلم لنا دنياها وآخرتنا فقالوا نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثردرجالاً . وأقصاه بلداً ؟ قال فهل أعطيه الجزية كل سنة أ كسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه ، قالوا نحن نعطي العرب الذل والصغار يخرج يأخذونه منا ونحن أ كثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكاً ، وأمنه بلداً ، لا والله لا نفعل هذا أبداً ، قال فهل فلا صالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام ، قال وكانت أرض سورية ، فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام . فقالوا نحن نعطي أرض سورية وقد عرفت أنها أرض سورية الشام لا نفعل هذا أبداً ، فلما أبوا عليه قال أما والله لتودن أنكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال ثم جلس على بغل له فانطلق حتى اذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك يا أرض سورية تسلم الوداع ، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية والله أعلم .

﴿ ذكر إرساله عليه السلام الى ملك العرب من النصارى الذين بالشام ﴾

قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمه الى المنذر ابن الحارث بن أبي فهر الغساني صاحب دمشق ^(١) . قال الواقدي : وكتب معه ؛ سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، وادعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق لك ملكك . فقدم شجاع بن وهب فقراءه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إني سأسير اليه .

﴿ ذكر بعثه الى كسرى ملك الفرس ﴾

وروى البخاري من حديث الليث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل الى كسرى وأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلما قرأه كسرى مرقة قال فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق . وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهري حدثني عبد الرحمن بن عبيد القاري أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم » فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فرأنا وابعثنا ، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ^(١) كذا بالأصل ، وفي ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن فهر الغساني ملك نخعوم الشام . ثم جاء برواية أخرى أنه بعثه الى جبلة بن الأيهم الغساني .

ثم اذن لعطاء فارس ، ثم اذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الخيرة فقرأه فإذا فيه : من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس . قال فاغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع ابن وهب فاخرج ، فلما رأى ذلك قصد على راحلته ثم سار ثم قال : والله ما أبالي على أى الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله ﷺ . قال ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث الى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الخيرة فسبق ، فلما قدم شجاع على النبي ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ « مزق كسرى ملكه » وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ؟ فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال « مزق ملكه » وقال ابن جرير ^(١) حدثنا أحمد بن حميد ثنا سلمة ثنا ابن اسحاق عن زيد بن أبي حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فاقب أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فان تسلم تسلم وإن أبيت فان إثم المجوس عليك . قال فلما قرأه شقه وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبيد ؟ قال ثم كتب كسرى إلى باذان وهو نائبه على اليمن أن ابعث الى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتيا به ، فبعث باذان قهرمانه . وكان كاتباً حاسباً . بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخرة ، وكتب معهما الى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى وقال : لأبأذويه إيت بلاد هذا الرجل وكله وائتني بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف فسأله عنه فقال هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش بهما - وفرحوا . وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل ، فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه أبأذويه فقال : شاهلشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثنى اليك لتنتلق معي ، فان

(١) في ابن جرير اختلاف في الأسماء فانه سمى باذان وابدؤويه بابويه وخرخرة خرخرسة الى غير ذلك فراجع في السنة السادسة .

فعلت كتب لك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر اليهما وقال « ويلسكما من أمركما بهذا ؟ » قالا أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله ﷺ « ولكن ربي أمرني بأعفاء لحيتي وقص شاربي » ثم قال « ارجعا حتى تأتيا غداً » قال وأنى رسول الله ﷺ الخبر من السماء إن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال فدعاها فخبيرها فقالا هل تدري ما تقول ؟ إنا قد نعمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك بأذا ؟ قال « نعم » اخبراه ذاك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى ويفتني الى الخلف والخافر ، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما نحت يديك وملككتك على قومك من الأبناء ، ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فخبيراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول وليكون ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأياً . فلم يلشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد ؟ فاني قد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرم في ثغورهم ، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ الى الطاعة ممن قبلك ، وانطلق الى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال وقد قال باذويه لبازام : ما كنت أحداً أهيب عندي منه . فقال له باذام هل معه شرط ؟ قال لا . قال الواقدي رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها :

قلت : وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليل محرماً فتولى لم يتمتع بكفن

وقال بعض شعراء العرب :

وكسرى إذ تقاصمه بنوه بأسيف كما اقتسم اللحم

تمنضت المنون له بيوم أتى ولكل حامله تمام

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبي بكرة أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « إن ربي قد قتل الليلة ربك » قال وقيل له - يعني النبي ﷺ - إنه قد استخلف ابنته فقال « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » . قال

البيهقي : وروى في حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بارضك يدعوني الى دينه ، لتكفينه أو لأفعلن بك ، فبعث اليه فقال لرسله « أخبروه أن ربى قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال . قال وروى داود بن أبي هند عن عامر الشعبي نحوه هذا . ثم روى البيهقي من طريق أبي بكر بن عياش عن داود بن أبي هند عن أبيه عن أبي هريرة قال : أقبل سعد الى رسول الله ﷺ فقال : « إن في وجه سعد خيراً » فقال يا رسول الله هلك كسرى ، فقال « لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين يعنى الاميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من ممع جاء الى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البيهقي رحمه الله . ثم روى البيهقي من غير وجه عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قبض له - عارض يعرض عليه الحق فلم يفتجأ كسرى الا برجل يمشى وفي يده عصا فقال : يا كسرى هل لك في الاسلام قبل أن أكر هذه العصا ؟ فقال كسرى نعم لا تكسرهما ، فولى الرجل فلما ذهب أرسل كسرى الى حجابته فقال من أذن لهذا الرجل على ؟ فقالوا ما دخل عليك أحد ، فقال كذبتم ، قال فغضب عليهم وتهددهم ثم تركهم . قال فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا قال يا كسرى هل لك في الاسلام قبل أن أكر هذه العصا ؟ قال نعم لا تكسرهما ، فلما انصرف عنه دعا حجابته قال لم كلمة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له هل لك يا كسرى في الاسلام قبل أن أكر العصا فقال لا تكسرهما لا تكسرهما فكسرهما ، فأهلك الله كسرى عند ذلك . وقال الامام الشافعي : انبا ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » أخرجه مسلم من حديث ابن عيينة وأخرجه من حديث الزهري به . قال الشافعي ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزقه فقال رسول الله ﷺ « يمزق ملكه » وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضع في مسك ، فقال رسول الله ﷺ « ثبت ملكه » قال الشافعي وغيره من العلماء ولما كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام الى رسول الله ﷺ فقال « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » قال فباد ملك

الا كاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية ، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عظموا كتابه والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يعود أبداً الى أرض الشام . وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن ملك الفرس ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند ولهم أعلام أجناس غير ذلك وقد ذكرناها في غير هذا الموضع والله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ « لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى في القصر الابيض » وروى اسباط عن سماك عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

﴿ بعثه عليه السلام الى المقوقس ﴾

(صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي)

قال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : حدثني الزهري عن عبد الله بن عبد القاري أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية فمضى بكتاب رسول الله ﷺ اليه ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله ومرحه الى النبي ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجهما وجارين أحدهما أم ابراهيم وأما الاخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبدى . رواه البيهقي ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال : بعثني رسول الله ﷺ الى المقوقس ملك الاسكندرية ، قال فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فانزلني في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث الى وقد جمع بطارقه وقال : إني سألك عن كلام فأحب أن تفهم عني قال قلت هلم قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت بل هو رسول الله ، قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده الى غيرها ؟ قال فقلت عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال بلى قلت فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله الى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك الى محمد وارسل معك ببذرة يبذر قوتك الى مأمئك ، قال فاهدى الى رسول الله ﷺ ثلاث جوار منهن أم ابراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الانصاري ، وأرسل اليه بطرف من طرفهم . وذكر ابن اسحاق أنه أهدى الى رسول الله ﷺ أربع جوار احداهن مارية أم ابراهيم والاخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قلت : وكان في جملة الهدية غلام أسود خصى اسمه مابور وخفين ساذجين أسودين وبغلة ييضاه
 اسمها الدليل ، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره بأدى الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من
 عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه
 خصى حتى قال بعضهم إنه الذي أمر رسول الله ﷺ على بن أبي طالب بقتله فوجده خصياً فتركه
 والحديث في صحيح مسلم من طريق ... (١)

قال ابن اسحاق : وبث سليط بن عمرو بن عبدود أخا بني عامر بن لؤى إلى هوزة بن علي
 صاحب البجامة وبث العلاء بن الحضرمي إلى جيفر بن الجندى وعمار بن الجندى الأزديين
 صاحبي عمان (٢)

﴿ غزوة ذات السلاسل ﴾

ذكرها الحافظ البيهقي هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير
 قالا : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلّ وعبد الله
 ومن يليهم من قضاة . قال عروة بن الزبير وبنو بلّ أخوال العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك
 خاف من كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين
 فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأمر عليهم رسول الله
 ﷺ أبا عبيدة بن الجراح . قال موسى بن عقبة فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى
 رسول الله ﷺ أستمده بكم ، فقال المهاجرون بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال
 عمرو إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجل حسن الخلق لين الشمة - قال :
 تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » وإنك
 إن عصيتني لأطعنك . فسلم أبو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص . وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد
 ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر
 العرب إلى الاسلام (٣) وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بلّ فبعثه رسول الله ﷺ إليهم
 يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة ذات
 السلاسل - قال فلما كان عليه وخاف بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح

- (١) بياض في الاصل الحلبي والمصرية وفي التيمورية : اقتصر على قوله في صحيح مسلم .
 (٢) ليست هذه الجملة في التيمورية وفي ابن هشام أنه بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن
 ساوى المبدى ملك البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجندى وسليط إلى ثمامة بن
 أنال وهوزة بن علي . (٣) في ابن هشام : إلى الشام وأحسبه خطأ .

في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه « لا تختلفا » فخرج أبو عبيدة حتى إذا قسم عليه قل له عمرو : إنما جئت مدداً لي ، فقال له أبو عبيدة لا ولكنني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً ، حيناً عليه أمر الدنيا . فقال له عمرو أنت مددني فقال له أبو عبيدة يا عمرو إن رسول الله ﷺ قد قال لي « لا تختلفا » وإنك إن عصيتني أظمتك ، فقال له عمرو فاني أمير عليك وإنما أنت مددلي ، قال فدوونك فصلى عمرو بن العاص بالناس . وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان أن أبا عبيدة لما آبى إلى عمرو ابن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئوا بلاد بلي ودوخها ، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعشرة وبلغين ولاقى في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة ، وتراموا بالنبل ساعة ، ورمى يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعاً ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا ودوخ عمرو ما هناك أوقام أليماً لا يسمع لهم يجمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبيت أصحاب الخيل فيأتون بالشاة ولحمة فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن خناتم تقسم . وقال أبو داود ثنا ابن المنني ثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص . قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشتقت إن اغتسلت أن أهلك ، قال فتييمت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً . حدثنا محمد بن سلمة ثنا ابن لهيعة وعمر بن الحارث عن يزيد ابن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص - وكان على سرية - فذكر الحديث بنحوه قل فغسل بماء فتوضأ وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمم . قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية وقال فيه تيمم . وقال الواقدي : حدثني أنطخ بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رقيش عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قتلوا احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه ما نرون والله احتلمت فان اغتسلت مت ، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم ، فكان أول من بعث عوف بن مالك بريداً ، قال عوف فقدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته فسلمت عليه فقال رسول الله ﷺ « عوف بن مالك ؟ » فقلت عوف بن مالك يا رسول الله ، قال « صاحب الجزور ؟ » قلت نعم ولم يزد علي هذا بعد ذلك شيئاً ثم قال « أخبرني »

فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان من أبي عبيدة وعمر ومطاعة أبي عبيدة ، قال رسول الله ﷺ
« برحم الله أبا عبيدة بن الجراح » قال ثم أخبرته أن عمرواً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد
على أن غسل فرجه وتوضأ ، فسكت رسول الله ﷺ فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن
صلاته فأخبره فقال : والذى بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمت لم أجدر برباً قط مثله . وقد قال تعالى
(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) قال فضحك رسول الله ﷺ ولم يبلغنا أنه قال شيئاً .
وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الأشجعي قال كنت في الغزوة
التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص وهي غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر
فررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدر على أن يبعضوها وكنت امرأً جازواً ، قلت
لهم تعطوني منها عشراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا نعم فأخذت الشفرة فجزأتها مكافئاً وأخذت منها
جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنى لك هذا اللهم يا عوف ؟ فأخبرتهما
فقالا لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيان ما في بطونهما منه ، فلما أن قتل الناس من
ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ فجلسته وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يا رسول
الله ورحمة الله وبركاته ، فقال « أعوف بن مالك ؟ » فقلت نعم بأبي أنت وأمي فقال « صاحب
الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً . هكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن
عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل . قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي
أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن زهدم أنه أظنه عن عوف بن مالك
فذكر نحوه إلا أنه قال : فرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال قد تعجلت أجرك ولم يأكله .
ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ولم يذكر فيه أبا بكر وتمايمه كنحو ما تقدم . وقال الحافظ البيهقي أنبا
أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا يحيى
ابن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان التهدي سمعت عمرو بن العاص يقول
بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثنى
على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، قال فأتيته حتى وقعت بين يديه فقلت يا رسول الله من أحب
الناس إليك قال « عائشة » قلت إني لست أسألك عن أهلِكَ قال « فأبوها » قلت ثم من ؟ قال « عمر »
قلت ثم من ؟ حتى عدد رهماً قال قلت في نفسي لا أعود أسأل عن هذا ، وهذا الحديث مخرج في
الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبي عثمان التهدي وأسمه عبد الرحمن بن مل حدثني
عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت أي الناس
أحب إليك ؟ قال « عائشة » قلت فمن الرجال ؟ قال « أبوها » قلت ثم من ؟ قال « ثم عمر بن الخطاب »

فعدد رجالا . وهذا لفظ البخارى وفى رواية قال عمرو : فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم .

﴿ سرية أبى عبيدة الى سيف البحر ﴾

قال الامام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ بعثا قبل الساحل وأمر عليهم أباعبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة قال جابر وأنا فيهم ، فخرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فى الزاد قاتوا أباعبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله فكان مزودى تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فنى ولم يكن يصيبنا الا تمر تمر ، قال قتلنا وما تغنى تمر ؟ فقال لقد وجدنا قدها حين فنى . قال ثم اتينا الى البحر فاذا حوت مثل الطرب ، قال فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلعه فنصبا ثم أمر براحلته فرحلت ثم مرتحمتها فلم يصبها . أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك بنحوه وهو فى الصحيحين أيضا من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى ثلثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عبرا لقريش ، فاصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط قال ونحمر رجل ثلاث جزائر ثم نحمر ثلاث جزائر ثم ثلاثا قتها أبو عبيدة ، قال وألقى البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر واذ هنا حتى ثابت الينا أجسامنا وصلحت ثم ذكر قصة الضلع . فقوله فى الحديث نرصد عبرا لقريش دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية والله أعلم والرجل الذى نحمر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو بكر بن اسحاق ثنا اسمعيل بن قتيبة ثنا يحيى بن يحيى ثنا أبو خيثمة وهو زهير بن معاوية عن أبى الزبير عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبو عبيدة تتلقى عبرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم نجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمر تمر . قال قتلنا كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال فانطلقنا الى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم ، فأتيناه فاذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفى سبيل الله وقد اضطررتم فاكلوا ، قال فأقنا عليه شهرا ونحن ثلثمائة حتى معنا ولقد كنا نفر من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه القدر كالنور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقدم فى عينه ، وأخذ ضلعا من أضلعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير منها فمرتحتها وتزودنا من لحما وشايق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمه تطعمونا ؟ » قال فأرسلنا الى رسول الله ﷺ فأكل منه . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس وأبو داود عن الثعلبي ثلاثهم عن أبى

خيشة زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الانصاري به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله فإنه أوردناها بعد مؤنة وقبل غزوة الفتح والله أعلم . وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤنة سرية أسامة بن زيد إلى الحرقات من جبهة فقال حدثنا عمرو بن محمد ثنا هشيم أنبأنا حصين بن جندب ثنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمنهم ، ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال لا إله إلا الله ، فكف الانصاري وطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قلت كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف . ثم روى البخاري من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وخرجت فيها يبعث من البعوث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما . ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الاسلام ونفى رسول الله ﷺ له إلى المسلمين وصلاته عليه . فروى من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نفى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصصف بهم وكبر أربع تكبيرات أخرجاه من حديث مالك وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه . وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصخه » وقد تقدمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها والله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير فإن في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الأفاق كتب إلى النجاشي وليس هو بالمسلم ، وزعم آخرون كالأوقدي أنه هو والله أعلم . وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة عن أبيه عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال « قد أهديت إلى النجاشي أواق من مسك وحلة وإني لأراه قد مات ، ولأرى الهدية الاسترد على فان ردت على — أظنه قال — قسمتها بينك أو فهي لك » قال فكان كما قال رسول الله ﷺ ، مات النجاشي وردت الهدية فلما ردت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية ، من ذلك المسك ، وأعطى سائر أم سلمة ، وأعطاهما الحلة والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . غزوة الفتح الأعظم وكانت في رمضان سنة ثمان ﴾
وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل
الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) الآية .
وقال تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك
واستغفره إنه كان توابا) .

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عروة بن
الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه جميعاً قالا : كان في صلح الحديبية
أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم
[فتوالت خراعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده ، وتوالت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد
قريش وعهدهم] فسكرتوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ثم إن بنى بكر وثبوا على
خراعة ليلاً بما يقال له الوثير وهو قريب من مكة ، وقالت قريش ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما
برأنا من أحد ، فأعانوهم عليهم بالسكراع والسلاح وقتلوا معهم للضغن على رسول الله ﷺ ، وأن
عمرو بن سالم ركب عند ما كان من أمر خراعة وبنى بكر بالوثير حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبر
الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشدها إياه :

يارب إني ناشد محمداً	حلف أبيه وأيينا الأتلا
قد كنتموا ولداً وكنا والداً	نمت أسلنا فلم نزرع يدا
فانصر رسول الله نصراً أبداً	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفا وجهه تبردا
في فيلق كالبحر يجرى مزبدا	إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	فهم أذل وأقل عددا
هم يبتوننا بالوثير هجدا	وقتلونا ركماً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ « نصرت يا عمرو بن سالم » فابرح حتى مرت بنا عناة في السماء فقال

رسول الله ﷺ « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكتبهم مخرجه وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى يبعثهم في بلادهم .

قال ابن اسحاق : وكان السبب الذي هاجهم أن رجلاً من بنى الحضرمي اسمه مالك بن عباد من حلفاء الاسود بن رزن خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بنى خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بنى الاسود بن رزن الدئل وهم ، ففخر بنى كنانة وأشرافهم ؛ سلمى وكاثوم وذؤيب فقتلهم بعرفة عندا نصاب الحرم . قال ابن اسحاق : وحدثنى رجل من الدئل قال كان بنو الاسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين . قال ابن اسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الاسلام ، فلما كان يوم المدينة ودخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وكانت الهدنة اغتنتمها بنو الدئل من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدئل في قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كل بنى بكر تابعه ، فبيت خزاعة وهم على الوثير - ماء لهم - فأصابوا رجلاً منهم وتجاوزوا واقتتلوا ورفعت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حلوزوا خزاعة الى الحرم ، فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة لا إله الا اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم فلمعري إنكم لقسرون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم ؟ ولجئت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء بمكة والى دار مولى لهم يقال له رافع ، وقد قال الاخضر ابن لعل الدئل في ذلك :

ألا هل أتى قصوى الأحايش أننا	رددنا بنى كعب بأفوق ناضل
حبسناهم في دارة المبد رافع	وعند بديل محبساً غير طائل
بدار الدليل الاخذ للضيم بعدما	شفينا النفوس منهم بالناضل
حبسناهم حتى اذا طال يومهم	نفخنا لهم من كل شعب بوابل
نذبهم ذبح التيوس كأننا	أسود نباري فيهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم	وكانوا لدى الانصاب أول قاتل
كانهم بالجزع إذ يطردونهم	قفائو رحفان النعام الجوافل

قال طاجبه بديل بن عبيد مائة بن سلعة بن عمرو بن الأجب وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال :

فما قد قوم يفخرون ولم ندع	لهم سيدها يندوهم غير نافل
أمن خيفة للقوم الاولى تزدريهم	نحيز الوثير خائفنا غير آيل
وفي كل يوم نحن نحبوا حباءنا	لعقل ولا يحبى لنا في المعائل

ونحن صبحنا بالتلاعة ^(١) دارمك باسيفنا يسبقن لوم العواذل
ونحن منعنا بين بيض وعتود الى خيف رضوى من حجر القبائل
ويوم الغيم قد تكفت ساعياً عبيس فجناه بجلد حلال
إن أجرت في بيتها أم بعضكم بجمعوسها تنزون إن لم تقاقل
كذبتم وبيت الله ما إن قتلتموا ولكن تركنا أمركم في بلابل

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد وبزيد في المدة » قال ابن اسحاق : ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فآخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله ﷺ يشد العقد وبزيد في المدة وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلما لقي أبوسفيان بديلاً قال من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ فقال : سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي . قال فعمد أبوسفيان الى مبرك ناقته فأخذ من برعها ففنه فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً ، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته ، فقال يا بنية ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني ؟ فقالت هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه ، فقال يا بنية والله لقد أصابك بعدى شر ، ثم ذهب الى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر أنا أشفع لكم الى رسول الله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد لكم الا الذر لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها حسن فلام يديب بين يديهما ، فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة ، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبة فاشفع لي الى رسول الله ﷺ ؟ فقال ويحك أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت الى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بفيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ ببنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على النبي ﷺ ، فقال يا أبا الحسن إني أرى الامور قد اشتدت على فافصحني ؟ قال والله ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بارضك ، فقال أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبوسفيان في المسجد فقال : أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ، ثم ركب

بغيره فانطلق فلما أن قدم على قريش قالوا ما وراءك؟ قال جئت محمداً فكلتمته فوالله ما رد على شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم وقد أشار على بأمر صنعته فوالله ما أدري هل يغني عنا شيئاً أم لا؟ قالوا بماذا أمرك؟ قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا هل أجاز ذلك محمد؟ قال لا، قالوا ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت، فقال لا والله ما وجدت غير ذلك [(فائدة) ذكرها السهيلي فتكلم على قول فاطمة في هذا الحديث؛ وما يجبر أحد على رسول الله ﷺ على ما جاء في الحديث « ويجبر على المسلمين أديانهم » قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجبر واحداً ونفراً يسيراً، وقول فاطمة فمن يجبر عدداً من غزو الامام إياهم فليس له ذلك. قال كان سحنون وابن الماجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الامام لقوله لام هائي « قد أجزنا من أجرت يا أم هائي » قال ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد وفي قوله عليه السلام « ويجبر عليهم أديانهم » ما يقتضي دخول العبد والمرأة والله أعلم [(١) وقد روى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قالت بنو كعب:

اللهم إني ناشد محمداً حلف أئبنا وأبيه الأتلا

فانصر هذاك الله نصراً عتداً وادع عباد الله يأتوا مدداً

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة: ثم إن بني نفاثة من بني الدئل أغاروا على بني كعب وهم في المدة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ، وكانت بنو نفاثة في صلح قريش، فأعانت بنو بكر بني نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق واعتزلتهم بنو مدلج ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ وفي بني الدئل رجلان هما سيدهم؛ سلمي ابن الاسود وكثوم بن الاسود، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل ابن عمرو، فأغار بنو الدئل على بني عمرو وعامتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال فألجؤهم وقتلهم حتى أدخلوهم إلى دار بديل بن ورقاء بمكة، فخرج ركب من بني كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ فذكروا له الذي أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك، فقال لهم رسول الله ﷺ « ارجعوا فتفرقوا في البلدان » وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله ﷺ وتخوف الذي كان، فقال: يا محمد اشدد العقد وزدنا في المدة، فقال رسول الله ﷺ « ولذلك قدمت، هل كان من حدث قبلكم؟ » فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبذل، فخرج من عند رسول الله ﷺ وأتى أبا بكر فقال: جدد العقد وزدنا في المدة؟ فقال أبو بكر: جوارى في جوار رسول

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبية.

الله ﷺ ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم ، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله . وما كان منه مثبتاً فقطعه الله ، وما كان منه مطلقاً فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان جزيت من ذى رحم شراً ، ثم دخل على عثمان فكلّمه فقال عثمان : جوارى فى جوار رسول الله ﷺ ثم اتبع أشراف قریش يكلمهم فكلّمهم يقول عقدنا فى عقد رسول الله ﷺ ، فلما يئس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلّمها فقالت إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال لها فأمرى أحد ابنيك ، فقالت إنهما صبيان ليس مثلهما بمجير ، قال فكلّمى علياً ، فقالت أنت فكلّمه ، فكلّم علياً فقال له يا أبا سفيان إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوار ، وأنت سيد قریش وأكبرها وأمنعها فأجر بين عشيرتك ، قال صدقت وأنا كذلك ، فخرج فصاح ألا إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفّرني أحد ، ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يا محمد إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفّرني أحد ولا يرد جوارى ؟ فقال « أنت تقول يا أبا حنظلة » فخرج أبو سفيان على ذلك فرعوا - والله أعلم - أن رسول الله ﷺ قال حين أدبر أبو سفيان « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا نجاة » وقدم أبو سفيان مكة فقالت له قریش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال لا والله لقد أبى على وقد تتبع أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن على بن أبي طالب قد قال لى الناس جوار الناس عليك ولا نجبر أنت عليه وعلى قومك وأنت سيد قریش وأكبرها وأحقها أن لا تخفّر جواره فقامت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أنى قد أجرت بين الناس وقلت ما أظن أن تخفّرني ؟ فقال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ، فقالوا - محبين له - رضيت بغير رضي ، وجئنا بما لا يغنى عنا ولا عنك شيئاً وإنما لعب بك على لعمر الله ما جوارك بجائز وإن إخبارك عليهم لهين ، ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم فما جئت بخير ، قال ورأى رسول الله ﷺ أصحابا فقال « إن هذه السحاب لتبض بنصر بني كعب » فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ فى الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه ونخفى ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى ، فقال لها يا بنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت فقال أريد رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت فقال يريد بنى الاصر - وهم الروم - ؟ فصمتت قال فلملّه يريد أهل نجد ؟ فصمتت قال فلملّه يريد قریشا ؟ فصمتت قال فدخل رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله أتريد أن نخرج مخرجاً ؟ قال نعم قال فلملّاك تريد بنى الاصر ؟ قال لا : قال أتريد أهل نجد ؟ قال لا ، قال فلملّاك تريد قریشاً ؟ قال نعم ، قال أبو

بكر يارسول الله ليس بينك وبينهم مدة ؟ قال « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب » قال وأذن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب وذكروا القصة كما سيأتي . وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة فقال ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت نعم فتجهز ، قال والى أين ؟ قالت ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز قال ابن اسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمر بالجد والتهيؤ وقال « اللهم خذ العيون والاعبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » فتجهز الناس فقال حسان يجرى الناس ويذكر مصاب خزاعة :

عناني ولم أشهد بيطحاء مكة رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسألوا سيوفهم وقتلى كثير لم تمن ثيابها
الليت شعري هل تنال نصرتي سهيل بن عمرو حرها وعقابها
وصفوان عوداً حزم من شفر آسته فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يا ابن أم مجالد اذا احتلبت صرفاً وأعصل نابها
ولا تجزعوا منها فان سيوفنا لها وقعة بالموت يفتح بابها

﴿ قصة حاطب بن أبي بلتعة ﴾

قال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير اليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبدالمطلب وجعل لها جعلاً على أن تبغته قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالخليفة حليفة بني أبي احمد فاستنزلاها فالتسآ في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجدم منه قالت أعرض فأعرض ، فخلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعت له ، فأتى به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ » فقال : يارسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولست أكنى كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعني فلا ضرب عنقه

فان الرجل قد نافق ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله في حاطب (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الى آخر القصة . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة مرسله وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب حاطب أن رسول الله قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده . قال وفي تفسير ابن سلام أن حاطباً كتب ؛ إن محمداً قد نفر فاما اليكم وإما الى غيركم فمليكم الحذر . وقد قال البخاري ثنا قتيبة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع سمعت علياً يقول : بعني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا فمأدبنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظمينة ، فقلنا أخرجي الكتاب ، فقالت ما معي ، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى فاس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأة مملوكة (١) في قريش يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم ، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم بدا يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فانزل الله سورة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) الى قوله (فقد ضل سواء السبيل) وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام احمد ثنا حميد بن يونس قال : حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله أن حاطب بن أبي بلتعة كتب الى أهل مكة يذكر أن رسول الله ﷺ أراد غزوهم ، فدل رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب فأرسل اليها فآخذ كتابها من رأسها وقال « يا حاطب أفعلت ؟ » قال نعم ، قال أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مظهر رسوله وتم له أمره غير أني كنت غريباً بين ظهرائهم وكانت والدتي معهم فأردت أن أتخذ بدا عندهم ، فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال « أقتل رجلاً من أهل بدر وما يدريك

(١) كذا في الاصل . وقال السهيلي : كنت عربياً وفسر العربي بالغريب .

لعل الله قد اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الامام احمد وإسناده على شرط مسلم والله الحمد .

فصل

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر الفا . وكذا قال الزهري وموسى بن عقبة ، فسمعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والانصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخاري عن محمود عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وقد روى البيهقي من حديث عاصم بن علي عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان . قال وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكديد - الماء الذي بين قديد وعسفان - أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن الليث غير أنه لم يذكر القديد بين شعبان ورمضان . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا جابر عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله ﷺ في رمضان ، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بأفاه فشرب نهراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس عن ابن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم ابن الحصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه حتى أتى الكديد بين عسفان وأمج فأفطر ، ودخل مكة مفطراً فكان الناس يرون آخر الأمرين من رسول الله ﷺ الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله . قال البيهقي : ففوله خرج لعشر من رمضان مدرج في الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن ادريس عن ابن اسحاق ، ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان عن جابر عن يحيى عن صدقة عن ابن اسحاق أنه قال : خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ثم روى

البيهقي من حديث أبي اسحاق الفزاري عن محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان الفتح ثلاث عشر خلت من شهر رمضان قال البيهقي : وهذا الادراج وهم إنما هو من كلام الزهري ، ثم روى من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري قال قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح - فتح - مكة فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانين سنة ونصف سنة من مقدمه المدينة . وافتتح مكة ثلاث عشرة بقين من رمضان . وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر . فقال الزهري وإنما يؤخذ بالأحدث فلا أحدث . قال الزهري فصبح رسول الله ﷺ مكة ثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، ثم عزاه في الصحيحين من طريق عبد الرزاق والله أعلم . وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن عطية بن قيس عن أبي سعيد الخدري قال : آذنتنا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر فأصبح الناس مرحى منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي تلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين . وقد رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة عن سعيد بن عبد العزيز حدثني عطية بن قيس عن حدثه عن أبي سعيد الخدري قال : آذنتنا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر حتى إذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهري من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان يقتضى أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة . ولكن روى البيهقي عن أبي الحسين بن الفضل عن عبد الله بن جعفر عن يعقوب ابن سفيان عن الحسن بن الربيع عن ابن إدريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري ومحمد بن علي ابن الحسين وعاصم بن عمر بن قتادة وعمر بن شعيب وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان . قال أبو داود الطيالسي : ثنا وهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركباً وذلك في شهر رمضان ، فقبل يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض حتى أخبر النبي ﷺ أن بعضهم صائم فقال رسول الله ﷺ

« أولئك العصاة » وقد رواه مسلم من حديث الثقي والدرارودي عن جعفر بن محمد . وروى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحاق حدثني بشير بن يسار عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى اذا كان بالكديد دعا بماء في قعب وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون يعلمون أنه قد أفطر ، فافطر المسلمون ، تفرد به أحمد .

فصل

﴿ في اسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهم الى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب الى فتح مكة ﴾ .

قال ابن اسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق ، قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ورسول الله ﷺ عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهري . قال ابن اسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقيا رسول الله ﷺ ايضاً بقيق العُقاب فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله إن ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال « لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي : وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال » (١) قال فلما خرج اليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بني له فقال : والله ليأذن لي أو لا آخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الارض ثم نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك النبي ﷺ رقى لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذر اليه مما كان مضى منه :

لعمرك أني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكا لمدج الخير ان أظلم ليله	فهذا أواني حين أهدي وأهتدي
هدا بي هاد غير نفسي ونالني	مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأناى جاهداً عن محمد	وأدعي وإن لم أنتسب من محمد
هموا ما هموا من لم يقل بهوام	وإن كن ذا رأى يلم ويفند
أريد لأرضهم ولست بلائط	مع القوم ما لم أهد في كل مقعد
قل لتقيف لا أريد قتالها	وقل لتقيف تلك عيري أوعدي

(١) قال السهيلي : يعني حين قال له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً الى السماء فتخرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك .

فما كنت في الجيش الذي نال عامر وما كان عن جري لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نرائع جاءت من سهام وسردد
قال ابن اسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ ونالني مع الله من طردت كل مطرد ،
ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال « أنت طردتني كل مطرد » .

فصل

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى مر الظهران نزل فيه فقام كما روى البخاري عن يحيى بن بكير
عن الليث ومسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب كلاهما عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر
قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران نجتنى السكبات ، وإن رسول الله ﷺ قال « عليكم
بالأسود منه فانه أطيب » قالوا يا رسول الله أ كنت ترعى الغنم ؟ قال « نعم وهل من نبي الا وقد
رعاها » وقال البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن سنان بن
اصمعييل عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير
إلى مكة ، فلما انتهى إلى مر الظهران نزل بالعقبة فأسل الجناة يجتنون السكبات ، فقلت لسعيد
وما هو ؟ قال ثمر الأراك قال فانطلق ابن مسعود فيمن يجتنى ، قال فجعل أحدم اذا أصاب حبة طيبة
قدفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقى ابن مسعود وهو يرقى في الشجرة فيضحكون فقال رسول
الله ﷺ « تعجبون من دقة ساقيه فوالذي نفسي بيده لهما أقل في الميزان من أحد » وكان ابن
مسعود ما اجتنى من شيء جاء به وخياره إلى رسول الله ﷺ فقال في ذلك :

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

وفي الصحيحين عن أنس قال : أنفجنا أرنبا ونحن بمر الظهران فسمى القوم فلغبوا فادركنها
فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها ونفخها فقبله . وقال ابن
اسحاق : ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قریش فلا يأتيهم خبر عن رسول
الله ﷺ ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم
ابن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به . وذكره
ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة أن رسول الله ﷺ بعث بين يديه عيوفا خيلا يقتصون العيون
وخزاعة لا تدع أحدا يمضي وراءها ، فلما جاء أبو سفيان واصحابه أخذتهم خيل المسلمين وقام إليه عمر
بجأ في عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب وكان صاحباً لأبي سفيان . قال ابن اسحاق : وقال
العباس حين نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قلت واصباح قریش والله لئن دخل رسول الله ﷺ

مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه هلاك قریش الى آخر الدهر ، قال فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلی أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ يخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة ، قال فوالله إني لأسير عليها وألتبس ماخرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً . قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حشنتها الحرب ، قال يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي فقال أبو الفضل ؟ قال قلت نعم ، قال مالك فدى لك أبي وأمي ؟ قال قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس فقال واصباح قریش والله ، فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك ، قال فركب خلفي ورجع أصحابه ^(١) وقال عروة : بل ذهبوا الى النبي ﷺ فأسلموا وجعل يستخبرها عن أهل مكة . وقال الزهري وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ . [قال ابن اسحاق : قال لجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا ؟ وقام الى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله [الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ؟ وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ في رقبة أبي سفيان وأراد قتله ففقه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن عيون رسول الله ﷺ أخذتهم بأزمة جهلهم فقالوا من أنتم ؟ قالوا وفد رسول الله ﷺ فلقبهم العباس فدخل بهم على رسول الله ﷺ فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم الى شهادة أن لا إله الا الله فشهدوا وأن محمداً رسول الله ﷺ فشهد حكيم وبديل وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح ثم سألوه أن يؤمن قریشاً فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلام مكة - ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن - وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابه فهو آمن » قال العباس : [^(٢) ثم خرج عمر يشتم نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقت بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطي ، قال فاقترحت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلا أضرب عنقه ؟ قال قلت يا رسول الله إني قد أجرته ، ثم جلست الى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دوني رجل ، فلما أكنز عمر في شأنه قال قلت : مهلاً يا عمر فوالله أن لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت

(١) أصحابه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام . (٢) ما بين الربيعين عن المصرية فقط .

أنه من رجال بني عبدمناف ، فقال مهلا يا عباس فوالله لا سلامك يوم أسلمت كان أحب الى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي الا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب الى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب [لو أسلم] ، فقال رسول الله « اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأنتي به » قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به الى رسول الله ﷺ ، فلما [رآه قال] « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟ » فقال بأبي أنت وأمي ما أحلك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد ، قال « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ » قال بأبي أنت وأمي ما أحلك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فان في النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ؟ قال فشهد شهادة الحق فأسلم ، قال العباس فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا ؟ قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » [زاد عروة ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري ^(١) » ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ « يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها » [وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان وبديلا وحكيم بن حزام كانوا وقوا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الحزمة ، فشكى أبو سفيان الى رسول الله ﷺ فعزله عن راية الانصار وأعطاه الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكة وغرزها بالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة فلقية بنو بكر وهذيل فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهمزوا فقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد ^(٢)] قال العباس : فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن احبسه ، قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول سليم فيقول مالي ولسليم ، ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة ، حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألتني عنها فاذا أخبرته قال مالي ولبنى فلان حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد . فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والانصار ، قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما ! قال قلت يا أبا سفيان إنها النبوة ، قال فتعجب إذن ، قال قلت النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ باعلاصوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل

لكم به ، فن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت اليه هند بنت عتبة فاخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم ، فقال أبو سفيان : ويلكم لا تفرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك ؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . ففرق الناس الى دورهم والى المسجد [وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لما مر بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه على ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقوني إذ كذبتموني ونصروني إذ أخرجتموني » ثم شكى اليه قول سعد بن عبادة حين مر عليه فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحة ، اليوم تستحل الحرم . فقال رسول الله : « كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة » وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف وقال للعباس ما بالهم ؟ قال إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة ، فلما حضرت الصلاة ورأهم يركعون يركعونه ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ما يأمرهم بشيء الا فعلوه ؟ قال نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه . وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما تواضأ رسول الله ﷺ جعلوا يتكفون ، فقال يا عباس ما رأيت كالأليلة ولا ملك كسرى وقيصر ^(١) . وقد روى الحافظ البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس فذكر هذه القصة بتامها كما أوردها زياد البكائي عن ابن اسحاق منقطعة فانه اعلم . على أنه قد روى البيهقي من طريق أبي بلال الاشعري عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان الى رسول الله ﷺ قال فذكر القصة الا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان وما تسع داري ؟ فقال « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال وما تسع الكعبة ؟ فقال « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال وما يسع المسجد فقال « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان هذه واسمة . وقال البخاري حدثنا عبيد بن عمير ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يلتئمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسرون حتى أتوا مر الظهران فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان ما هذه كأنها نيران عرفة ؟ فقال بديل بن ورقاء نيران بني

عمر و ، فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك ، فأرأهم فأس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأنابهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين » فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع رسول الله ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه ؟ قال هذه غفار قال مالي ولغفار ، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال من هذه ؟ قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال « كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله الكعبة ، ويوم تسكس في الكعبة » وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحنون . قال عروة أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : هاهنا أمر رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال نعم قال وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلا مكة من كدأه ودخل رسول الله ﷺ من كدأى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حنيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري . وقال ابو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئا ؟ قال « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

﴿ صفة دخوله عليه السلام مكة ﴾

ثبت في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعاه جاءه رجل فقال : إن ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال « اقتلوه » قال مالك ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى والله أعلم محرما . وقال أحمد ثنا عفان ثنا حماد انبا أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء . ورواه أهل السنن الاربعة من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام . وروى مسلم من حديث أبي أسامة عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن

حريث عن أبيه قال : كآنى أنظر الى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه . وروى مسلم في صحيحه والترمذى والنسائى من حديث عمار الدهنى عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وروى أهل السنن الاربعة من حديث يحيى بن آدم عن شريك القاضى عن عمار الدهنى عن أبى الزبير عن جابر قال : كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة ابيض . وقال ابن اسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عائشة : كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح ابيض ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من مرط مرجل . وقال البخارى ثنا ابو الوليد ثنا شعبة عن عبد الله بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقه وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال لولا أن يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجعت . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة بردحبة حمراء ، وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عننونه ليكاد يمس واسطة الرحل . وقال الحافظ البيهقى أنبا أبو عبد الله الحافظ أنبا دعلج بن احمد ثنا احمد بن على الابار ثنا عبد الله بن أبى بكر المقدسى ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا . وقال أنبا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر بن بالويه ثنا أحمد بن صاعد ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا جعفر بن عون ثنا اسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن ابن مسعود أن رجلا كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة ، فقال « هون عليك فانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » قال وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى ابن زهير عن اسماعيل بن أبى الحارث موصولا . ثم رواه عن أبى زكريا المزكى عن أبى عبد الله محمد ابن يعقوب عن محمد بن عبد الوهاب عن جعفر بن عون عن اسماعيل بن قيس مرسلا وهو المحفوظ وهذا التواضع فى هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكة فى مثل هذا الجيش الكئيف العرمم بخلاف ما اعتمده سفهاء بنى اسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجدوا - أى ركع - يقولون حطة فدخلوا يزحفون على استأهمهم وهم يقولون حنطة فى شعرة . وقال البخارى ثنا القاسم بن خارجة ثنا حفص بن ميسرة عن هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كداء التى باعلا مكة ، تابعه أبو أسامة ووهب فى كداء . حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلا مكة من كداء وهو أصح إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم انتظم الكلام والا فكداء بالمدهى المذكورة فى الروايتين وهى فى أعلا مكة وكُدَى مقصور فى أسفل مكة وهذا هو المشهور والأنسب وقد تقدم أنه عليه السلام

بعث خالد بن الوليد من أعلام مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كُدَى وهو في صحيح البخاري والله أعلم . وقد قال البيهقي أنبا أبو الحسين بن عبدان أنبا أحمد بن عبيد الصفار ثنا عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا معن ثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن نافع عن ابن عمر قال : لما دخل رسول الله ﷺ هام الفتح وأتى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشده أبو بكر رضى الله عنه :

عدمت بفتى إن لم تروها تنير النقع من كفى كداء
ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالحر النساء

فقال رسول الله ﷺ « ادخلوها من حيث قال حسان » . وقال محمد بن اسحاق : حدثني يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بنى طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده أى بنية اظهرى بى على أبى قبيس ، قالت وقد كف بصره ، قالت فأشرفت به عليه فقال أى بنية ماذا ترين ؟ قالت أرى سواداً مجتمعا قال تلك الخيل ، قالت وأرى رجلا يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلا ومدبراً ، قال أى بنية ذلك الوارع - يعنى الذى يأمر الخيل وينتقم إليها - ثم قالت قد والله انتشر السواد ، فقال قد والله إذن دفعت الخيل فاسرعى بى الى بيتى فأنحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل الى بيته ، قالت وفى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقطعها من عنقها قالت فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بابيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال « هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ » قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه . فجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال اسلم فاسلم ، قالت ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة بياضاً فقال رسول الله ﷺ « غيروا هذا من شعره » ثم قام أبو بكر فاخذ بيد اخته وقال : أنشد الله والاسلام طوق أختى ؟ فلم يجبه أحد قال فقال أى أخية احتسبى طوقك فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم القليل . يعنى به الصديق ذلك اليوم على التعمين لان الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحد يلوى على أحد مع انتشار الناس ولعل الذى أخذه تأول أنه من حربى والله اعلم . وقال الحافظ البيهقي أنبا عبد الله الحافظ أنبا أبو العباس الاصم أنبا بحر بن نصر أنبا ابن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قحافة فأتى به النبي ﷺ ، فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال « غيره ولا تقربوه سواداً » قال ابن وهب وأخبرني عمر بن محمد عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلام أبيه قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبه اليسرى ، وأمر

سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كدى ، قال ابن اسحاق [من المهاجرين] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخل قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل . قال ابن هشام يقال إنه عمر بن الخطاب ، فقال يارسول الله أسمع ما يقول سعد بن عباد ؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله ﷺ لعلّ « أدركه نخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » . قلت : وذكر غير محمد بن اسحاق أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عباد حين مر به ، وقال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة - يعنى الكعبة - فقال النبي ﷺ « بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة » وأمر بالراية - راية الانصار - أن تؤخذ من سعد بن عباد كالتأديب له ، ويقال إنها دفعت الى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة عن الزهري دفعها الى الزبير بن العوام فالله اعلم .

[وذكر الخافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن اسحاق بن دينار ثنا عبد الله بن السري الانطاكي ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد . وحدثني موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة الى سعد بن عباد فجعل يهزها ويقول : اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة . قال فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم ، قال فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيره وأنشأت تقول :

يا نبي الهدى اليك الجاحس قريش ولات حين لجا
حين ضاقت عليهم سعة الأَرْض وعاداهم آله السماء
[والتقت حلفتنا البطان على القوم ونودوا بالصيلم الصلحاء ^(١)]
إن سعداً يريد قاصمة الظهر ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والعواء
[فانهينه فانه الاسد الاعداء ود والليث والنخ في الدماء]
فلئن أقحم اللواء وفادى ياحامة اللواء أهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش بقعة القاع في أكف الاماء
[إنه مصلت يريد لها الرأى صوت كالحية الصماء]

قال فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عباد ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد ، قال فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا
(١) هذا البيت لم يرد في الاصل وإنما أورده السهيلي في الروض الانف ونسب الشعر الى ضرار بن الخطاب . ولم يورد البيهقي المشار اليهما بعد هذا بمربعين . مع تحوير بعض الفاظ منها .

يخيبها إذ رغبت اليه واستغاثت به ، وأحب أن لا يفضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قال ابن اسحاق ^(١) وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبه اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلام مكة فضربت له هنالك قبته . وروى البخارى من حديث الزهرى عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال « لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر » . ثم قال البخارى ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا أبو الزبير عن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله ، الخيف حيث تقاموا على الكفر » وقال الامام أحمد ثنا يونس ثنا ابراهيم - يعنى ابن سعد - عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاموا على الكفر » ورواه البخارى من حديث ابراهيم بن سعد بن نحوه . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخدمة ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، فقالت والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شئ ، قال والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فما لى على هذا سلاح كامل وآله

وذو غرار بن سريع السله

قال ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد فاوشوم شيئاً من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحنيش ^(٢) بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بنى منقذ وكاتا في جيش خالد ، فشذا عنه فسلكا غير طريقه فقتلا جميعاً ، وكان قتل كرز قبل حنيش ^(٣) قالوا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهنى وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامراته اغلقى على بابى ، قالت فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

(١) ما بين المربعين المروى عن ابن عساكر لم يرد في نسخة دار الكتب المصرية .

(٢) في الاصل حنيش وفي ابن هشام والتميمورية خنيس وقال السهيلي إن الصواب حبش .

(٣) وفي ابن هشام : أن خنيس بن خالد قتل فأخذه كرز فجعله بين رجله ثم قاتل عنه حتى قتل .

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كلؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضرباً فلا يسمع إلا غمغه
لهم نهيت خلفنا وهمه لم تنطق في اللوم أدنى كلمه

قال ابن هشام : وتروى هذه الايات للرعاش الهذلي ، قال وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يابني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج يابني عبد الله ، وشعار الأوس يابني عبيد الله . وقال الطبراني ثنا علي بن سعيد الرازي ثنا أبو حسان الزياتي ثنا شعيب بن صفوان عن عطاء بن السائب عن طاووس عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والارض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وأنه لا يحمل لاحد قبلي وإنما حل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان » فقيل له هذا خالد بن الوليد يقتل ؟ فقال « قم يا فلان فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل » فأتاه الرجل فقال إن النبي ﷺ يقول أقتل من قدرت عليه ، فقتل سبعين إنساناً فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فأرسل إلى خالد فقال « ألم أنهك عن القتل ؟ » فقال جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه ، فأرسل اليه « ألم أمرك ؟ » قال أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذي كان . فسكت عنه النبي ﷺ فأرد عليه شيئاً . قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه أهدر دم نفر سامم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم ؛ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال « نعم » فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي قد صمت فيقتله » فقالوا يا رسول الله هلا أومأت إلينا ؟ فقال « إن النبي لا يقتل بالإشارة » وفي رواية « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين » قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته كما سيأتي بيانه . قال ابن اسحاق : وعبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب . قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم معي عبد الله ^(١) ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصداقاً وبعث معه رجلاً من الانصار ، وكان معه مولى له فغضب ^(١) وقال السهيلي : وقد قيل في اسمه هلال وقيل إن هلالاً كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان .

عليه غضبة فقتله ، ثم ارتد مشركا ، وكان له قيفتان فرتني وصاحبتهما فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قيفتيه قتل وهو متعلق باستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو برزة الاسلمي وسعيد بن حريث المخزومي وقتلت إحدى قيفتيه واستؤمن للآخرى . قال والحويرث ابن نقيذ بن وهب بن عبد قصي وكان ممن يؤذى رسول الله ﷺ بمكة ، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما الى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة نحس بهما الحويرث هذا الجمل الذي هما عليه فسقطنا الى الارض ، فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب ، قال ومقيس بن صبابه لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية ثم ارتد مشركا ، قتله رجل من قومه يقال له نميلة بن عبد الله قال وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل لأنها كانت تؤذى رسول الله ﷺ وهي بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلنعة وكأنها عفى عنها أو هربت ثم أهدر دمها والله أعلم . فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمنها فعاشت الى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت . وذكر السهيلي أن فرتني أسلمت أيضاً . قال ابن اسحاق : وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم . وقال البيهقي انبا أبو طاهر محمد بن محمد بن محسن الفقيه انبا أبو بكر محمد بن الحسين القطان انبا احمد بن يوسف السلمي ثنا احمد بن الفضل ثنا اسباط بن نصر الهمداني قال زعم السدي عن مصعب بن سعد عن ابيه قال : لما كان يوم مكة أمن رسول الله ﷺ الناس الا أربعة نفر وامرأتين . وقال « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة » وهم عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله ابن سعد بن أبي سرح . فاما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق باستار الكعبة فادتبى اليه سعيد ابن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله . وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف فقال أهل السفينة لاهل السفينة : اخلصوا فان آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينج في البحر الا الاخلاص فانه لا ينجي في البر غيره ، اللهم إن لك على عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا أجده عفواً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبي مروح فانه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله يايع عبد الله ، فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثاً كل ذلك يأتي ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رأي كفت يدي عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أو مات الينا بعينك ؟ فقال « إنه لا ينبغي لنبي أن

تكون له خاتنة الأعين . ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن الفضل به نحوه . وقال البيهقي انبا أبو عبد الله الحافظ انبا أبو العباس الاصم انبا أبو زرعة الدمشقي ثنا الحسن بن بشر السكوفي ثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك قال : أمن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة إلا أربعة ؛ عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله بن سعد بن أبي مروح ، وأم سارة ، فاما عبد العزى بن خطل فانه قتل وهو متعلق باستار الكعبة ، قال ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي مروح اذا رآه وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاة فأتى به رسول الله ﷺ ليشفع له ، فلما أبصر به الانصارى اشتعل على السيف ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبي ﷺ فبايعه ، ثم قال للانصارى « قد انتظرتك أن توفى بنذرك ؟ » قال يا رسول الله هبتك أفلا أو مضت الى ؟ قال « إنه ليس للنبي أن يومض » . وأما مقيس بن صبابه فذكر قصته في قتله رجلا مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك ، قال وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش فأتت النبي ﷺ فشكت اليه الحاجة فأعطاه شيئاً ، ثم بعث معها رجل بكتاب الى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة . وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن مقيس بن صبابه قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركاً فقدم مقيس مظهراً للإسلام ليطلب دية أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع الى مكة مشركاً ، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قتل وهو بين الصفا والمروة وقد ذكر ابن اسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شفى النفس من قد بات بالقاع مسندا يضر ج ثوبيه دماء الاخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله تلم وتنسيني وطاء المضاجع
قتلت به فهرا وغرمت عقله سراة بني النجار أرباب فارع
حلت به نذرى وأدركت نورتي وكنت الى الأوثان أول راجع

قلت : وقيل إن القيفتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابه هذا وأن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلا مكة فر الى رجلان من أحمائي من بني مخزوم - قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة - قال ابن اسحاق : وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت فدخل على أخي علي بن أبي طالب فقال والله لأقتلها فغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكة فوجده يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة

ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف الى فقال « مرحباً وأهلاً بأم هانئ ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال « قد أجرنا من أجرت وأماناً من أمنت فلا يقتلها » وقال البخارى ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلي قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلى الضحى غير أم هانئ فانها ذكرت يوم فتح مكة [أن النبي ﷺ] اغتسل فى بيتها ثم صلى ثمان ركعات ، قالت ولم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود . وفى صحيح مسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن أبي هند أن أبا مرة مولى عقيل حدثه أن أم هانئ بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فر إليها رجلان من بنى مخزوم فأجارتهما ، قالت فدخل على عليّ فقال أقتلها ، فلما سمعته أمنت رسول الله ﷺ وهو بأهلا مكة فلما رأى رجب وقال « ما جاء بك ؟ » قلت يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أحمائى فأراد على قتلها ، فقال رسول الله ﷺ « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » ثم قام رسول الله ﷺ الى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوباً فالتحف به ثم صلى ثمانى ركعات سبحة الضحى . وفى رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال « من هذه ؟ » قالت أم هانئ قال « مرحباً بأم هانئ » قالت يا رسول الله زعم ابن أم على بن أبي طالب أنه قاتل رجائين قد أجرتهما ؟ فقال « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » قالت ثم صلى ثمانى ركعات وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون بل كانت هذه صلاة الفتح وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين وهو يرد على السهيل وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانيا بتسايمة واحدة ، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن فى إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين وثله الحمد .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبماً على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده ، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فتحت له فدخلها فوجد فيها حمالة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد] ^(١) وقال موسى بن عقبة ثم سجد سجدتين ثم انصرف الى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ والناس يبتدرون وضوءه والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون ما رأينا ملكاً قط ولا ممحماً به - يعنى مثل هذا - وآخر المقام الى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت . قال محمد بن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ

قام على باب الكعبة فقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت
وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه مغلظة مائة من الابل ، أر بعون
منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ،
الناس من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية
كلها ثم قال « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ » قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، قال
« اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه على بن أبي طالب ومفتاح
الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجعل لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله
ﷺ « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بروؤف » .
وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن جعدان عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الابل » وقال مرة
أخرى « مغلظة فيها أر بعون خلفه في بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم
ودعوى » وقال مرة « ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فأنهما
أمضيتهما لأهلها على ما كانت » . وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن
زيد بن جعدان عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني عن ابن عمر به . قال ابن هشام : وحدثني
بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ،
ورأى ابراهيم مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها فقال « قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام
ما شأن ابراهيم والأزلام ؟ (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان
من المشركين) ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان ابن عبد الرحمن عن
موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر قال : كان في الكعبة صور فأمر رسول الله ﷺ أن يحوها
فيل عمر ثوباً ومحاهها به . فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء . وقال البخاري حدثنا صدقة بن
الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله - هو ابن مسعود -
قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود
في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد » . وقد رواه مسلم
من حديث ابن عيينة . وروى البيهقي عن ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن علي بن عبد الله
ابن عباس عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم فأخذ

قضيته فجعل يهوى الى الصنم وهو يهوى حتى مر عليها كلها ، ثم يروى من طريق سويد بن (١) عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنماً فإشار الى كل صنم بعصا وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فكان لا يشير الى صنم الا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه ، ثم قال وهذا وإن كان ضعيفاً فالذي قبله يؤكد . وقال حنبل بن اسحاق انبا أبو الربيع عن يعقوب القمي ثنا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبيزى قال : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جاءت عجوز فمطأت حبشية تحمش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله ﷺ تلك فائلة أيسر أن تعبد ببلدكم هذا أبداً . وقال ابن هشام : حدثني من أئق به من أهل الرواية في اسناده عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [من ابن عباس] أنه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده الى الأصنام ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقناه ، ولا أشار الى قفله الا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم الا وقع ، فقال نعيم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

وفي صحيح مسلم عن سنان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى الى صنم الى جنب البيت كانوا يعبدونه وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسيتها فلما أتى على الصنم فجعل يطعن في عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فملا عليه حتى نظر الى البيت فرفع يديه وجعل يحمده الله ويدعو بما شاء أن يدعو . وقال البخاري ثنا اسحاق بن منصور ثنا عبد الصمد ثنا أبي ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أتى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزام ، فقال « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسم بها قط » ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل . تفرد به البخاري دون مسلم . وقال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سوارى ، فقام الى كل سارية ودعا ولم يصل فيه . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بن يحيى العوذى عن عطاء به . وقال الامام احمد حدثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكيراً حدثه عن كريب عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

حين دخل البيت وجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم فقال « أما هم فقد معموا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا ابراهيم مصوراً فما باله يستقسم ؟ » . وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به . وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق أنبا معمر أخبرني عثمان الخزر جى أنه سمع مقبلاً يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه ثم خرج فصلى ركعتين . تفرد به احمد . وقال الامام احمد : ثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى في البيت ركعتين . قال البخارى وقال الليث ثنا يونس أخبرني فافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أفأخ في المسجد فأمر أن يؤتى بفتح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان ابن طلحة فكث فيه نهراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له الى المكان الذى صلى فيه قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة : ورواه الامام احمد عن هشيم ثنا غير واحد وابن عون عن فافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ ومعه الفضل بن عباس وأسماء بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأمر بلالاً فأجاف عليهم الباب فكث فيه ماشاء الله ثم خرج . قال ابن عمر فكان أول من لقيت منهم بلالاً فقلت أين صلى رسول الله ﷺ ؟ قال هاهنا بين الاسطواناتين . قلت : وقد ثبت في صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى في الكعبة تلقاء وجهه بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع [وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى في البيت ركعتين ^(١)] قال ابن هشام وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس ببناء الكعبة ، فقال عتاب لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون مع هذا ، فسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصة ، ففرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « قد علمت الذى قلت » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني والدى حدثني بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أمر بلالاً فملا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيدياً إذ قبضه

قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالا فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره . وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيب به المشركين . وقال محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حرب عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه لو جمعت لمحمد جمعاً ؟ فانه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال « إذا يخزيك الله » قال فرفع رأسه فاذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة . قال البيهقي وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أن أبا حامد أحمد بن الحسن المقرئ أنبأ أحمد بن يوسف السلمى ثنا محمد بن يوسف الفريابي ثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي السفر عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشى والناس يطئون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال ؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب يده في صدره فقال « إذا يخزيك الله » فقال أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به . ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبي حامد ابن الشرق عن محمد بن يحيى الذهلي ثنا موسى بن أعين الجزري ثنا أبي عن اسحاق بن راشد عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله ، قال ثم أصبح أبو سفيان ففدا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « قلت لهند أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند . وقال البخاري ثنا اسحاق ثنا أبو عاصم عن ابن جريج أخبرني حسن بن مسلم عن مجاهد أن رسول الله ﷺ قال « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها ولا يعصد شوكتها ولا يختل خلأوها ولا تحل لقطتها إلا لفسد » فقال العباس بن عبد المطلب إلا الأذخر يا رسول الله فانه لا بد منه لدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال « إلا الأذخر فانه حلال » وعن ابن جريج أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - عن عكرمة عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ تفرد به البخاري من هذا الوجه الأول وهو مرسل ، ومن هذا الوجه الثاني أيضاً . وبهذا وأمثاله استدل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة ، ولوقعة التي كانت في الخندمة كما تقدم . وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهي ظاهرة في

ذلك وهو مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعي أنها فتحت صلحاً لأنها لم تقسم ، ولقوله ﷺ ليلة الفتح « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقال البخاري ثنا سعيد ابن شرحبيل ثنا الليث عن المقبري عن أبي شريح الخزازي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : إئذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيني حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعصدها شجرة فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لکم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لأبي شريح ماذا قال لك عمرو ؟ قال قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعبد عاصياً ولا قاراً بدم ، ولا قاراً بجزية . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد به نحوه . وذكر ابن اسحاق أن رجلاً يقال له ابن الأثوغ قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له أحر باسًا ، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوغ ^(١) وهو بمكة قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ « يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثرت القتل إن فنع لقد قتلتم رجلاً لأدينه » قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرمة الاسلمي عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش ابن أمية قال « إن خراشاً لقتال » وقال ابن اسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزازي قال : لما قدم عمرو بن الزبير ^(٢) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جثته فقلت له يا هذا إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ فبينا خطيباً فقال « يا أيها الناس إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يعصدها شجرة ، لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا نم قد رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لکم إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم

(١) كذا في الأصل ولم تنف عليه . (٢) قال السهيلي : هذا وهم من ابن هشام وصوابه عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية وهو الأشدق ويكنى أبا أمية وكان يسمى لطيم الشيطان وكان جباراً شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة فقتله بحيلة وذكر له خبراً طويلاً وهو الذي رُفِع على منبر رسول الله ﷺ حتى سال الدم .

يحملها لكم يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع لقد قتلتم قتيلاً لأدينه فمن قتل
بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين إن شأوا قدم قاتله وإن شأوا فقله « ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك
الرجل الذى قتلته خزاعة . فقال عمرو لابي شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ،
إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالغ طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنت شاهداً وكنت
غائباً وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتكَ فأنت وشأنك . قال ابن هشام :
وبلغني أن أول قنيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جنيد بن الاكوع قتله بنو كعب فوداه
رسول الله ﷺ بمائة ناقة . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال « كفوا السلاح إلا خزاعة من بنى بكر »
فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال « كفوا السلاح » فلقى رجل من خزاعة رجلاً من بنى بكر من غد
بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال - فرأيتوه وهو مسند ظهره الى الكعبة
قال - « إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية »
وذكر تمام الحديث وهذا غريب جداً . وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث فأما ما فيه من
أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بنأرها من بنى بكر الى العصر من يوم الفتح فلم أره الا في هذا الحديث
وكأنه إن صح من باب الاختصاص لم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتر والله أعلم . وروى الامام أحمد
عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن هرون ومحمد بن عبيد كلهم عن زكريا بن أبي زائدة
عن عامر الشعبي عن الحارث بن مالك بن البرصا الخزاعي سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح
مكة « لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة » ورواه الترمذى عن بندار عن يحيى بن سعيد
القطان به وقال حسن صحيح .

قلت : فان كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفياً فقال البيهقي معناه على كفر أهلها وفي صحيح
مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مطيع عن أبيه مطيع بن
الاسود المدنى قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة « لا يقتل قرشى صبراً بعد اليوم الى يوم
القيامة » والكلام عليه كالأول سواء . قال ابن هشام : وبلغني أن رسول الله ﷺ حين افتتح مكة
ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أهدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ إذ فتح
الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال « ما ذا قلتم ؟ » قالوا لا شئ يا رسول الله ، فلم
يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله ﷺ « معاذ الله الحيا محياكم والممات مماتكم » وهذا الذى
علقه ابن هشام قد أسنده الامام احمد بن حنبل في مسنده فقال ثنا بهز وهاشم قالا : حدثنا سليمان بن
المغيرة عن ثابت . وقال هاشم حدثني ثابت البناتى ثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفود إلى

معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ، قال هاشم يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال قلت ألا أصنع طعاماً فدعومهم إلى رجلي ؟ قال فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من العشاء قال قلت يا أبا هريرة الدعوى عندى الليلة قال استبقني ^(١) قال هاشم قلت نعم فدعوتهم فهم عندى . فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الانصار قال فذكر فتح مكة قال أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة قال فبعث الزبير على أحد المجنبتين وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر وأخذوا بطن الوادى ورسول الله ﷺ في كتيبته وقد وبشت قريش أو باشها ، قال قالوا تقدم هؤلاء فإن كان لهم شئ كنا معهم وإن أصيبوا أعطيناها الذى سألنا ، قال أبو هريرة فنظر فرأى فقال « يا أبا هريرة » قلت لبيك رسول الله ، فقال « اهتف لى بالانصار ولا يأتينى الا أنصارى » فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله ﷺ قال فقال رسول الله ﷺ « أترون إلى أو باش قريش واتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى « أحصدوهم حصداً حتى توافونى بالصفاء » قال فقال أبو هريرة فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجه الينا منهم شيئاً ، قال فقال أبو سفيان : يا رسول الله أبيع خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، قال فقال رسول الله ﷺ « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال فغلق الناس أبوابهم ، قال وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت قال وفى يده قوس أخذ بسية القوس ، قال فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدهونه قل فجعل يطمئن بها فى عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطن إن الباطن كان زهوقاً » قال ثم أتى الصفاء فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه ، قال والانصار نحت قال يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بمشيرته قال أبو هريرة : وجاء الوحى وكان اذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى . قال هاشم : فلما قضى الوحى رفع رأسه ثم قال « يا معشر الانصار أقتلوا أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بمشيرته ؟ » قالوا قلنا ذلك يا رسول الله ، قال « فما أسمى إذا ، كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم فالحمياكم والممات مماتكم » قال فاقبلوا اليه يبيكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن بالله ورسوله ، قال فقال رسول الله ﷺ « إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذر انكم » وقد رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة زاد النسائي وسلام بن مسكين ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثهم عن ثابت عن عبد الله بن رباح الانصارى نزىل البصرة عن أبى هريرة به نحوه . وقال ابن هشام :

(١) كذا فى الاصل ولعل الصواب « استبقتنى أو استبقنى » .

وحدثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عبيد بن الملوح - يعني الأبي - أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ « أفضالة ؟ » قال نعم فضالة يا رسول الله ، قال « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ » قال لا شيء كنت أذكر الله ، قال فضحك النبي ﷺ ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلى منه ، قال فضالة فرجعت إلى أهلي ففررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت هلم إلى الحديث ؟ فقال لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والاسلام
أوما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحي بيتاً والشرك يغشى وجهه الاظلام

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : خرج صفوان ابن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا بني الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقتل نفسه في البحر ، فأمنه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هو آمن » فقال يا رسول الله فاعطني آية يعرف بها أمانك ؟ فاعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال : يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به ، قال ويلاك أعزب عني فلا تكلمني قال أي صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملسكه ملسكك ؟ قال إني أخافه على نفسي ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ؟ قال « صدق » قال فاجعلني بالخيار فيه شهرين ؟ قال « أنت بالخيار أربعة أشهر » ثم حكى ابن اسحاق عن الزهري أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم فلما أسلم أقرها رسول الله ﷺ فتحبها بالنكاح الأول . قال ابن اسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : روى حسان بن الزبير وهو بنجران بيت واحد ما زاد عليه :

لا تعد من رجلا أحلك بغضه بنجران في عيش أخذ لثيم
فلما بلغ ذلك ابن الزبير خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال حين أسلم :
يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا ببور
إذ أبارى الشيطان في سنن النفسى ومن مال ميله مثير

آمن اللحم والمظالم لربي ثم قلبي الشهيد أنت النذير
إنني عنك زاجر ثم حياً من لؤى وكلهم مغرور
قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن الزبير أيضاً حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهم
مما أتاني أن أحمد لأمي فيه فبت كأنتي محموم
ياخير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم
إني لمعتذر اليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهبم
أيام تأمرني بأغوى خطة سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني أمر الفتوة وأمرهم مشوم
فاليوم آمن بالنبي محمد قلبي ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدي لك والدي كلاهما زللي فانك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفاً وبرهان الاله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وأنت في المماد جسم
والله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن في الذرى وأروم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يشكره له .

قلت : كان عبد الله بن الزبير السهمي من أكبر اعداء الاسلام ومن الشعراء الذين استعملوا
قوام في هجاء المسلمين ، ثم من الله عليه بالتوبة والالابة والرجوع إلى الاسلام والقيام بنصره والذب عنه .

فصل

قال ابن اسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبعمائة
ويقول بعضهم ألف ومن بني غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة] ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم
من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عروة والزهرى وموسى بن
عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله ﷺ اثنا عشر ألفاً فله اعلم . قال ابن اسحاق
وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الاصابع فالجواه (١)
 ديار من بنى الحسحاس قفر
 وكانت لا يزال بها أنيس
 فنع هذا ولكن من لطيف
 لشعنا التي (٢) قد تيمته
 كأن خبيثة من بيت رأس
 اذا ما الأشربات ذكرن يوماً
 فوليها الملامة أن ألنا (٣)
 ونشربها ففتركتنا ملوكا
 عدنا خيلنا أن لم نروها
 ينازعن الأعنة مصفيات
 تظل جيادنا متمطرات
 فاما تعرضوا عنا اعتمروا
 وإلا فاصبروا لجلاد يوم
 وجبريل رسول الله فينا
 وقال الله قد أرسلت عبدا
 شهدت به قوموا صدقوه
 وقال الله قد سرت جندا
 لنا في كل يوم من معد
 فنحكم بالقوافي من هجاء
 الا أبلغ أبا سفيان عنى
 بأن سيوفنا تركتكم عبدا
 هجوت محمداً فأجبت عنه
 أنهجوه ولست له بكف
 إلى عذراء منزلها خلاء
 تعفها الروامس والسماء
 خلال مروجها فم وشاء
 يؤرقني اذا ذهب العشاء
 فليس لقلبه منها شفاء
 يكون مزاجها عسل وماء
 فمن لطيب الراح الفداء
 اذا ما كان مفت أو لحاء (٤)
 وأسد ما ينهها اللقاء
 تثير للنعم موعدها كداء
 على أكتافها الأسل الظماء
 يلطمين بالخر النساء
 وكان الفتح وانكشف الغطاء
 يعز (٥) الله فيه من يشاء
 وروح القدس ليس له كفاء
 يقول الحق إن نفع البلاء
 قتلتم لا تقوم ولا نشاء
 هم الانصار عرضتها اللقاء
 سباب أو قتل أو هجاء
 ونضرب حين تختلط الدماء
 مغلفة فقد برح الخفاء
 وعبد الدار سادتها الاماء
 وعند الله في ذاك الجزاء
 فشركا لخيركا الفداء

(١) مواضع بالشام وعذراء قرية عند دمشق . (٢) شعنا بنت سلام بن مشكم اليهودي .
 (٣) قال السهيلي : أتينا بما نلام عليه صرقناه الى الحر . (٤) المفت الضرب باليد والحاء
 الملاحة باللسان . (٥) وفي رواية يعين الله .

هجوت مباركا برأ حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
أمن بهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاه
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء (١)

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجه لما في اثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب . قال ابن هشام : وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم الى أبي بكر رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وقال أنس بن زبم الدثلي يعتذر الى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم :

أأنت الذي تهدي معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلاً اذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال (٢) قبل ابتذاله وأعطي لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم منهيين ومنجد
تعلم أن الركب ركب عويمر هو الكاذبون الخلفوا كل موعد
ونبوا رسول الله أني هجوته فلا حملت سوطي الى إذن يدي
سوى أنني قد قلت ويل ام فتية أصيبوا بنحس لا بطلق وأسمد
أصابهموا من لم يكن لدمائهم كفاه فغزت عبرتي وتبليدي
وإنك قد أخبرت أنك ساعيا بعبد بن عبد الله وابنة مهود
ذؤيب وكثوم وسلمى تتابعوا جميعاً فان لا تدمع العين أكد
وسلمى وسلمى ليس حي كئله وأخوته وهل ملوك كأعبد
فاني لا ذنبا فتقت ولا دما هرقت تبين عالم الحق واقصد

قال ابن اسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح :

(١) وقد زاد السهيلي على هذه القصيدة أربعة أبيات . (٢) الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب ولعله مسمى بالخال من الخيلاء اه عن السهيلي .

نقى أهل الجبلق^(١) كل فج مزينة غدوة وبنو خفاف
 ضربناهم بمكة يوم فتح النبي الخير بالبيض الخفاف
 صبحناهم بسبع من سليم والف من بني عثمان واف
 نطأ أكتافهم ضرباً وطعناً ورشقاً بالريشة اللطاف
 ترى بين الصفوف لها حفيظاً كما انصاع الفواق من الرصاف
 فرحنا والجياد تجول فيهم بارماح مقومة الثقاف
 فأبنا غامرين بما اشتبهنا وآبوا فادمين على الخلاف
 وأعطينا رسول الله منا موافقنا على حسن التصافى
 وقد همموا مقاتلتنا فهموا غداة الروح منا بانصراف
 وقال ابن هشام وقال عباس بن مرداس السلي في فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم
 نصرنا الرسول وشاهدوا آياته وشعارهم يوم اللقاء مقدم
 في منزل ثبتت به أقدامهم ضحك كأن الهام فيه الختم
 جرت سنايكها بنجد قبلها حتى استقام لها الحجاز الأدم
 الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
 عود الرماية شامخ عرينه متطلع ثغر المكارم خضرم

وذكر ابن هشام في سبب اسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له
 ضمار فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
 إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قریش مهتدى
 أودى ضمار وكان يعبد مدة قبل الكتاب الى النبي محمد

قال فخر عباس ضمار ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكاملها في باب
 هواتف الجنان مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة .

﴿ بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح الى بني جذيمة من كنانة ﴾

قال ابن اسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي قال

(١) الجبلق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والجبلق الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب
 الغنم . قاله السهيلي .

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ولم يبعثه مقاتلا، ومعه قبائل من العرب وسليم بن منصور ومذليج بن مرة فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا: قال ابن اسحاق: وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح الا الأسار، وما بعد الأسار الا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحى أبداً. قال فأخذته رجال من قومه فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد. قال ابن اسحاق: فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر الى رسول الله ﷺ رفع يديه الى السماء ثم قال «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل أنكر عليه أحد؟» فقال نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمة خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما، فقال عمر بن الخطاب: أما الاول يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة. قال ابن اسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب فقال «يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظروا في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك» فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الاموال حتى أنه ليدى ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال، فقال لهم على حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا لا، قال فأتى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال «أصبت وأحسنت» ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» ثلاث مرات. قال ابن اسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقتلهم لا تمتنعهم من الاسلام. قال ابن هشام: قال أبو عمرو المديني: لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا صباناً صباناً وهذه مراسلات ومنقطعات. وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني - احسبه قال - جذيمة فدعاهم

إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صباناً صباناً ، وخالد يأخذهم أسراً وقتلاً ، قال ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ، قال ابن عمر فقلت والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابى أسيره ، قال فقدموا على النبي ﷺ فذكروا صنيع خالد فقال النبي ﷺ ورفع يديه « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين . ورواه البخارى واللسائى من حديث عبد الرزاق به نحوه . قال ابن اسحاق : وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد : يا بنى جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه . قال ابن اسحاق : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغنى - كلام فى ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام ؟ فقال إنما تأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شر ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « مهلاً يا خالد دع عنك أصحابى فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته » ثم ذكر ابن اسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد فى خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد قحس ومعه ابنه عثمان فى تجارة الى اليمن ورجوعهم معهم مال لرجل من بنى جذيمة كان هلك باليمن فحملوه الى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقبهم بارض بنى جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا الى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهبت قريش بفزرو بنى جذيمة فبعث بنو جذيمة يعتدرون اليهم بأنه لم يكن عن ملامتهم وودوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم ، يعنى فلهذا قال خالد لعبد الرحمن إنما تأرت بأبيك يعنى حين قتلته بنو جذيمة ، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ورد عليه بأنه إنما تأر بعمة الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله ، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا فى وقت المحاصرة فأنما أراد خالد بن الوليد نصرة الاسلام وأهله وإن كان قد أخطأ فى أمر واعتقد أنهم ينتقصون الاسلام بقولهم صباناً صباناً ، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ بل استمر به أميراً وإن كان قد تبرأ منه فى صنيعه ذلك وودى ما كان جناه خطأ فى دم أو مال ففيه دليل لاحد القولين بين العلماء فى أن خطأ الامام يكون فى بيت المال لا فى ماله والله اعلم . ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فان فى سيفه رهقاً فقال الصديق : لا أعمد سيفاً سله الله على المشركين

وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الزهري عن ابن أبي حدرود الأسلمي قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال قتي من بني جذيمة وهو في سنى وقد جمعت يدها الى عنقه برمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى قلت ما تشاء ؟ قال هل أنت آخذ بهذه الرمة فقاتلني الى هذه النسوة حتى أقضى اليهن حاجة ثم تردني بعد فتصنعوا ما بدا لكم ؟ قال قلت والله ليسير ما طلبت فأخذت برمته فقدته بها حتى وقفته عليهن فقال : اسلمي حبيش على نفد العيش :

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفتكم بالخوانق
ألم يك أهلاً أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا ما أثيبى بود قبل إحدى الصفائق
أثيبى بود قبل أن يشحط النوى وينأى الأمير بالحبيب المفارق
فأني لا ضيعت سر أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشرة شاغل عن الود إلا أن يكون التوامق

قالت : وأنت فحيت عشراً وتسعاً وتراً وثمانية تترى قال ثم انصرفت به فضربت عنقه . قال ابن اسحاق : لحدثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمي عن أشياخ منهم عن كان حضرها منهم قالوا فقامت اليه حين ضربت عنقه فأبكت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده . وروى الحافظ البيهقي من طريق الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له ابن عصام عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال « إذا رأيتم مسلحاً أو معتملاً مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » قال فبعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا بذلك فخرجنا قبل نهامة فأدركنا رجلاً يسوق بظلمات فقلنا له أسلم ، فقال وما الاسلام ؟ فأخبرناه به فاذا هو لا يعرفه ، قال أفرايتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال قلنا نعمتلك ، فقال فهل أنتم منظرى حتى أدرك الظمائن ؟ قال قلنا نعم ونحن مدركوك ، قال فأدرك الظمائن فقال : اسلمي حبيش قبل نفاد العيش : فقالت الاخرى اسلم عشراً وتسعاً وتراً وثمانية تترى ثم ذكر الشعر المتقدم الى قوله : وينأى الأمير بالحبيب المفارق ، ثم رجع اليها فقال شأنكم قال قدمناه فضربنا عنقه قال فأنحدرت الاخرى من هودجها فجت عليه حتى ماتت . ثم روى البيهقي من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ثنا محمد بن علي بن حرب المروزي ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم إني لست منهم إني عشقت امرأة فلحقها فدعوني أنظر اليها فظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، قال فاذا امرأة أدماء طويلة فقال لها : اسلمي حبيش قبل نفاد العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها . قال فقالت نعم فديتك ، قال فقدموه فضربوا عنقه فجاءت

المرأة فوَقعت عليه فشَهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فقال « أما كان فيكم رجل رحيم » .

﴿ بعث خالد بن الوليد لهدم العزى ﴾

قال ابن جرير : وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ . قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بيتا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر ، وكان سدنها وحجابها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم ، فلما سمع حاجبها السلمي بمسير خالد بن الوليد إليها علق سيفه عليها ثم اشتد في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

أيا عز شدى شدة لاشوى لها على خالد ألقى القناع وشمري

أيا عز إن لم تقتلى المرء خالداً فبئوى بانم عاجل أو تنصرى

قال فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ . وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال « ما رأيت ؟ » قال لم أر شيئاً فأمره بالرجوع فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول :

يا عرزي كفرانك لا سبجانك إني رأيت الله قد أهانك

ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال « تلك العزى ولا تعبد أبداً » وقال البيهقي أنبأ محمد بن أبي بكر الفقيه أنبأ محمد بن أبي جعفر أنبأ أحمد بن علي ثنا أبو كريب عن ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى ، فأثامها وكانت على ثلاث صمرات ، فقطع الصمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال « ارجع فانك لم تمنع شيئاً » فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون : يا عزي خبليه يا عزي عوريه والافوتى برغم . قال فأثامها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تخبو التراب على رأسها ووجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال « تلك العزى » .

﴿ فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة ﴾

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر ، وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يقصر ويفطر إلى ثمانى عشر يوماً في أحد القولين وفى القول الآخر كما هو مقرر فى موضعه . قال البخارى ثنا أبو نعيم ثنا سفيان ح وحدثنا قبيصة ثنا

سفيان عن يحيى بن أبي اسحاق عن أنس بن مالك قال: أقمنا مع رسول الله ﷺ عشرة أيام يقصر الصلاة وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبي اسحاق الحضرمي البصري عن أنس به نحوه . قال البخاري ثنا عبدان ثنا عبد الله أنبا عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين . ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر زاد البخاري وأبو حصين كلاهما وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عاصم بن سليمان الاحول عن عكرمة عن ابن عباس به وفي لفظ لابي داود سبعة عشر يوماً وحدثنا أحمد بن يونس ثنا أحمد بن شهاب عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة . قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة ، فاذا زدنا أقمنا . وقال أبو داود ثنا ابراهيم بن موسى ثنا ابن عليه ثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح فأقام ثمانى عشر ليلة لا يصلي الا ركعتين يقول « يا أهل البلد صلوا أربعاً فانا - سفر » وهكذا رواه الترمذي من حديث علي بن زيد بن جدعان وقال هذا حديث حسن . ثم رواه من حديث محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم قال رواه غير واحد عن ابن اسحاق لم يذكره ابن عباس . وقال ابن ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري ومحمد بن علي ابن الحسين وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة .

﴿ فصل ومما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام ﴾

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلم عن مالك بن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد الى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة ، وقال عتبة إنه ابني ، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة فاقبل به الى رسول الله ﷺ وأقبل معه عبد بن زمعة فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن اخي عهد الى أنه ابني ، قال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا اخي هذا ابن زمعة ولد على فراشه ، فنظر رسول الله ﷺ الى ابن وليدة زمعة فاذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ، فقال رسول الله ﷺ « هلاك هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراشه » وقال رسول الله ﷺ « احتجبي منه يا سودة » لما رأى من شبه عتبة ابن أبي وقاص . قال ابن شهاب قالت عائشة قال رسول الله ﷺ « الولد للفراش وللماهر الحجر » . قال ابن شهاب وكان أبو هريرة يصرح بذلك . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي

جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه وانفرد البخارى بروايته له من حديث مالك عن الزهرى . ثم قال البخارى ثنا محمد بن مقاتل أنبأ عبد الله أنا يونس عن ابن شهاب اخبرني عروة ابن الزبير أن امرأة سرق في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها الى أسامة بن زيد يستشفونه قال عروة : فلما كلفه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ وقال « أتكلمنى فى حد من حدود الله ؟ » فقال أسامة استغفرلى يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله ﷺ خطيباً فأتنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فانما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرق لقطعت يدها » ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك ونزوجت ، قالت عائشة : كانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله ﷺ . وقد رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة به وفى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى قال : أمرنا رسول الله ﷺ بالمنعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهى عنها . وفى رواية فقال « ألا إنها حرام حرام من يومكم هذا الى يوم القيامة » وفى رواية فى مسند احمد والسنن أن ذلك كان فى حجة الوداع فأنه أعلم . وفى صحيح مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبه عن يونس بن محمد عن عبد الواحد بن زياد عن أبى العميس عن أياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه أنه قال : رخص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس فى متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه . قال البيهقى : وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبت النهى عنها فى غزوة خيبر قال إنها أبيحت مرتين ، وحرمت مرتين ، وقد نص على ذلك الشافعى وغيره . وقد قيل إنها أبيحت وحرمت أكثر من مرتين فأنه أعلم . وقيل إنها إنما حرمت مرة واحدة وهى هذه المرة فى غزوة الفتح ، وقيل إنها إنما أبيحت للضرورة فعلى هذا اذا وجدت ضرورة أبيحت وهذا رواية عن الامام احمد وقيل بل لم تحرم مطلقاً وهى على الاباحة هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحريم ذلك فى الأحكام .

﴿ فصل ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أنبأ عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الاسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح ، قال جلس عند قرن مستقبله فبايع الناس على الاسلام والشهادة قلت وما الشهادة ؟ قال أخبرني محمد بن الاسود ابن خلف أنه بايعهم على الايمان بالله وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله تفرد به احمد وعند البيهقى فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الاسلام والشهادة . وقال ابن

جرير : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الاسلام فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا قال فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متنتقة لحدها لما كان من صنيعها بحمزة [فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحمدها ذلك ، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال « بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال ؟ » ولا تسرقن » فقالت والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل ، فقال رسول الله ﷺ « وإني لك لهند بنت عتبة ؟ » قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ثم قال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزني الحرة ؟ ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » قالت قد ربيناهن صغيراً حتى قتلتهن أنت وأصحابك بيدركباراً ^(١) فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق ثم قال « ولا يأتين بهتان يقتريه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل ثم قال « ولا يعصينني » فقالت في معروف ، فقال رسول الله ﷺ لعمر « بايعيهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » فبايعهن عمر وكان رسول الله ﷺ لا يصادف النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه . وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط وفي رواية ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول « إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة » وفي الصحيحين عن عائشة أن هنداً بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل على من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك ^(٢) [وروى البيهقي من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خباء - الشك من أبي بكر - أحب إلى من أن يذلوا من أهل أخبائك - أو خبائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك فقال رسول الله ﷺ « وأيضاً والذي نفس محمد بيده » قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل على حرج أن اطعم من الذي له ؟ قال « لا بالمعروف » ورواه البخاري عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق بإسلام أبي سفيان ^(٣)

(١) هذه رواية السهيلي وفي الاصول : أفتقتلهم كباراً فأنت وهم أعلم . (٢) ما بين المربعين لم يرد في نسخة دار الكتب المصرية . (٣) ما بين المربعين عن النسخة التيمورية ولم يرد في غيرها .

وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طلوس عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم الا فانفروا » ورواه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة ومسلم عن يحيى بن يحيى عن جرير . وقال الامام أحمد ثنا صفان ثنا وهب ثنا ابن طلوس عن أبيه عن صفوان بن أمية أنه قيل له إنه لا يدخل الجنة الا من هاجر فقلت له لا أدخل منزلي حتى أسأل رسول الله ما سأله فأتيته فذكرت له فقال « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » تفرد به أحمد وقال البخاري ثنا محمد بن أبي بكر ثنا الفضيل بن سليمان ثنا عاصم عن أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بابي معبد الى النبي ﷺ ليبياعه على الهجرة فقال « مضت الهجرة لاهلها أبياعه على الاسلام والجهاد » فلقيت ابا معبد فسألته فقال صدق مجاشع . وقال خالد بن عيسى عن أبي عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد . وقال البخاري ثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا عاصم عن أبي عثمان قال حدثني مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخي بعد يوم الفتح فقلت يا رسول الله جئتك بأخي لتبياعه على الهجرة قال « ذهب أهل الهجرة بما فيها » فقلت على أي شيء تباعه ؟ قال « أبياعه على الاسلام والايمان والجهاد » فلقيت ابا معبد بعد وكان أكبرهما سنًا فسألته فقال : صدق مجاشع وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر الى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولكن انطلق فاعرض نفسك فان وجدت شيئًا والارجعت . وقال أبو النصر أنا شعبة أنا أبو بشر سمعت مجاهدًا قال : قلت لابن عمر ^(١) فقال لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله ﷺ - مثله . حدثنا اسحاق ابن يزيد ثنا يحيى بن حمزة حدثني أبو عمرو والاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبير أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح . وقال البخاري ثنا اسحاق بن يزيد أنا يحيى بن حمزة أنا الاوزاعي عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله عز وجل والى رسوله مخافة أن يقتل عليه ، فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام فالؤمن يعبد ربه حيث يشاء ولكن جهاد ونية .

وهذه الاحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الكاملة أو مطلقا قد انقطعت بعد فتح مكة لان الناس دخلوا في دين الله أفواجا وظهر الاسلام وثبتت أركانه ودعائه فلم تبق هجرة الاهم الا أن يعرض حال يقتضى الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على اظهار الدين عندهم فتجب الهجرة الى دار الاسلام وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلا من الجهاد والانفاق في سبيل الله مشروع وورغب فيه الى يوم القيامة وليس كالانفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة . قال الله تعالى « لا يستوى منكم من أفق من قبل الفتح

وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) الآية . وقد قال الامام أحمد : ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خير وأنا وأصحابي خير » وقال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت ، وعنده [(١)] . رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السريرة ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدناك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رآها ذلك . قال : صدق .

تفرد به أحمد . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليربهم ، فقال ما تقولون في قول الله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أ كذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها الا ما يقول . تفرد به البخاري وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنفي رسول الله ﷺ في أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . فأما الحديث الذي قال الامام أحمد ثنا محمد بن فضيل ثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما : نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله ﷺ « نعت الى نفسي » بأنه مقبوض في تلك السنة تفرد به الامام أحمد وفي إسناد عطاء بن أبي مسلم الخراساني وفيه ضعف تكلم فيه غير واحد من الأئمة وفي لفظه نكارة شديدة وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل فان الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها كما تقدم بيانه وهذا مالا خلاف فيه . وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الاول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضا ، وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله ثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي ثنا أبي ثنا جعفر بن عون عن أبي العباس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعا إذا جاء نصر الله والفتح . فيه نكارة أيضا وفي إسنادها نظر أيضا ويحتمل أن يكون أنها آخر

(١) ما بين المربعين لم يرد في الحلبية . وفي نسخة دار الكتب والتمورية بهذا السياق .

سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم . وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة . وقال البخارى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو ابن سلمة - قال لى أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته - قال كنا بماء مر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله وأوحى اليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يفرى فى صدرى ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فانه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح يادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتمكم والله من عند النبي حقا . قال صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدم وليؤمكم أ كثرتم قرآنا فنظروا فلم يكن أحدا كثر قرآنا منى لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة اذا سجدت تقلصت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تفظون عنا است قارئكم ؟ فاشتروا فقطعوا لى قيصا ففا فرحت بشئ فرحى بذلك القميص .

تفرد به البخارى دون مسلم .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، غزوة هوازن يوم حنين ﴾

قال الله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرا فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) . وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار فى كتابه أن خروج رسول الله ﷺ الى هوازن بعد الفتح فى خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه اليهم خمس عشرة ليلة وهكذا روى عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره احمد وابن جرير فى تاريخه . وقال الواقدى : خرج رسول الله ﷺ الى هوازن لست خلون من شوال فأنهى الى حنين فى عاشره . وقال أبو بكر الصديق لئن تغلب اليوم من قلة ١١ فانهزموا فكان أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن اسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال وهم قليل ولم يشهدوا من قيس عيلان الا هؤلاء : وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ولم يشهدوا منهم أحدا له اسم وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شئ

الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم ؛ وفي الاحلاف قارب ابن الاسود بن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث واخوه احمر بن الحارث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى ، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ أحضر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد به ، فلما نزل قل بأي واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال نعم بحال الخيل لا حزن ضرر ولا سهل دهس ، مالى أجمع رغاء البعير ، ونهاق الحجير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، قال أين مالك ؟ قالوا هذا مالك ودعى له ، قال يامالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الايلام ، مالى أجمع رغاء البعير ونهاق الحجير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال سقت مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم ؟ قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال فانقض به ، ثم قال راعى ضأن والله ، هل يرد المهزم شئ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورحمه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، ثم قال ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال لم يشهدا منهم أحد ، قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاه ورفع لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فن شهدا منكم ؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران ثم قال يامالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحر الخيل شيئاً ، ثم قال دريد لمالك ابن عوف : ارفعهم الى متمنع بلادهم وعلياً قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من ورائك ، وإن كانت عليك الفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك ، ثم قال مالك : والله لتطيعننى يامعشر هوازن أو لا تسكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى - فقالوا : أطمناك فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

ثم قال مالك للناس : اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال ابن اسحاق : وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله فاتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد . قال ابن اسحاق : ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث اليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي وأمره أن يدخل في

الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتى جمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ وجمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحاً فإرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال « يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا » فقال صفوان أغصباً يا محمد ؟ قال « بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك » قال ليس بهذا بأس ، فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سألهم أن يكفهم حملها ففعل . هكذا أورد هذا ابن اسحاق من غير إسناد . وقد روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الادراع كما تقدم وفيه أن ابن أبي حدرد لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبي حدرد : لئن كذبتني يا عمر فربما كذبت بالحق ، فقال عمر ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال « قد كنت ضالاً فهداك الله » . وقد قال الامام أحمد ثنا يزيد بن هارون أنبأ شريك بن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار من أمية يوم حنين أدراعاً فقال أغصباً يا محمد ؟ فقال « بل عارية مضمونة » قال فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمها له فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الاسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هرون به . وأخرجه النسائي من رواية اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعاً فذكره . ورواه من حديث هشيم عن حجاج عن عطاء أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث . وقال أبو داود ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا جرير عن عبد العزيز ابن رفيع عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ قال « يا صفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال عارية أم غصباً ، قال « بل عارية » فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً وغزا رسول الله ﷺ حنيناً فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله ﷺ لصفوان « قد فقدنا من أدارعك أدراعاً فهل نفرم لك ؟ » قال لا يا رسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن فيه يومئذ . وهذا مرسل أيضاً . قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما إلى

هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدم باني عشر ألفاً إلى مكة على قوتهم وأضيف ألفان من الطلقاء .
وذكر ابن اسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال قال واستخلف على أهل مكة عتاب بن أسيد
ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي .

قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة ، قال ومضى رسول الله ﷺ يريد لقاء هوازن
ثم ذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمي في ذلك ^(١) منها قوله :

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها مني رسالة نصح فيه تبيان
إني أظن رسول الله صابحكم جيشاً له في فضاء الأرض أركان
فيهم سليم أخوكم غير نارككم والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضادته النجني بنو أسد والاجربان بنو عبس وذبيان
تسكاد ترجف منه الأرض رهبة وفي مقدمه أوس وعثمان

قال ابن اسحاق : أوس وعثمان قبيلة مزينة . قال وحدثني الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي
عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثوا
عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حنين ، قال وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة
عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعلمون
عليها يوماً ، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات
الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر قلتم
والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، إنها السنن
لتركبن سنن من كان قبلكم » . وقد روى هذا الحديث الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي
عن سفيان والفسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهري كما رواه ابن اسحاق
عنه ، وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق كثير بن عبد الله بن
عمر بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعاً . وقال أبو داود ثنا أبو توبة ثنا معاوية بن سلام عن زيد
ابن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلولي أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم
حنين فأطنبوا السير حتى كان العشي ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس فقال
يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم
وبنعمهم وشأنهم اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن
شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله ، قال فاركب فركب

(١) وأولها : أصابت العام رجلاً غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان

فرساً له وجاء الى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نفرن من قبلك الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ الى مصلاه فركع ركعتين ثم قال « هل أحسنتم فارسكم ؟ » قالوا يا رسول الله ما أحسننا ، فتوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلي ويلتفت الى الشعب حتى اذا قضى صلاته قال « ابشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر الى خلال الشجر في الشعب واذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : إني انطلقت حتى اذا كنت في اعلا هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله ﷺ « هل نزلت الليلة ؟ » قال لا إلا مصلياً أو قاضياً حاجة ، فقال له رسول الله ﷺ « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » وهكذا رواه النسائي عن محمد بن يحيى عن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة الربيع بن نافع به .

﴿ فصل في كيفية الوقعة وما كان في أول الأمر من الفرار ثم كانت العاقبة للمتقين ﴾

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : نخرج مالك بن عوف بمن معه الى حنين فسبق رسول الله ﷺ اليها فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأخائنه وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عمارة الصبح ، فلما انحط الناس نارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول « أين أيها الناس ؟ هلموا الى أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » قال فلا شيء ، وركبت الابل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته على بن أبي طالب ، وأبوسفين ابن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبي سفين وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قم بن العباس ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر والعباس أخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها ، قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمح واذا فاتته الناس رفع رمح له من وراه فاتبعوه ، قال فبينما هو كذلك اذ هوى له على بن أبي طالب ورجل من الانصار يريدانه ، قال فيأتني على من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجصف عن رحله ، قال واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ . ورواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم الزهري عن أبيه عن محمد

ابن اسحاق قال ابن اسحاق : والتفت رسول الله ﷺ الى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الاسلام حين أسلم وهو أخذ بثغر بغلة رسول الله ﷺ فقال « من هذا ؟ » قال ابن أمك يا رسول الله . قال ابن اسحاق : ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الاعراب بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعنى وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام بعد معه يومئذ - قال : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كعدة بن الخنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعنى لأمه - وهو مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن . وقال الامام أحمد حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبا اسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والابل والغنم فجعلوها صفوفاً يكترون على رسول الله ﷺ ، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله ﷺ « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال « يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله » قال فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يعطن برمح . قال وقال رسول الله ﷺ يومئذ « من قتل كافراً فله سلبه » قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم ، وقال أبو قتادة : يا رسول الله إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه درع له فاجهضت عنه فانظر من أخذها قال فقام رجل فقال أنا أخذتها فارضه منها وأعطنيها ، قال وكان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئاً ألا اعطاه أو سكت فسكت رسول الله ﷺ ، فقال عمر : والله لا يغثها الله على أسد من أسد الله ويعطيها ، فقال رسول الله ﷺ « صدق عمر » قال ولقى أبو طلحة أم سليم ومعهما خنجر فقال أبو طلحة ما هذا ؟ فقالت إن دنا منى بعض المشركين أن أبمج فى بطنه ، فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم » وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله « من قتل قتيلاً فله سلبه » كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر فى هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا أبي ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوى : يا أبا حمزة بسن أى الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة ، قال ثم كان ماذا ؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله اليه . قال بسن أى الرجال هو يومئذ ؟ قال كأشب الرجال وأحسنه وأجله وألحمه ، قال يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله ﷺ ؟ قال نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفى

المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويمحطنا ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح فجعل يباه بهم أسارى رجل رجل فيبايعونه على الاسلام ، فقال . رجل من أصحاب النبي ﷺ إن على نذراً لئن جئ بالرجل الذي كان منذ اليوم يحططنا لأضربن عنقه ، قال فسكت رسول الله ﷺ وجئ بالرجل فلما رأى نبي الله ﷺ قال : يا نبي الله ثبت الى الله ؟ قال وأمسك نبي الله ﷺ أن يبايعه ليوفى الآخر نذره ، قال وجعل ينظر الى النبي ﷺ ليأمره بقتله ويهاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى النبي ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بايعه فقال يا نبي الله نذرى ؟ قال « لم أمسك عنه منذ اليوم الا لتوفى نذرك » فقال يا رسول الله ألا أومأت الى ؟ قال « إنه ليس لنبي أن يومى » . تفرد به احمد وقال احمد حدثنا يزيد ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين « اللهم إنك إن تشاء لا تعبد في الارض بعد اليوم » إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي اسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس أفرتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ - فقال : لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، كانت هوازن رماة وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبنا على الفئام فاستقبلتنا بالسهم . ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبي لا كذب ، ورواه البخاري عن أبي الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخاري : وقال اسراييل وزهير عن أبي اسحاق عن البراء ثم نزل عن بغلته . ورواه مسلم والنسائي عن بنسار . زاد مسلم : وأبي موسى كلاهما عن غندر به . وروى مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحاق عن البراء قال ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب « اللهم نزل نصرك » . قال البراء ولقد كنا اذا حى البأس نتق برسول الله ﷺ وإن الشجاع الذي يحاذى به . وروى البيهقي من طرق أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : « أنا ابن العواتك » [وقال الطبراني : ثنا عباس بن الفضل الاسقاطي ثنا عمرو بن عوف الواسطي ثنا هشام أنبا يحيى بن سعيد عن عمرو بن سعيد بن العاص عن شبابه عن ابن عاصم السلمي أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : « أنا ابن العواتك » ^(١)] وقال البخاري : ثنا عبد الله بن يوسف أنبا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلاج عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ،

(١) لم ترد هذه الجملة في نسخة دار الكتب المصرية ووردت في التيمورية .

فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضر به من ورائه على جبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل على فضمى ضمة وجئت منها ربح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر ، فقلت ما بال الناس ؟ فقال أمر الله ، ورجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال « من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه » فممت فقلت من يشهد لي ، ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت من يشهد لي ، ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت من يشهد لي ، ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله فقلت من يشهد لي ، ثم قال رسول الله ﷺ مثله فممت فقال « مالك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل : صدق سلبه عندي فأرضه مني ، فقال أبو بكر : لاها الله إذا تعد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ! فقال النبي ﷺ « صدق فأعطه » فأعطانيه فابتعت به مخرافاً في بني سلمة فانه لأول مال تأثلته في الاسلام . ورواه بقية الجماعة الا النسائي من حديث يحيى بن سعيد به . قال البخاري وقال الليث بن سعد حدثني يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلاح عن أبي محمد مولى أبي قتادة أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقته ، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فأضرب يده فقطعتما ، ثم أخذني فضمى ضماً شديداً حتى تخوفت ثم ترك فتحلل فدفعته ثم قتله ، وانهزم المسلمون فانهزمت معهم ، فاذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له ما شأن الناس ؟ قال أمر الله ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله « من أقام بيعة على قتيل فله سلبه » فممت لأنتمس بيعة على قتيلي فلم أر أحداً يشهد لي فجلست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتل الذي يذكر عندي فأرضه مني . فقال أبو بكر : كلا لا يعطيه أضيق من قريش ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال فقام رسول الله فأداه إلى فاشترت به مخرافاً فشكل أول مال تأثلته . وقد رواه البخاري في مواضع آخر ومسلم كلاهما عن قتبية عن الليث بن سعد به ، وقد تقدم من رواية نافع أبي غالب عن أنس أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعة لابي بكر الصديق ومساعدة وموافقة له ، أو قد اشتبه على الراوي والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي أنبا الحاكم أنبا الأصم أنبا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى « يا عباس ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه لبيك لبيك ، فجعل الرجل يذهب ليعطف بهيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقبلوا وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جعلت آخراً للخزرج وكانوا صبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله ﷺ في ركابه

فنظر الى مجتهد القوم فقال « الآن حى الوطيس » قال فوالله ما راجعه الناس الا والأسارى عند
 رسول الله ﷺ مكثفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهمز منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله
 ﷺ أموالهم وأبنائهم . وقال ابن لبيعة عن أبي الأسود عن عروة . وذكر موسى بن عقبة في معازيه
 عن الزهري أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقر بها عينه ، خرج إلى هوازن وخرج معه
 أهل مكة لم يفتخر منهم أحداً ركباً ومشة حتى خرج النساء بمشبن على غير دين نظراً ينظرون
 ويرجون الغنائم ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدقة برسول الله ﷺ وأصحابه ، قالوا وكان معه
 أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما ، قالوا وكان
 رئيس المشركين بوثد مالك بن عوف النصري ومعه دريد بن الصمة برعش من الكبر ، ومعه
 النساء والذراري والنعم ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حمزة عيناً قبلت فيهم فسمع مالك
 ابن عوف يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا أعناق سيوفكم
 واجعلوا مواشيك صفاً ونساءكم صفاً ، فلما أصبحوا اهتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراهم
 ينظرون لمن تكون الدائرة وصف الناس بعضهم لبعض وركب رسول الله ﷺ بغلة له شبيهة فاستقبل
 الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون
 على المسلمين حملة رجل واحد فجعل المسلمون جولة ثم ولوا مدبرين ، قتال حلوثة بين النعمان : لقد
 حرزت من بقى مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس فقلت مائة رجل ، قالوا ومر رجل من قريش
 بصفوان بن أمية فقال ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجتبرونها أبداً ، فقال له صفوان : تبشرني
 بظهور الأعراب فوالله لرب من قريش أحب الى من رب من الأعراب ، وغضب صفوان لذلك . قال
 عروة وبعث صفوان غلاماً له فقال اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال معهمهم يقولون : يا بنى عبد الرحمن
 يا بنى عبد الله ، يا بنى عبيد الله ، فقال : ظهر محمد وكان ذلك شعارهم في الحرب . قالوا وكان رسول الله ﷺ
 لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة فرفع يديه الى الله يدعوه يقول « اللهم إني أنشدك ما
 وعدتني اللهم لا يلبى لهم أن يظهروا علينا » وفادى أصحابه وزمرهم « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية
 الله الله الكرة على نبيكم » ويقال حرضهم فقال « يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بنى الخزرج يا أصحاب
 سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادى بذلك ، قالوا وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه
 المشركين ونواصيهم كلها وقال « شامت الوجوه » وأقبل أصحابه اليه سراعا يبتدرون ، وزعموا أن
 رسول الله ﷺ قال « الآن حى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها واتبعهم
 المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذرياتهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو
 وأناس من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله ﷺ

وإعزاز دينه . رواه البيهقي . وقال ابن وهب : أخبرني يونس عن الزهري أخبرني كثير بن العباس ابن عبد المطلب ، قال قال العباس : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمته أنا وأبوسفيان بن الحارث لا نفارقه . ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى الناس ولي المسلمون مدبرين فطلق رسول الله ﷺ بركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس وأنا آخذ بلجامها أ كفها إرادة أن لا تسرع ، وأبوسفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ . وقال رسول الله ﷺ « أي عباس ناد أصحاب السمر » قال فوالله لكأنما عطفهم حين سمعوا صوتي عطفا البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيكاه يا لبيكاه ، قال فافتتلوا هم والكفار والدعوة في الأنصار وهم يقولون : يا معشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال « هذا حين حمى الوطيس » ثم أخذ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال « انهزموا ورب محمد » قال فذهبت النظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلًا ، وأمرهم مدبرًا . ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه . ورواه أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وروى مسلم من حديث عكرمة ابن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنينًا فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم ، ونواري عنى فما دريت ما صنع ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعموا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ فولى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزما وعلى بردتان متزرا باحداها مرتديا بالآخرى ، قال فاستطلق إزارى فجعلتها جمعًا وصررت على النبي ﷺ وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء ، فقال « لقد رأى ابن الأكوع فرعًا » فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال « شأهت الوجوه » فما خلى الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين : فهزمهم الله وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده ثنا حماد بن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار عن أبي عبد الرحمن الغفري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في حنين فسرنا في يوم قابض شديد الحر فزلنا تحت ظلال السمر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسى فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرواح يا رسول الله ؟ قال « أجل » ثم قال رسول الله ﷺ « يا بلال » فنار من تحت صخرة كأن ظله ظل طائر فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك ؟ فقال « أخرج لي فرسى » فأماه بدفتين من ليف ليس فيهما أشرو ولا بطر : قال فركب فرسه فسرنا يومنا

فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله ﷺ يقول « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه ، وحدثنى من كان أقرب إليه منى أنه أخذ حفنة من التراب فحشى بها وجوه العدو وقال « شأته الوجوه » قال يعلى ابن عطاء فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقى أحد الا امتلأت عيناه وفه من التراب ، وممنا صلصلة من السماء كره الحديد على الطست الحديد فنهزمهم الله عز وجل . ورواه أبو داود السجستاني في سننه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا عبد الواحد ابن زياد ثنا الحارث بن حصين ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال قال عبد الله بن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والانصار ، فسكرنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال ورسول الله ﷺ على بغلته يعصى قدماً ، فحادث به بغلته فقال عن السرج فقلت له ارتفع رفعك الله فقال « فاولنى كفاً من تراب » فضرب به وجوههم فامتلات أعينهم تراباً قال « أين المهاجرين والانصار ؟ » قلت هم أولاء قال « أهتف بهم » فهتفت بهم فجاؤا سيوفهم بأيامهم كأنها الشهب وولى المشركون أدبارهم . تفرد به أحمد . وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الانصارى عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر ، قال وأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصي فرمى بها في وجوهنا فانهزمنا ورواه البخارى في تاريخه ولم ينسب عياضاً . وقال مسدد ثنا جعفر بن سليمان ثنا عوف بن عبد الرحمن مولى أم برثن عن شهد حنيناً كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجتنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ حتى إذ غشيناه فاذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شأته الوجوه فارجعوا ، فنهزمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقي . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو سفيان ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد بن مسلم حدثني محمد بن عبد الله الشعبي عن الحارث بن بدل النصرى عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمر بن سفيان الثقفي قال : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله ﷺ الا عباس وأبو سفيان بن الحارث ، قال فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصباء فرمى بها في وجوههم ، قال فانهزمنا فما خيل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا ، قال الثقفي : فأعجرت على فرسى حتى دخلت الطائف . وروى يونس بن بكير في مغازيه عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله ﷺ يوم حنين إلا رجل واحد اسمه

زيد . وروى البيهقي من طريق الكدبني ثنا موسى بن مسعود ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال عند انكشافه انكشافها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال « ارجعوا شاهت الوجوه » فما أحد يلتقي أخاه الا وهو يشكو قذى في عينيه . ثم روى من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي حدثني أبي السائب بن يسار سمعت يزيد بن عامر السوائي - وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد - قال : فتحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال فكان يأخذ لنا بمحصاة فيرمي بها في الطست فيطن ، قال كنا نحمد في أجوافنا مثل هذا . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمد ابن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي ثنا أبو أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلاً بلقاً ، فقال « يا شيبة إنه لا يراها الا كافر » فضرب يده في صدرى ثم قال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثانية فقال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثالثة ثم قال « اللهم أهد شيبة » قال فوالله ما رفع يده عن صدرى في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب الى منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهمزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني ثنا يوسف بن موسى ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عرى : ذكرت أبي وعمرى وقتل على وحمزة وإياها ، فقلت اليوم أدرك ثأرى من رسول الله ﷺ ، قال فذهبت لأجيئه عن يمينه فاذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها المعجاج ، فقلت عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته عن يساره فاذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أموره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق نغفت أن يحشني ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقري فالتفت رسول الله ﷺ وقال « يا شيب أدن مني ، اللهم اذهب عنه الشيطان » قال فرفعت اليه بصري وهو أحب إلى من ممحي وبصري ، فقال « يا شيب قاتل الكفار » وقل ابن اسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة اخو بني عبد الدار قلت اليوم أدرك ثأرى - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً ، قال فأدبرت برسول الله

ﷺ لأقنله فأقبل شيء حتى تفشى فؤادى فلم أطلق ذاك وعلمت أنه ممنوع منى . وقال محمد بن اسحاق : وحدثنى والدى اسحاق بن يسار عن حدثه عن جبير بن مطعم قال : إن أبا لم رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتتلون إذا نظرت إلى مثل البجاد الأسود بهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا نزل منشور قد ملأ الوادى فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة . ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق به . وزاد فقال خديج بن العوجا النصرى - يعنى فى ذلك - :

ولما دنونا من حنين ومائه رأينا سواداً منكر اللون أخصفا
بلمومة شهباء لو قدفوا بها شاربخ من عروى إذا عاد صفصفا
ولو أن قومي طأوعتني سراهم إذا ما لقينا العارض المتكشفا
إذا ما لقينا جند آل محمد ثمانين ألفاً واستمدوا بمخندفا

وقد ذكر ابن اسحاق من شعر مالك بن عوف النصرى رئيس هوازن يوم القتال وهو فى حومة الوغاب يرمز ويقول :

أقدم مجاج إنه يوم نكر مثلى على مثلك يحى ويكر
إذا أضيع الصف يوما والدبر ثم احزالت زمر بعد زمر
كتائب يكل فبهن البصر قد أطنن الطمئة تقدى بالسبر
حين يندم المستكن المنحجر وأطنن النجلاء تعمى ونهر
لها من الجوف رشاش منهمر تفق قارات وحيناً تنفجر
وتعطب العامل فيها منكسر يازين يا ابن همهم أين تفر
قد أنفذ الضرس وقد طال العمر قد علم البيض الطويلات الخمر
أنى فى أمثالها غير غير إذ تخرج الحاضن من تحت الستر

وذكر البيهقى من طريق يونس بن بكير عن أبى اسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هى لفيره :

أذكر مسيرهم والناس كلهم ومالك فوقه الرايات تخفق
ومالك مالك ما فوقه أحد يوم حنين عليه التاج يأتلق
حتى لقوا الناس حين البأس يقدمهم عليهم البيض والأبدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً حول النبي وحتى نجته الفسق
حتى تنزل جبريل بنصرهم فالقوم منهزم منا ومعتلق

منا ولو غير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذا أسيافنا الفلق
وقد وفي عمر الفاروق إذ هزموا بطعنة كان منها سرجه العلق
قال ابن اسحاق : ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت امرأة من المسلمين :
قد غلبت خيل الله خيل اللات والله أحق بالثبات
قال ابن هشام : وقد أنشدني بعض أهل الرواية للشعر :

قد غلبت خيل الله خيل اللات وخيله أحق بالثبات

قال ابن اسحاق : فلما انهزمت هوازن استحضر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون
رجلاً نحت رايتهم وكانت مع ذى الخمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن
حبیب فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرني عامر بن وهب بن الاسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال
« أبعد الله فاته كان يبنض قريشا » وذكر ابن اسحاق عن يعقوب بن عتبة أنه قتل مع عثمان
هذا غلام له نصراني ، فجاء رجل من الانصار ليسلبه فاذا هو أغرل ، فصاح بأعلا صوته : يا معشر
العرب إن ثقيفاً غرل ، قال المغيرة بن شعبه الثقفي : فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في
العرب ، فقلت لا تقل كذلك فذاك أبي وأمي إنما هو غلام لنا نصراني ، ثم جعلت أكشف له
القتل فأقول له ألا تراهم مختلفين كما ترى ؟ قال ابن اسحاق : وكانت راية الاحلاف مع قارب بن
الاسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل من الاحلاف
غير رجلين ، رجل من بني غيرة يقال له وهب ورجل من بني كبة يقال له الجلاح ، فقال رسول الله
ﷺ حين بلغه قتل الجلاح « قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيذة » يعني
الحارث بن أويس . قال ابن اسحاق فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الاسود وفراره من
بني أبيه وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت :

ألا من مبلغ خيلان عني	وسوف أخال يأتيه الخبير
وعروة إنما أهدى جوابا	وقولا غير قولكما يسير
بأن محمداً عبد رسول	رب لا يضل ولا يمحور
وجدناه نبيا مثل موسى	فكل فقي بخابره مخير
وبئس الأمر أمر بني قسي	بوج إذا تقسمت الامور
أضاعوا أمرهم ولكل قوم	أمير والدوائر قد تدور
فجئنا أمد غابت البهم	جنود الله ضاحية تسير
نؤم الجمع جمع بني قسي	على حنق نكاد له نظير

وأقسم لو هموا مكثوا السرنا
 فكنا أسدية ثم حق
 ويوم كان قبل لدى حنين
 من الأيام لم تسمع كيوم
 قتلنا في الغبار بنى حطيط
 ولم يك ذو الحار رئيس قوم
 أقام بهم على سنن المنايا
 فأفلت من نجا منهم حريضا
 ولا يفنى الأمور أخواتواني
 أحاتم وحن وملكوه
 بنو عوف تميح بهم جياذ
 فلولا قارب وبنو أبيه
 ولكن الرئاسة صموها
 أطاعوا قاربا ولهم جدود
 فان يهدوا الى الاسلام يلفوا
 فان لم يسلوا فهموا أذان
 كما حكمت بنى سعد وجرت
 كأن بنى معاوية بن بكر
 فقلنا أسلموا إنا أخوكم
 كأن القوم اذ جاؤا إلينا
 اليهم بالجنود ولم يغوروا
 أبجناها وأسلمت النصور
 فأقلع والدماء به تمور
 ولم يسمع به قوم ذكور
 على راياتها والخييل زور
 لهم عقل يعاقب أو نكير
 وقد بان لبصرها الأمور
 وقتل منهم بشر كثير
 ولا الغلق الصريرة الحصور
 أمورهم وأفلتت الصقور
 أهين لها الفصافص والشمير
 تقسمت المزارع والقصور
 على يمن أشار به المشير
 وأحلام إلى عز نصير
 أنوف الناس ما صهر السмир
 بحرب الله ليس لهم نصير
 برهط بنى غزية عنقفير
 الى الاسلام ضائنة فخور
 وقد برأت من الاحن الصدور
 من البغضاء بعد السلم عور

❖ فصل ❖

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثنية مع طائفة من أصحابه
 فقال : قفوا حتى نجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم . قال ابن اسحاق : فبلغنى أن خيلا طلعت ومالك
 وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم
 طويلة بوادهم ، فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا ملكوا بطن الوادى ، ثم
 طلعت خيل أخرى تقيمها فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما عارضى رماحهم اغفلا على
 خيلهم ، فقال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثنية ملكوا

طريق بنى سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ فقالوا نرى فارساً طويلاً الباد واضحاً
رحمه على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء ، قال : هذا الزبير بن العوام وأقسم باللات ليخالفنكم فأثبتوا
له ، فلما انتهى الزبير الى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

﴿ فصل ﴾

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت من الأبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق الى الجعرانة
فتحبس هناك ، قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم سمود بن عمرو الغفاري .

﴿ فصل ﴾

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة قتلها خالد بن
الوليد والناس متقصفون عليها فقال لبعض أصحابه « أدرك خالداً فقل له إن رسول الله ﷺ - ينهاك
أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيقاً » هكذا رواه ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد ثنا
أبو عامر عبد الملك بن عمرو ثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد حدثني المرقع بن صيفي عن
جده رباح بن ربيع أخى بنى حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه رجع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها
وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فررباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت
المقدمة ، فوقفوا ينظرون اليها ويتمجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته
فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال « ما كانت هذه لتقاتل » فقال لأحدم « الحق
خالداً فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيقاً » وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث
المرقع بن صيفي به نحوه .

﴿ غزوة أوطاس ﴾

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى
فلجؤوا الى الطائف فتحصنوا بها ، وسارت فرقة ففسكروا بمكان يقال له أوطاس فبعث اليهم رسول
الله ﷺ سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه
الكريمة فحاصر أهل الطائف كما سيأتى . قال ابن اسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف
ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة
الا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله ﷺ من سلك الشنايا قال فادرك ربيعة بن ربيع بن
أهان السلمي ويعرف بابن الدغنة - وهى أمه - دريد بن الصمة فاخذ بخنطام جملة وهو يظن أنه امرأة
وذلك أنه فى شجار لهم ، فاذا برجل فأناخ به فاذا شيخ كبير واذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ،
فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال أقتلك ، قال ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن ربيع السلمي ، ثم

ضربه بسيفه فلم يغب شيئا ، قال : بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار
ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فأنى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت
أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك ، فزعم بنوسليم أن ربيعة
قال لما ضربته فوقم تكشف فإذا عجانه و بطون نخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء ، فلما
رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا . ثم ذكر ابن
اسحاق ما رثت به عمرة بنت دريد أباهما فن ذلك قولها :

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا فظل دعى على السربال منحدر
لولا الذى قهر الأقوام كلهم رأت سليم وكعب كيف ياتمر
إذن لصبحهم غبا وظاهرة حيث استقرت نواجم جحفل ذفر

قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري
فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري
وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى
أبا عامر الأشعري بسهم فاصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عنى فإني سلمة ابن سمادير لمن توسته
أضرب بالسيف رؤس المسلمة

قال ابن اسحاق : وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعري لقي
يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام
ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام
ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقى
العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه ،
فقال الرجل : اللهم لا تشهد على فكف عنه أبو عامر فأقلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبي
ﷺ إذا رآه قال : « هذا شريد أبي عامر » قال ورمى أبا عامر ، أخوان العلاء وأوفى أبناء الحارث
من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس أبا موسى فحمل
عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بني جشم يريهما :

إن الرزية قتل العلاء وأوفى جميعاً ولم يسندا
هما القاتلان أبا عامر وقد كان داهية أربدا
هما تركاه لدى معرك كأن على عطفه مجسدا

فلم ير في الناس مثليهما أقل عثارا وأرعى يدا
وقال البخارى : ثنا محمد بن العلاء وحدنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي
موسى قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن
الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه ، قال أبو موسى : وبعثنى مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماء
جسمى بسهم فأثبتته في ركبته ، قال فأنتهيت إليه فقلت يا عم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال ذاك
قاتل الذى رماني ، فقصدت له فلحقته فلما رآنى ولى فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي ألا تثبت ؟
فكف فاختلفنا ضررتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبي عامر قتل الله صاحبك ، قال فانتزع هذا السهم
فنزعه فترا منه الماء . قال يا ابن أخى اقرئ رسول الله ﷺ السلام وقل له استغفر لى ، واستخلفنى
أبو عامر على الناس فكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سرير
مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله قل له
استغفر لى قال فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض إبطيه
ثم قال « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك - أو من الناس » فقلت ولى فاستغفر ، فقال
« اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً » قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر
والأخرى لأبي موسى رضى الله عنهما . ورواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن أبي
براد عن أبي أسامة به نحوه . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبا سفيان - هو الثورى - عن
عثمان البقي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدرى قال . أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج
فكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية (والمحصنات من النساء
إلا ما ملكت أيمانكم) قال فاستحللنا بها فروجهن . وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث
عثمان البقي به . وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد
الخدرى . وقد رواه الامام احمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث سعيد بن أبي عروبة ، زاد مسلم
وشعبة والترمذى من حديث همام عن يحيى ثلاثهم عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهافى
عن أبي سعيد أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبابة يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك .
فكان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأنموا من غشيانهم ، فنزلت هذه الآية في ذلك
(والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) وهذا لفظ احمد بن حنبل فزاد في هذا الاسناد
أبا علقمة الهافى وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم . وقد استدل جماعة من السلف بهذه
الآية الكريمة على أن بيع الامة طلاقها . روى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن
عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بريرة

حيث بيعت ثم خيرت في فسخ نكاحها أو إبقائه ، فلو كان بيعها طلاقاً لها لما خيرت ، وقد تفصينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية وسنذكره إن شاء الله في الأحكام الكبير ، وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشتركة بهذا الحديث في سبايا أوطاس وخالفهم الجمهور وقالوا هذه قضية عين فاعلمن أسلمن أو كن كتابيات وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

﴿ فصل فيمن استشهد يوم حنين وبسرية أوطاس ﴾

أبى ابن أم أبى مولى رسول الله ﷺ وهو أبى بن عبيد ، وزيد بن زمة بن الأسود بن المطلب ابن أسد جمع به فرسه الذى يقال له الجناح فأت ، ومراقة بن مالك بن الحارث بن عدى الانصارى من بنى العجلان ، وأبو عامر الأشعرى أمير سرية أوطاس ، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

﴿ فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن ﴾

فن ذلك قول بجير بن زهير بن أبى سلمى :

لولا الإله وعيده وليتم	حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم حيالنا أقراننا	وسوايح يكبون للأذقان
من بين ساع ثوبه في كفه	ومقطر بسنابك ولبان
والله أكرمنا وأظهر ديننا	وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهدى لهم وفرق جمعهم	وأذلهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عم نبيكم ووليه	يدعون بالكتيبة الإيمان
أين الذين هم أجابوا ربهم	يوم العريض وبيعة الرضوان

وقال عباس بن مرداس السلى :

فأنى والسوايح يوم جمع	وما يتلو الرسول من الكتاب
لقد أحببت ما لقيت ثقيف	بجنب الشعب أمس من العذاب
هم رأس العدو من اهل نجد	فقتلهم ألد من الشراب
هزمتنا الجمع بنى قسى	وحلت بركها بينى رؤاب
وصرنا من هلال غادرتهم	بأوطاس تعفر بالتراب
ولو لاقين جمع بنى كلاب	لقام نساؤهم والنقع كافي
ركضنا الخيل فيهم بين بس	إلى الاوراد تنحط بالنهاب
بندى لجب رسول الله فيهم	كتيبته تعرض للضراب

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النبأ إنك مرسل بالحق كل هدى السبيل هداكا
 إن الله بنى عليك محبة في خلقه ومحمداً سماكا
 ثم الذين وفوا بما عاهدتم جند بعثت عليهم الضحاكا
 رجلا به درب السلاح كأنه لما تكنفه العدو براكا
 يغشى ذوى النسب القريب وإنما يبنى رضا الرحمن ثم رضا كا
 أنبتك أنى قد رأيت مكره تحت المعجاجة يدمغ الأشركا
 طورا يعانق باليدين وقارة يفرى الجاجم صارماً فتاكا
 يغشى به هام السكاة ولو ترى منه الذى عاينت كان شفاكا (١)
 وبنو سليم معنقون أمامه ضربا وطعنأ في العدو دراكا
 بمشون تحت لوائه وكأنهم أسد العرين أردن ثم عراكا
 ما يرتجون من القريب قرابة إلا لطاعة ربهم وهواكا
 هذى مشاهدنا التى كانت لنا معروفة وولينا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً (٢) :

عفا مجدل من أهله فتالم فطلا أريك قد خلا فالمصانع
 ديار لنا يا جل إذ جل عيشنا رخی وصرف الدهر للحى جامع
 حبيبة ألوت بها غربة النوى لبين فهل ماض من العيش راجع
 فان تبتغى الكفار غير ملومة فانى وزير للنبي وتابع
 دعانا اليه خير وفد علمتهم خزيمة والمرار منهم وواسع
 فجئنا بألف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع
 نبايه بالأخشبين وإنما يد الله بين الأخشبين نبايع
 فجسنا مع المهدي مكة عنوة بأسيا فنا والنقع كاب وساطع
 علانية والخييل يغشى متونها حيم وأن من دم الجوف ناعم
 ويوم حنين حين سارت هوازن البنا وضائق بالنفوس الأضالع
 صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا قراع الأعادى منهم والوقائع
 أمام رسول الله يخفق فوقنا لواء كخندروف السحابة لاعم

(١) هذا البيت زده من سيرة ابن هشام . (٢) سقط من التيمورية هذه القصائد الى آخر الفصل .

عشية ضحكك بن سفيان معتص
ندود أخانا عن أخينا ولو نرى
ولكن دين الله دين محمد
أقام به بعد الضلالة أمرنا
وقال عباس أيضاً :

تقطع باقي وصل أم مؤمل
وقد حلفت بالله لا تقطع القوى
خفاية بطن العقيق مصيفها
فإن تتبع الكفار أم مؤمل
وسوف ينبئها الخبير بأننا
وإنما مع الهادي النبي محمد
بفتيان صدق من سليم أعزة
خفاف وذكران وعوف تحالهم
كان نسيج الشهب والبيض ملبس
بنا عز دين الله غير تنحل
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا
على شخص الألبار تحسب بينها
غداة وطننا المشركين ولم نجد
بمعترك لا يسمع القوم وسطه
ببيض تطير الهام عن مستقرها
فكائن تركنا من قتل ملحب
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي
وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

ما بال عينك فيها عائر سهر
عين تأوبها من شجوها أرق
كأنه نظم در عند ناظمه
يا بعد منزل من ترجو مودته
مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر
ظلماء يغمرها طوراً وينحدر
تقطع السالك منه فهو منتثر
ومن أتى دونه الصمان فالخفر

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد
واذ كر بلاء سليم في مواطنها
قوم هموا نصروا الرحمن واتبعوا
لا يفرسون فسيل النخل وسطهم
إلا سوابح كالمقبان مغرية
تدعى خفاف وعوف في جوانبها
الضاربون جنود الشرك ضاحية
حتى رفعنا وقتلام كأنهم
ونحن يوم حنين كان مشهدنا
إذ نركب الموت مخضرا بطائنه
تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا
في مأزق من مجر الحرب كلكلها
وقد صبرنا بأوطاس أسنقنا
حتى تأوب أقوام منازلهم
فما ترى معشراً قلوا ولا كثروا
وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

يا أيها الرجل الذى تهوى به
إما أتيت على النبی قتل له
ياخير من ركب المطى ومن مشى
إننا وفينا بالذى عاهدتنا
إذ سال من أفناء بهتة كلها
حتى صبحنا أهل مكة فيلقا
من كل أغلب من سليم فوقه
يروى القناة اذا تجاسر فى الوغى
يفشى السكتيبة معلماً وبكفه
وعلى حنين قد وفى من جمعنا
كانوا أمام المؤمنين دريئة
وجناء مجرة المناسم عرمس
حقاً عليك اذا اطمأن المجلس
فوق التراب اذا تعد الأنفس
والخيل تقدع بالسكاة وتضرس
جمع تظل به المخارم ترجس
شبهاء يقدمها الهام الأشوس
بيضاء محكمة الدخال وقونس
ونخاله أسداً اذا ما يعبس
عضب يقده به ولدن مدعس
ألف أمد به الرسول عرندس
والشمس يومئذ عليهم أشمس

نمضى ويحرسنا الاله بحفظه
ولقد حبسنا بالمناقب محبسا
وغداة أو طامس شددنا شدة
تدعو هوازن بالأخوة بيننا
حتى تركنا جمعهم وكأنه
وقال أيضاً رضى الله عنه :

من مبلغ الأقسام أن محمداً
دعا ربه واستنصر الله وحده
سرينا وواعدنا قديداً محمداً
تماروا بنا في الفجر حتى تبينوا
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا
فان سراة الحى إن كنت سائلا
وجند من الأنصار لا يخذلونه
فان تلك قد أمرت في القوم خالدا
بجند هداه الله أنت أميره
حلفت يميناً برة لمحمد
وقال نبي المؤمنين تقدموا
وبتنا بنهى المستدير ولم يكن
أطعنك حتى أسلم الناس كلهم
يظل الحصان الأبلق الورد وسطه
صمونا لهم ورد القطا زقه ضحى
لذن غدوة حتى تركنا عشية
إذا شئت من كل رأيت طمرة
وقد أحرزت منا هوازن سربها

رسول الاله راشد حيث يثما
فأصبح قد وفى اليه وأنما
يؤم بنا أمراً من الله محكما
مع الفجر قتياناً وغاباً مقوما
ورجلا كدفاع الأثني عرمرما
سليم وفيهم منهم من تسلما
أطاعوا فما يعصونه ما تكلموا
وقدمته فانه قد تقدما
تصيب به في الحق من كان أظلاما
فأكلتها ألفاً من الخيل ملجما
وحب البنا أن نكون المقدما
بنا الخوف إلا رغبة ونحزما
وحتى صبحنا الجمع أهل يلمما
ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما
وكلا تراه عن أخيه قد احجما
حينئذ وقد سالت دوامعه دما
وفارسها بهوى وريحاً محطما
وحب اليها أن نخيب ونحزما

هكذا أورد الامام محمد بن اسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي رضى الله عنه وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الاطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضاً وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك والله أعلم .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ غزوة الطائف ﴾

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : قاتل رسول الله ﷺ يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان . وقال محمد بن اسحاق : ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور . قال ثم سار رسول الله ﷺ الى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك في ذلك : *

قضينا من تهامة كل ريب	وخير ثم أجمعنا السيوف
نخبرها ولو نطق لقات	قواطعهم دوساً أو ثقيفا
فلست لحاضن إن لم تروها	بساحة داركم منا ألوفاً
وننتزع العروش ببطن وج	وتصبح دوركم منكم خلوفاً
ويأتيكم لنا سرعان خيل	يفادر خلفه جمعاً كثيفاً
إذا نزلوا بساحتكم مغمم	لها مما أفاخ بها رجيفاً
بأيديهم قواضب مرهفات	يزرن المصطلين بها الختوفاً
كأمثال العقائق أخلصها	قيون الهند لم تضرب كثيفاً
نخال جديّة الأبطال فيها	غداة الزحف جادياً مدوفاً
أجدم أليس لهم نصيب	من الأقوام كان بنا عريفاً
يخبرم بأنا قد جمعنا	عتاق الخيل والنجب الطروفاً
وأنا قد أتيناهم بزحف	يحيط بسور حصنهم صفوفاً
رئيسهم النبي وكان صلباً	نقى القلب مصطبراً عزوفاً
رشيد الأمر ذا حكم وعلم	وحلم لم يكن نزقاً خفيفاً
نطيع نبينا ونطيع ربا	هو الرحمن كان بنا رؤفاً
فان تلقوا اليها السلام نقبل	ونجعلكم لنا عضداً وريفاً
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر	ولا يك أمرنا رعشاً ضعيفاً
نجالد ما بقينا أو تقيبوا	الى الاسلام إذعانا مضيفاً
نجاهد لا نبالي ما لقينا	أأهلكنا التلاد أم الطريفاً
وكم من معشر ألبوا علينا	صميم الجنم منهم والخليفاً
أنونا لا يرون لهم كفاء	فجهدنا المسامع والأنوفاً

بكل مهند لين صقيل نسوقهم بها سوقا غنيفا
 لأمر الله والأسلام حتى يقوم الدين معتدلا خنيفا
 وتنفى اللات والعزى وودر ونسلها القلائد والشنوقا
 فأمسوا قد أقروا واطمأنوا ومن لا يمنع يقبل خسوفا

وقال ابن اسحاق : فاجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي :
 قلت : قد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد ثقيف فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة
 وأبو اسحاق وأبو عمرو بن عبد البر وابن الاثير وغير واحد ، وزعم المدايني أنه لم يسلم بل صار الى بلاد
 الروم فتنصر ومات بها :

من كان يبغي لنا يريد قتالنا فإنا بدار معلم لا نريها
 وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى وكانت لنا أطواؤها وكرومها
 وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر فأخبرها ذو رأيها وحليمها
 وقد علمت - إن قالت الحق - أننا اذا ما أتت صعر الخلود نقيمها
 نقومتها حتى يلين شريسها ويعرف للحق المبين ظلمها
 علينا دلاص من تراب محرق كلون السماء زينتها نجومها
 نرفعها عنا ببيض صوارم اذا جردت في غمرة لا نشيمها

قال ابن اسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله ﷺ الى الطائف :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
 إن التي حرقت بالسد فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
 إن الرسول متى ينزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله ﷺ - يعني من حين الى الطائف - على نخلة اليمانية ثم
 على قرن ثم على الملبح ثم على بحيرة الرغاء من لية فابقي بها مسجدا فصلى فيه . قال ابن اسحاق :
 فحدثني عمرو بن شعيب أنه عليه السلام أقاد يومئذ ببصرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم أقيد به
 في الاسلام رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به وأمر رسول الله ﷺ وهو بولية بمحصن
 مالك بن عوف فهدم . قال ابن اسحاق : ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة فلما توجه رسول الله ﷺ
 سأل عن اسمها فقال ما اسم هذه الطريق فقيل الضيقة فقال بل هي اليسرى ، ثم خرج منها على
 نخب حتى نزل تحت سدة يقال لها الصادرة قريبا من مال وجل من ثقيف ، فأرسل اليه رسول الله ﷺ
 ﷺ إما أن نخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله ﷺ ﷺ

باخرا به . وقال ابن اسحاق : عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو
 سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه الى الطائف فرزنا بقبر فقال رسول الله ﷺ « هذا
 قبر أبي رغال وهو أبو نقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته النقرة التي
 أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه
 أصبتموه » قال فابتدره الناس فاستخرجوا معه الفصن . ورواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب
 ابن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع
 عن روح بن القاسم عن اسماعيل بن أمية به . قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى
 نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب
 من حائط الطائف فتأخروا الى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنه نقيف بعد
 اسلامها ، بذاه عمرو بن أمية بن وهب وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم الا
 مع لها نقيض فيما يذكر ، قال فحاصروهم بضماً وعشرين ليلة ، قال ابن هشام ويقال سبع عشرة
 ليلة ، وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : ثم سار رسول الله ﷺ الى الطائف وترك السبي
 بالجرانة وملئت عرش مكة منهم فنزل رسول الله ﷺ بالأكذة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة
 يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ولم يخرج اليه أحد منهم غير أبي بكر بن مسروح أخى زياد
 لأمه ، فأعتقه رسول الله ﷺ وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنانهم ليغيظوهم بها فقالت لهم
 نقيف : لا تفسدوا الأموال فانها لنا أولكم . وقال عروة أمر رسول الله ﷺ كل رجل من المسلمين
 أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات وبعث منادياً ينادى من خرج اليها فهو حر ، فاقنعم اليه نفر
 منهم فيهم أبو بكر بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه فأعتقهم ودفع كل رجل منهم الى رجل
 من المسلمين يعوله ويحمه . وقال الامام أحمد ثنا يزيد ثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن
 عباس أن رسول الله ﷺ كان يمتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم اذا أسلموا ، وقد أعتق يوم
 الطائف رجلين . وقال أحمد ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم
 عن ابن عباس قال : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فخرج اليه عبدان فأعتقهما أحدهما أبو
 بكر وكان رسول الله ﷺ يعتق العبيد اذا خرجوا اليه . وقال أحمد أيضاً ثنا نصر بن رئاب عن
 الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله ﷺ يوم الطائف « من خرج
 اليها من العبيد فهو حر » فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكر فأعتقهم رسول الله ﷺ هذا الحديث
 تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ، لكن ذهب الامام أحمد الى هذا فعنده
 أن كل عبد جاء من دار الحرب الى دار الاسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً ، وقال آخرون إنما كان

هذا شرطاً لا حكماً عاماً ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام « من قتل قتيلاً فله سلبه » وقد قال بونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن المكرم الثقفي قال : لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج اليه رقيق من رقيقهم أبو بكره عبداً للحارث بن كلدة والمنبعث وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله ﷺ المنبعث ، ويحس ووردان في رهط من رقيقهم فأسلوا ، فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلوا قالوا يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك ؟ قال « لا أولئك عتقاء الله » ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله له . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا عثمان قال سمعت سعدا - وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكره وكان تصور حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله ﷺ - قال : سمعنا رسول الله ﷺ يقول « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام » ورواه مسلم من حديث عاصم به . قال البخاري : وقال هشام أنبا معمر عن عاصم عن أبي العالیه أو أبي عثمان النهدي قال سمعت سعدا وأبا بكره عن النبي ﷺ قال عاصم : قلت لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما ، قال أجل أما أحدهما فاول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف . قال محمد بن اسحاق : وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين فكان يصلي بينهما ، فحاصرهم وقتلهم قتلاً شديداً وتراموا بالنبل قال ابن هشام : ورامم بالمنجنيق . فحدثني من أثق به أن النبي ﷺ أول من رمى في الاسلام بالمنجنيق رمى به أهل الطائف . وذكر ابن اسحق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابه ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف فأرسلت عليهم سلك الحديد محمداً فخرجوا من تحتها فرميتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً ، فحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون ، قال وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالامان حتى يكلموهم فأنوم فدعوا نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهم وهما يخافان عليهن السباء اذا فتح الحصن ، فأبين فقال لهما أبو الاسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما به ؟ إن مال أبي الاسود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله ﷺ نازلاً بواد يقال له العقيق وهو بين مال بني الاسود وبين الطائف وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤونة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم . فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم . وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده وقيل قدم به وبدبابتين فأنه أعلم . وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الاسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالنبات في حصنهم وقال

لا يهولنكم قطع ما قطع من الاشجار في كلام طويل ، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ « ما قلت لهم » قال دعوتهم إلى الاسلام وأذرتهم النار وذكرتهم بالجنة ، فقال « كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله واليك من ذلك . وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن احمد ابن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن ابن أبي نجيح السلمي وهو عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : حاصرا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف فسمعت رسول الله ﷺ يقول « من بلغ بسهم فله درجة في الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهما ، وسمعت يقول « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة وأما رجل أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بعظم وأما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها من النار » . ورواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث قتادة به . وقال البخاري ثنا الحميدي سمع سفيان ثنا هشام عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت : دخل على رسول الله ﷺ وعندى مخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فملكك بانبسة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال رسول الله ﷺ « لا يدخلن هؤلاء عليكن » قال ابن عيينة وقال ابن جريج : المخنث هيت . وقد رواه البخاري أيضا ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به وفي لفظ وكانوا يروونه من غير أولى الأربعة من الرجال ، وفي لفظ قال رسول الله ﷺ « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكن هؤلاء » يعني اذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل في قوله تعالى (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) والمراد بالمخنث في عرف السلف الذي لا همه له إلى النساء وليس المراد به الذي يؤتى إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتما كما دل عليه الحديث وكما قتله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومعنى قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان يعني بذلك عكن بطنها فانها تكون أربعا اذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين اذا أدبرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف ، وهذا المخنث قد ذكر البخاري عن ابن جريج أن اسمه هيت وهذا هو المشهور . لكن قال يونس عن ابن اسحاق قال : وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته بنت عمرو بن عايد مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته ولا نرى أنه يفتن لشيء من أمور النساء مما يفتن اليه رجال ، ولا يرى أن له في ذلك إربا فسمعه وهو يقول لخالد ابن الوليد : يا خالد إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتن منكم بادية بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه « ألا أرى هذا يفتن لهذا » الحديث ثم قال لنسائه « لا يدخلن عليكن » فحجب عن بيت رسول الله ﷺ وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله

ثنا سفيان عن عمرو عن أبي العباس الشاعر الاعمى عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال « إنا قائلون غداً إن شاء الله » فنقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتح ؟ فقال « اعدوا على القتال » فعدوا فأصابهم جراح فقال « إنا قائلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبي ﷺ. وقال سفيان مرة فتبسم ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف في نسخ البخاري في نسخة كذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص والله أعلم. وقال الواقدي حدثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدثلي فقال « يا نوفل ما ترى في المقام عليهم ؟ » قال يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك . قال ابن اسحاق : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفاً « يا أبا بكر إني رأيت أني أهديت لي قبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها » فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أظن أن تترك منهم يوماً ما تريد ، فقال رسول الله ﷺ « وأنا لا أرى ذلك » قال ثم إن خولة بنت حكيم السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله اعطني إن فتح الله عليك حلي بادية بنت غيلان بن سلمة أو حلي الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف - فذكر أن رسول الله ﷺ قال لها « وإن كان لم يؤذن في ثقيف ياخويلة » فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما حديث حدثتني خولة زعمت أنك قلته ؟ قال « قد قلته » قال أو ما أذن فيهم ؟ قال لا ، قال أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال بلى ، فأذن عمر بالرحيل فلما استقبل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقبم ، قال يقول عيينة بن حصن أجل والله مجدة كراماً ، فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله يا عيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكنني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلها تلد لي رجلاً فان ثقيفاً منا كبير . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة قصة خولة بنت حكيم وقول رسول الله ﷺ ما قال : وتأذين عمر بالرحيل ، قال وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرحوا ظهرهم فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ودعا حين ركب فانفلا فقال « اللهم اهدموا كفنا مؤنتهم » وروى الترمذي من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قالوا : يا رسول الله أهرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم فقال « اللهم اهد ثقيفاً » ثم قال هذا حديث حسن غريب . وروى يونس عن ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المكرم عن أدركا من أهل العلم قالوا : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم

يؤذن فيهم ، فقدم المدينة فجاءه وفد في رمضان فأسلموا وسيأتي ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله . وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن اسحاق فمن قريش ؛ سعيد ابن سعيد بن العاص بن أمية : وعرفطة بن حباب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبدالله ابن أبي بكر الصديق رضي بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي من رمية رميها يومئذ ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى السهمي وأخوه عبد الله ، وجليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليث ، ومن الانصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمي ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة المازني ، والمنذر بن عبد الله من بني ساعدة ، ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية فقط ، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث رضي الله عنهم أجمعين . قال ابن اسحاق : ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حينئذ والطائف :

كانت علالة يوم بطن حنين	وغداة أوطاس ويوم الأبرق
جمعت باغواء هوازن جمعها	فتبددوا كالطائر المتمزق
لم يمنعوا منا مقاما واحداً	إلا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا	فاستحصنوا منا بيباب مفلق
ترتد حسرانا الى رجراجة	شبهاء تلعب بالملنايا فيلق
ملومة خضراء لو قدفوا بها	حصنا لظل كأنه لم يخلق
مشى الضراء على المراس كأننا	قدر تفرق في القباد ويلتقى
في كل سابعة إذا ما استحصنت	كالنهي هبت ريحه المتفرق
جدل تمس فضولهن نعالنا	من نسج داود وآل محرق

وقال أبو داود ثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ثنا الفريابي ثنا أبان ثنا عمرو - هو ابن عبد الله ابن أبي حازم - ثنا عثمان بن أبي حازم عن أبيه عن جده صخر - هو أبي العيلة الأحسي - أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً فلما أن معهم ذلك صخر ركب في خيل بعد النبي ﷺ فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهد وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وكتب اليه صخر : أما بعد فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله وأنا مقبل بهم وهم في خيلى فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعة فدعا لأحس عشر دعوات « اللهم بارك لأحس في خيلها ورجالها » . وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبه فقال :

يارسول الله إن صخرًا أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، فدعاه فقال « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع إلى المغيرة عنته » فدفعها إليه وسأل رسول الله ﷺ ماء لبنى سليم قد هربوا عن الاسلام وتركوا ذلك الماء فقال : يارسول الله أنزلني أنا وقومي ؟ قال « نعم » فانزله وأسلم - يعني المسلمين ، فاتوا صخرًا فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله أسلنا وأتينا صخرًا ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا ، فقال « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم » قال نعم يا نبي الله فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذه الماء . تفرد به أبو داود وفي اسناده اختلاف

قلت : وكانت الحكمة الالهية تقتضى أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلا لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤدوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموما فلم يستفك الا عند قرن الثعالب ، فاذا هو بغمامة واذا فيها جبريل فناده ملك الجبال فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك فان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله ﷺ « بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد وحده لا يشرك به شيئا » فناسب قوله بل أستأني بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى .

﴿ فصل في مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن التي أصابها ﴾

يوم حنين قبل دخوله مكة معتمرا من الجمرانة ﴿

قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجمرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يارسول الله ادع عليهم فقال « اللهم اهد تقيفا وائت بهم » قال ثم أتاه وفد هوازن بالجرانة وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاة مالا يدري عدته . قال ابن اسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب وفي رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كنا مع رسول الله ﷺ بحنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجرانة وقد أسلموا فقالوا : يارسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يارسول الله إنما في الخطائر من السبائا خلائتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عاقبتهما وعطفهما

وأنت رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول :

أمنن علينا رسول الله في كرم فانك المرء نرجوه وفقتظر
أمنن على بيضة قد عاقها قدر ممزق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن على قلوبهم الغماء والغم
[ياخير طفل ومولود ومنتجب في العالمين اذا ما حصل البشر ^(١)
إن لم تداركها نعماء تفشرها يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من مخضها الدرر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ^(٢) وإذ بزنيك ما تأتى وما تذر
لا نجعلنا كمن شالت نعمته واستبق منا فانا معشر زهر
إنا لنشكر آلاءه وإن كفرنا وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

قال فقال رسول الله ﷺ « نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا ، فقال رسول الله ﷺ « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فقال « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وقالت الانصار وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عبيدة : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال العباس بن مرداس السلمي : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، قال يقول عباس بن مرداس لبني سليم وهنتموني ، قال رسول الله ﷺ « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول في نصيبه » فردوا إلى الناس نساءهم وأبنائهم ثم ركب رسول الله ﷺ وأتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيثنا ، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال « أيها الناس ردوا على ردائي فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر نهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفتيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعبير فأخذ من سنمه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال « أيها الناس والله مالي من فيثكم ولا هذه البرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والحبيط فان الغلول ^(١) هذا البيت زيادة من السهيلي وزاد عليها ثلاثة أبيات أخر . ^(٢) في السهيلي : إذ كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها . وفي التيمورية : وإذ بربيك الخ .

عار وفار وشار على أهله يوم القيامة » فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها بردعة بعير لي دبر ، فقال رسول الله ﷺ « أما حتى منها فاك » فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لي بها فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضى أنه عليه السلام رد إليهم سبهم قبل القسمة كما ذهب إليه محمد بن اسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره . وفى صحيح البخارى من طريق الليث عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن ترد إليهم أموالهم ونسأؤهم فقال لهم رسول الله ﷺ « معى من ترون وأحب الحديث الى أصدقائه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال ؟ وقد كنت أستاذيت بكم » وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا إنا نختار سبينا ، فقام رسول الله ﷺ فى المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبهم فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفي الله علينا فليفعل » فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال لهم « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع البنا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله ﷺ فاخبروه بأنهم قد طيبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبى هوازن ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما بل سكت عن ذلك والمثبت مقدم على الناقى فكيف الساكت . وروى البخارى من حديث الزهرى اخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من حين علقت الاعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ ثم قال « أعطوني ردائى فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا نجدونى بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » تفرد به البخارى . وقال ابن اسحاق : وحدثنى أبو وجرىة يزيد بن عبيد السعدى أن رسول الله ﷺ أعطى على بن أبى طالب جارية يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهها من ابنه عبد الله وقال ابن اسحاق : فحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها الى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لي منها وبهينوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيتهم وأما أريد أن أصيبها اذا رجعت إليهما ، قال فجئت من المسجد حين فرغت فاذا الناس يشتدون فقلت ما شأنكم ؟ قالوا رد علينا رسول الله ﷺ نسأنا وإبناءنا ، قلت تلسم صاحبكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا إليها فأخفوها . قال ابن اسحاق :

واما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحى نسباً وعسى أن يعظم فداؤها ، فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض أبى أن يردها ، فقال له زهير بن صرد : خذها عنك فوالله ما فوها ببارد ، ولا تنسها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولادرها بما كد ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريبة ولا نصفاً وثيرة | فردها بست فرائض [قال الواقدي : ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجمرانة أصاب كل رجل أربع من الابل وأربعون شاة] وقال سلمة عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من شهد حنين قال والله إني لأسير الى جنب رسول الله ﷺ على ناقة لي وفي رجلي نعل غليظة اذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ﷺ ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه ، ففرع قدمي بالسوط وقال « أوجعتني فتأخر عني » فالتصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني قال قلت هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس ، قال فحشنته وأنا أتوقع فقال « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعلجة بالضربة التي ضربني ، والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن اسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبي وركب عقلت الاعراب برسول الله ﷺ يقولون له اقسم علينا فيثنا حتى اضطرروه الى صخرة فخطفت رداه فقال « ردوا على ردائي أيها الناس فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاة نعماً لقسمته فيكم ثم لا تجحدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه . وكأنهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم فسألوه قسمة ذلك فقسما عليه الصلاة والسلام بالجمرانة كما أمره الله عز وجل وآثر أناساً في القسمة وتآلف أقواءاً من رؤساء القبائل وأمرائهم فغلب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطييباً لقلوبهم ، وتنفيداً لبعض من لا يعلم من الجبهة والخوارج كذبي الخويصرة واشباهه قبحه الله كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك والله المستعان . قال الامام أحمد حدثنا عازم ثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يقول ثنا السمييط السدوسي عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم ، قال ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى محبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا قال فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرت الاعراب ومن نعلم من الناس ، قال فننادى رسول الله ﷺ بالله هاجرين بالله هاجرين يا للأنصار ؟ - قال أنس هذا حديث

عنه (١) - قال قلنا لبيك يا رسول الله قال وتقدم رسول الله ﷺ ، قال وأيم الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله قال فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا الى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا الى مكة ، قال فنزلنا فحصل رسول الله ﷺ يعطى الرجل المائة ويعطى الرجل المائتين ، قال فتحدث الانصار بينها أمان قاتله فيعطيه ، وأمان لم يقاتله فلا يعطيه ؟ فرفع الحديث الى رسول الله ﷺ ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال « لا يدخلن على إلا أنصاري - أو الانصار » قال فدخلنا القبة حتى ملأناها قال نبي الله ﷺ « يامعشر الأنصار » أو كما قال « ما حديث أناني ؟ » قالوا ما أنك يا رسول الله قال « ما حديث أناني » قالوا ما أنك يا رسول الله ، قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا رضينا يا رسول الله ، قال فرضوا أو كما قال . وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان وفيه من الغريب قوله أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما في كانوا اثني عشر ألفاً ، وقوله إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة فله أعلم . وقال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام ثنا معمر عن الزهري حدثني أنس بن مالك قال قال ناس من الانصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن فطلق النبي ﷺ يعطى رجلاً المائة من الابل ، فقلوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم ؟ قال أنس بن مالك فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم فأرسل إلى الانصار فجمعهم في قبة آدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال « ما حديث بلغني عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثه أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم ، فقال رسول الله ﷺ « فاني لأعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أتألفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رجالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا يا رسول الله قد رضينا فقال لهم النبي ﷺ « فستجدون أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الخوض » قال أنس : فلم يصبروا . تفرد به البخاري من هذا الوجه ، ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد عن جده أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطلاق فأدبروا فقال « يامعشر الأنصار » قالوا لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله ﷺ فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبته فقال « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » [قالوا بلى] فقال رسول الله ﷺ « لو

(١) في التيمورية : يا آل المهاجرين يا آل المهاجرين يا آل الانصار قال أنس هذا حديث عمه .

سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . وفي رواية للبخاري من هذا الوجه قال لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال « يا معشر الأنصار ؟ » قالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال « يا معشر الأنصار ؟ » فقالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك ، وهو على بقة بيضاء فنزل فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون وأصاب يومئذ منام كثيرة قسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يمت الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويمطى الغنمية غيرنا فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال « يا معشر الأنصار ما حديث بلغني ؟ » فسكتوا فقال « يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله فهو زونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى فقال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » . قال هشام : قلت يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال وأين أغيب عنه ؟ ثم روى البخاري ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قل : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال « إن قريشاً حديثوا عهد ببجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى ، قال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار » . وأخرجه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه وفيه فقالوا : والله إن هذا هو العجب إن سيوفنا لتقطر من دماهم والفتائم تقسم فيهم ، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم . وقال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعبيدة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيوفنا تقطر من دماهم وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال « فيكم أحد من غيركم ؟ » قالوا لا إلا ابن اختنا ، قال « ابن اخت القوم منهم » ثم قال « أقتل كذا وكذا ؟ » قالوا نعم ، قال « أنتم الشعار والناس الدار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم ؟ » قالوا بلى ، قال « الأنصار كرشى وعيبي لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار » وقال قال حماد أعطى مائة من الأبل فسمى كل واحد من هؤلاء . تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم خلافاً فهذا كم الله بي ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « أفلا تقولون جئتنا خائفين فأمنناك ، وطريدنا

فأويناك ، ومخذولا فنصرناك ؟ » قالوا بل الله المن علينا ورسوله . وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين
 فهذا الحديث كالتواتر عن أنس بن مالك . وقد روى عن غيره من الصحابة قال البخاري ثنا موسى
 ابن اسماعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن نعيم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما
 أنجاه الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكانهم
 وجدوا في أنفسهم إذ لم يصيبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً
 فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فآلفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا الله
 ورسوله أمن ، قال « لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير
 وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً
 وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعباً ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة
 فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » . ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به وقال يونس بن
 بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري
 قال : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم
 ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم حتى قال
 قائمهم : لقي والله رسول الله قومه ، فشى سعد بن عبادته إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن
 هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ؟ فقال « فبم ؟ » قال فيما كان من قسمك هذه
 الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء ، فقال رسول الله ﷺ « فأين أنت
 من ذلك يا سعد ؟ » قال ما أنا إلا امرؤ من قومي ، قال فقال رسول الله ﷺ « فاجمع لى قومك في
 هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فاعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من
 المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فرددوا حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أهله
 فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم ، فخرج رسول الله
 ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً
 فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فآلفكم الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى ثم قال رسول الله ﷺ « ألا
 تحببون يا معشر الأنصار ؟ » قالوا وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المن لله ورسوله قال « والله لو
 شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتنا طريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمنناك ، ومخذولاً
 فنصرناك » فقالوا المن لله ورسوله فقال رسول الله ﷺ « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في
 المعاهدة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا وولتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ، أفلا ترضون
 يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذى

نفسى بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ، قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحام وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله فسامنا ثم انصرف وتفرقوا . وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح وقد رواه الامام أحمد عن يحيى بن بكير عن الفضل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري قال رجل من الأنصار لاصحابه : أما والله لقد كنت أحدكم أنه لو استقامت الامور قد آثر عليكم ، قال فردوا عليه رداً عنيفاً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاهم فقال لهم أشياء لا أحفظها قالوا بلى يا رسول الله ، قال « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم شيئاً قالوا بلى يا رسول الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم . تفرد به أحد أيضاً . وهكذا رواه الامام أحمد منفرداً به من حديث الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بنحوه . ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً . وقال سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاع بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من سبى حنين مائة من الابل ، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ، وأعطى صفوان ابن أمية مائة ، وأعطى عيينة بن حصن مائة ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة ، وأعطى علقمة بن علاثة مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول :

أتجمل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في الجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع
وقد كنت في الحرب ذات درئ فلم أعط شيئاً ولم أمنع

قال فأنتم له رسول الله ﷺ مائة . رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي . وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن اسحاق فقال :

كانت نهاباً تلافيتها بكري على المهر في الأجرع
ولم ينظي الحى أن يرقدوا إذا جمع الناس لم أجمع
فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذات درئ فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أفايل أعطيتها عديد قوائمها الأربع

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال هريرة وموسى بن عقبة عن الزهري : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له « أنت القائل
أصبح نهى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ » قال أبو بكر ما هكذا قال يا رسول الله ولكن والله
ما كنت بشاعر وما ينبغي لك ، فقال « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله ﷺ « هما
سواء ما يضرك بأيهما بدأت » ثم قال رسول الله ﷺ « اقطعوا عنى لسانه » فخشى بعض الناس
أن يكون أراد المثلة به وإنما أراد النبي ﷺ العطية ، قال وعبيد فرسه . وقال البخاري حدثنا محمد
ابن العلاء ثنا أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : كنت عند النبي ﷺ
وهو نازل بالجرافة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال : ألا تنجز لي
ما وعدتني ؟ فقال له « ابشر » فقال قدأ كثرت على من أبشرا فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة
الغضببان فقال « رد البشري فأقبلا أنما » ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال
« افر يا منه وافرغا على وجهكما ونحوركما وابشرا » فأخذوا القدح ففعلوا ، فنادت أم سلمة من وراء
الستر أن أفضلا لأمنكما . فأفضلا لها منه طائفة . هكذا رواه . وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير
ثنا مالك عن اسحاق بن عبيد الله عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ
وعليه برد فخراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق
رسول الله ﷺ قد أقرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مر لي من مال الله الذي عندك ،
فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بمطاء . وقد ذكر ابن اسحاق الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذ
مائة من الابل وهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلثة أخو
بني عبد الدار ، وعلقمة بن علاثة ، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ، والحارث بن هشام ،
وجبير بن مطعم ، ومالك بن عوف النهري ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة
ابن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع بن حابس ، قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن
الحارث التيمي أن قائلا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه : يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة
مائة وتركتم جميل بن مראה الضمري ؟ قال رسول الله ﷺ « أما والذي نفس محمد بيده لجميل
خير من طلوع الأرض كلها مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتكما ليسلما ، وولت جميل بن سراقه
إلى إسلامه » ثم ذكر ابن اسحاق من أعطاه رسول الله ﷺ دون المائة ممن يطول ذكره . وفي
الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين
وهو أبغض الخلق إلي حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه .

هو ذ كر قدوم مالك بن عوف النصرى على رسول الله ﷺ

قال ابن اسحاق : وقال رسول الله ﷺ لو فسد هوازن وسألم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا هو بالطائف مع قتيب فقال « أخبروه إنه إن أتاني مسلماً رددت اليه أهله وماله وأعطينه مائة من الابل » فلما بلغ ذلك مالكا انسل من قتيب حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فرد عليه أهله وماله ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف رضى الله عنه :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها بالسهمى وضرب كل مهند
فكانه لث على أشباله وسط الهبابة خادر في مرصد

قال واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمانية وسلمة وفهم ، فكان يقاتل بهم قتيباً لا يخرج لهم مرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم . وقال البخارى ثنا موسى بن اسماعيل ثنا جرير بن حازم ثنا الحسن حدثنى عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال « إني أعطى قوماً أخاف هلمهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » قال عمرو : فما أحب أن لى بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم ، زاد أبو عاصم عن جرير سمعت الحسن ثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أتى بمال - أو سبي - قسمه بهذا . وفي رواية للبخارى قال أتى رسول الله بمال - أو بشئ - فأعطى رجالاً وترك رجالاً فبلغه أن الذين ترك عتبوا لخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد » فذكر مثله سواء . تفرد به البخارى ^(١) وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فيها كان من أمر الانصار وتأخرهم عن الغنيمة :

[ذر المنوم فناء العين منحدر	سحا إذا حفلته عبيرة درر]
وجعاً بشماء إذ شماء ^(٢) بهكنة	هيفاء لا ذنن فيها ولا خور
دع عنك فمحاء إذ كانت مودتها	نزرا وشر وصال الواصل النزر
وأتت الرسول وقل بإخير مؤنن	للمؤمنين إذ ما عند البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة	قدام قوم هوا آووا وهم نصروا
مماهم الله أنصارا بنصرهم	دين الهدى وعوان الحرب تستعروا
وسار عوافي سبيل الله واعترضوا	لنائبات وما خانوا وما ضجروا

(١) هذا الحديث مؤخر في التيمورية بعد قصيدة حسان . (٢) في الحلبية : شقباء .

والناس إلـب علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القناوـزر
نـجـالـد الناس لا نـبـقى على أحد ولا نـضـيـع ما تـوحى به السـور
ولا نـهر جـنـاة الحـرب فـادينا ونـحن حـين تـلـظى نارها سـر
كما رددنا بـيدر دون ما طـلبوا أهل النـفاق وفينا ينزل الظفر
ونـحن جـنـدك يوم النـعـف من أحد إذ حـزبت بطراً أحزابها مـضر
فـادينا وما خـنا وما خـبروا منا عـثـارا وکل الناس قد عـثـروا
(ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق على رسول الله
صلی الله عليه وسلم في القسمة العادلة بالاتفاق)

قال البخارى : ثنا قبيصة ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما قسم النبي
صلی الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، قال فأنت رسول الله
ﷺ فأخبرته فتغير وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » . ورواه
مسلم من حديث الأعمش به ثم قال البخارى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن منصور عن أبي وائل
عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناسا أعطى الأقرع بن حابس مائة
من الابل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله ،
فقلت لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، [فأخبرته] فقال « رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا
فصبر » . وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به . وفي رواية للبخارى فقال رجل والله إن
هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ، فقلت والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنته فأخبرته فقال « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا
فصبر » . وقال محمد بن اسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مقسم أبي القاسم
مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو
ابن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده ، فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال نعم جاء رجل من بني تميم يقال له ذوالخويصرة فوقف عليه وهو
يعطى الناس فقال له : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله ﷺ « أجل
فكيف رأيت ؟ » قال لم أرك عدلت ، قال فغضب النبي ﷺ فقال « ويحك إذا لم يكن العدل
عندي فمند من يكون ؟ » قال عمر بن الخطاب : ألا قتله ؟ فقال « دعوه فإنه سيكون له شيعة
ينعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في
القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم » وقال الليث بن سعد عن يحيى

ابن سعيّد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجمرة النبی ﷺ منصرفة من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس ، قال : يا محمد اعدل ، قال « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حنا جرحهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » ورواه مسلم عن محمد بن رمح عن الليث . وقال أحمد ثنا أبو عمرو ثنا قرة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بينا رسول الله ﷺ يقسم مغنم حنين إذ قام إليه رجل فقال اعدل ، فقال « لقد شقبت إذا لم أعدل » ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم عن قرة بن خالد السدوسي به . وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيّد قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما إذا أنه ذوالخويصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال رسول الله ﷺ « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إيدن لي فيه فاضرب عنقه ؟ فقال رسول الله ﷺ « دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصبه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قدذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدرر ويخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيّد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتس فأتى به حتى انظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت . ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيّد به نحوه .

﴿ ذكر مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة وهو بالجمرة وأصحابها الشفاء ﴾

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن « إن قنبرتم على نجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتنكم » وكان قد أحدث حدثا ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشفاء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، قال فعنفوا عليها في السوق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إنني لأخت صاحبكم من الرضاعة ؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال فلما انتهى بها إلي رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله إنني أختك من الرضاعة ، قال « وما علامة ذلك ؟ » قالت عضه عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك ، قال فعرف رسول الله ﷺ

العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال : « إن أحببت فنندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتك وترجى إلى قومك فعلت ؟ » قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، فتمتها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية . وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا أختك أفا شيئا بنت الحارث ، فقال لها « إن تكوني صادقة فإن بك مني أثر لا يبلى » قال فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعرضتني هذه العضة ، قال فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ثم قال « سلى تعطى واشفعى تشفعى » . وقال البيهقي أنبأ أبو نصر بن قتادة أنبأ عمرو بن اسماعيل ابن عبد السلمي ثنا مسلم ثنا أبو عاصم ثنا جعفر بن يحيى بن نوبان أخبرني عمي عمار بن نوبان أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم نعماً بالجرانة ، قال فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت من هذه ؟ قالوا أمه التي أرضعته . هذا حديث غريب ولعله يريد أخته وقد كانت نحضنه مع أمها حليلة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عمرت حليلة دهرًا فإن من وقت أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الجرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك ، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه والله أعلم بصحته . قال أبو داود في المراسيل ثنا أحمد بن سعيد الهمداني ثنا ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقمع عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانب الآخر فجلست عليه ، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه ، وقد تقدم أن هوازن بكملها متواليه برضاعته من بني سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضك فأمين علينا من الله عليك وقال فيها قال :

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها درر

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ بزيتك ما تأتي وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم فمادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحدثنا خصوصاً وعموماً . وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال : كان النضير بن الحارث ابن كلفة من أجل للناس فكان يقول : الحمد لله الذي من علينا بالاسلام ، ومن علينا بمحمد ﷺ ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الأخوة ، وبنيوالم . ثم ذكر عداوته للنبي ﷺ وأنه

خرج مع قومه من قريش الى حنين وهم على دينهم بعد ، قال ونحن نريد ان كانت دائرة على محمد أن نغير عليه فلم يمكننا ذلك ، فلما صار بالجرمارة فوالله إنى لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ فقال « أنضير ؟ » قلت لبيك ، قال « هل لك الى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه ؟ » قال فأقبلت اليه سريعاً فقال « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع » قلت قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإنى أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم زده ثباتاً » قال النضير : فوالذى بعته بالحق لكان قلبى حجير ثباتاً فى الدين ، وتبصرة بالحق . فقال رسول الله ﷺ « الحمد لله الذى هداه »

﴿ عمرة الجمرانة فى ذى القعدة ﴾

قال الامام أحمد ثنا بهز وعبد الصمد الميمنى قالا : ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك قلت كم حجج رسول الله ﷺ ؟ قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات . عمرته زمن الحديبية وعمرته فى ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجمرانة فى ذى القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته . ورواه البخارى ومسلم وابوداود والترمذى من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الامام أحمد ثنا أبو النضر ثنا داود - يعنى المطار - عن عمرو بن عكرمة عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر ؛ عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجمرانة ، والرابعة التى مع حجته . ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث داود ابن عبد الرحمن المطار المسكى عن عمرو بن دينار به . وحسنه الترمذى . وقال الامام أحمد ثنا يحيى ابن زكريا بن أبى زائدة ثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - عن عبد الله ابن عمرو بن العاص - قال : اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر ، كل ذلك فى ذى القعدة يلبي حق يستلم الجمر . غريب من هذا الوجه وهذه الثلاث عمر اللاتى وقعن فى ذى القعدة ماعدا عمرته مع حجته فاتها وقعت فى ذى الحجة مع الحجة وان أراد ابتداء الاحرام بهن فى ذى القعدة فلمسه لم يرد عمرة الحديبية لانه صد عنها ولم يفعلها والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله ﷺ اعتمر من الجمرانة بالكلية وذلك فيما قال البخارى ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان على اعتكاف يوم فى الجاهلية فأمره أن يفي به ، قال وأصاب عمر جارتين من سبي حنين فوضعهما فى بعض بيوت مكة ، قال فن رسول الله ﷺ على سبي حنين فجعلوا يسعون فى السكك ، فقال عمر : يا عبد الله انظر ما هذا ؟ قال من رسول الله ﷺ على السبي ، قال اذهب فارسل الجاريتين . قال نافع ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجمرانة ولو اعتمر لم يخف على

عبد الله ، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السخيتاني عن نافع عن ابن عمر به . ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبد الله الضبي عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع قال ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله ﷺ من الجمرات فقال : لم يعتمر منها وهذا غريب جداً عن ابن عمرو عن مولاه نافع في إنكارها عمرة الجمرات وقد أطبق النقلة ممن عداها على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وذكر ذلك أصحاب المغازي والسنن كلهم . وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله إن رسول الله ﷺ اعتمر في رجب وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو شاهد : وما اعتمر في رجب قط . وقال الامام أحمد ثنا ابن نمير ثنا الأعمش عن مجاهد قال سأل عروة بن الزبير ابن عمر في أي شهر اعتمر رسول الله ﷺ ؟ قال في رجب ، فسمعتنا عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط إلا في ذي القعدة ، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد به نحوه . ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث زهير عن أبي إسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال مرتين ، فقالت عائشة لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجة الوداع . قال الامام أحمد ثنا يحيى بن آدم ثنا مفضل عن منصور عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأفاس يصلون الضحى ، فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال بدعة ، فقال له عروة أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال أربعمائة إحداهن في رجب ، قال ومعهما استنابان عائشة في الحجرة ، فقال لها عروة إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله ﷺ اعتمر أربعمائة إحداهن في رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر النبي ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجب قط . وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن الحسن بن موسى عن شيبان عن منصور وقال حسن صحيح غريب . وقال الامام أحمد ثنا روح ثنا ابن جريج أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله عن مخرش السكبي أن رسول الله ﷺ خرج من الجمرات ليلاً حين أمسى معتمراً فدخل مكة ليلاً يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجرمات كبائت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجمرات في بطن سرف ، حتى جاء مع الطريق - طريق المدينة - بسرف قال مخرش : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس . ورواه الامام أحمد عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج كذلك وهو من أفراده والمقصود أن عمرة الجمرات ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ومن نفاها لا حجة معه في مقابلة من أثبتها والله أعلم . ثم وهم كالجَمْعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين ، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه

الكبير قائلا : حدثنا الحسن بن اسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن الحسن الأسدي ثنا ابراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن عمير مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال فانه غريب جداً وفي إسناده نظر والله أعلم . وقال البخاري ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا اسماعيل ثنا ابن جريج أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليقبني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه ، قال فبينما رسول الله ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه اعرابي عليه جبة منضوخ بطيب ، قال فأشار عمر بن الخطاب الى يعلى بيده أن تعال فجاء يعلى فادخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمراً الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال « أين الذي يسألني عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال « أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك » ورواه مسلم من حديث ابن جريج وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به . وقال الامام احمد ثنا أبو أسامة أنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل في العمرة من كدى . وقال أبو داود ثنا موسى أبو سلمة ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمرُوا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا أرباعاً وجعلوا أردبتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى . تفرد به أبو داود ورواه أيضاً وابن ماجه من حديث ابن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس مختصراً . وقال الامام احمد ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج حدثني الحسن بن مسلم عن طاوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقص أو قال : رأيته يقصر عنه بمشقص عند المروة . وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن جريج به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفیان بن عيينة عن هشام ابن جبير عن طاوس عن ابن عباس عن معاوية به . ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به . وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثني عمرو بن محمد الناقد ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا سفیان بن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال : قصرت عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة . والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صد عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفیان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله ﷺ بل خرجوا منها ، وتغيبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ، فتعين أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفیان رضي الله عنهما من رأس رسول الله ﷺ

عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا والله تعالى أعلم . وقال محمد بن اسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء النخس بحجة بناحية مر الظهران .

قلت : الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة . قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن . وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ خلف معاذ مع عتاب بمكة قبل خروجه إلى هوازن ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة . وقال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً فقام نخطب الناس فقال : أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم فليست لي حاجة إلى أحد . قال ابن اسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . قال ابن هشام : قدمها لست بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المديني . قال ابن اسحاق : وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهي سنة ثمان . قال وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

هو اسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى وأبوه هو صاحب إحدى المعلقات السبع الشاعر

ابن الشاعر وذكر قصيدته التي معها رسول الله ﷺ وهي : بانت سعاد *

قال ابن اسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه لابييه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوهم ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش : ابن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً وإن أنت لم تفعل فانج إلى فجائك من الأرض . وكان كعب قد قال :

ألا بلغنا عنى بجيراً رسالة فويحك ^(١) فبما قلت ويحك هل لك
فبين لنا إن كنت لست بفاعل على أي شيء غير ذلك ذلك
على خلق لم ألف يوماً أباً له عليه وما تلقى عليه أباً لك
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قاتل إنما عثرت لعالك

(١) كذا في الاصل وفي ابن هشام والتميمورية : فهل لك فيما قلت ويحك هل لك

سقاك بها المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعلك
قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغ عني بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك
شربت مع المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعلك
وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أي شيء ويب غيرك دلوك
على خلق لم تلف أما ولا أباً عليه ولم تترك عليه أخاً لك
فإن أنت لم تفعل فليست بأسف ولا قاتل إما عثرت لما لك

قال ابن اسحاق : وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتنمها رسول الله ﷺ
فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع سقاك بها المأمون « صدق وإنه لكذوب أنا المأمون »
ولما سمع على خلق لم تلف أما ولا أباً عليه قال « أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه » قال ثم كتب بجير
إلى كعب يقول له :

من مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلا وهي احرم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدي يوم لا ينجو وليس يغفلت من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى على محرم

قال فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره
من عدوه وقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ وذكر
فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت يمينه وبينه معرفة
من جهينة كاذكرني ففدا به إلى رسول الله ﷺ في صلاة الصبح فصلى مع رسول الله ﷺ ثم أشار
له إلى رسول الله ﷺ فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ، فذكر له أنه قام إلى رسول الله ﷺ
فجلس إليه ووضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير
قد جاء ليستأمن منك فأبنا مسلماً فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ قال رسول الله ﷺ « نعم »
فقال إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب
عليه رجل من الانصار فقال : يا رسول الله دعني وعدوا الله أضرب عنقه ؟ فقال رسول الله ﷺ
« دعه عنك فإنه جاء قائلاً قازحاً » قال فنضب كعب بن زهير على هذا الحى من الانصار لما صنع به
صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بجير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم
على رسول الله ﷺ :

بلغت سعاد قلبي اليوم مقبول
 وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
 هيفاء مقبلة مجزاة مدبرة
 تهلل حواضر ذي ظلم إذا ابتسمت
 شجت بندي شيم من ماء محنية
 تنفخ الرياح للقدى عنه وأفرطه
 فيالها خلة لو أنها صدقت
 لكنها خلة قد سيط من دمه
 فما تنوم على حال تكون بها
 وما تيمك بالعهد الذي زحمت
 فلا يفرنك ما منت وما وعدت
 كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً
 أوجو وأمل أن تدنو مودتها
 أمنت سعاد بروض لا تبلغها
 ولن يبلغوا إلا عند الغرة
 من كل نضاعة الدفري إذا عرفت
 ترى للتيوب بسيني مفرد لحق
 ضخم مقلدها فقم مقيددها
 حرف أخوها أبوها من مهجنة
 يمشى القراد عليها ثم يزلقه
 عيرانة قدفت بالنحف من عرض
 قنواء في حربها بصير بها
 كأنما غابت عينها ومنبجها
 تمر مثل عسيب للتخل فاخصل
 نهوى على يسرات وهي لاهية
 يوماً تظلل به الحرباء مصطحدا

منبج عندها لم يقد مقبول
 إلا أغن غصين الطرف مكحول
 لا يشنكي قصر منها ولا طول (١)
 كأنه سهل بلراح معلول
 صاف بأبطح اضحى وهو مشمول
 من صوب غادية يفيض يعاليل
 بوعدها أولو ان التصح مقبول
 فجع وولع وإخلاف وتبديل
 كما تلتون في أنوارها الغول
 إلا كما يمسك الماء الفرائيل
 إن الأمانى والاحلام تضليل
 وما مواعيدها إلا الأباطيل
 وما لمن أخال الدهر تعجيل
 إلا للعتاق التنجيات للراسيل
 فيها على الأبن إرطى وتبغيل
 عرضتها طامس الاعلام مجبول
 لذا توقفت الحزان والميل
 في خلقتها عن بنات للفحل فضيل
 وعما خلها قوداء قمليل
 منها لبان وأقرب زهاليل
 مرقها عن بنات الزور مفتول
 صق مبين وفي الخدين تسيل
 من خطمها ومن العحين برطيل
 في غادر لم نخونه الأحياليل
 ذوابل وقمن الأرض فضليل
 كأن ضاحيه بالشمس محلول

(١) لم يورد المصنف هذا البيت واختصر بعض أبيات منها مع تقديم وتأخير وهي مشهورة فلتراجع.

وقال للقوم حاديههم وقد جلت
 أوب بنى فاقده ممطاً مموله
 نواحة رخوة الضبعين ليس لها
 تفرى اللبان بكفها ومدرعها
 تسمى الفواة جنبها وقولهم
 وقال كل صديق كنت آمله
 فقلت خلوا سبيل لا أبالكم
 كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
 نبئت أن رسول الله أوعدنى
 مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة القرآن فيه مواعيط وتفصيل
 لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
 لظل يرعد من وجد مواده
 حق وضعت يمينى ما أأازعها
 فلهو أخوف عندى إذا أكله
 من ضيغم بضراء الأرض مخدرة
 يندو فيلحم ضرغامين عيشهما
 إذا يساور قرناً لا يحل له
 منه قتل سمير الوحش نافرة
 ولا يزال بواديه أخوة
 إن الرسول لنور يستضاء به
 فى عصبة عن قريش قال قتلهم
 زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
 يمشون مشى الجبال الزهر يعصمهم
 شم الصرائين أبطال تلبوسهم
 بيض حوايف قد شكت لها خلق
 ليسوا معاريج إن قالت رماحهم
 ورق الجنادب يركضن الحصا قتيلاً
 قامت فجاء بها نكر مثا كيل
 لما نعى بكرها الناعون معقول
 مشفق عن تراقبها رعايل
 إنك يا ابن أبى سلمى لمقول
 لا ألهينك إني عنك مشغول
 فكل ما قدر الرحمن معقول
 يوماً على آلة حديد محمول
 والمعفو عند رسول الله بأمول
 أذنب ولو كثرت فى الأقاليل
 أرى وأسمع ما قد يسمع الفيل
 من الرسول باذن الله تنويل
 فى كف ذى نعمات قوله القيل
 وقيل إنك منسوب ومشتول
 فى بطن عثر غيل حوته خيل
 سلم من الناس مغفور خراويل
 أن يترك القرن إلا وهو مخلول
 ولا تمشى بواديه الأوالجيل
 مخرج البز والموسان ما كؤل
 مهتد من سيوف الله مسؤل
 يبطن مكة لما أسلموا زولوا
 عند اللقاء ولا ميل معازيل
 ضرب إذا عرد السود التنايل
 من نسج داود فى الهيجا سرايل
 كأنها خلق القفصاء مجسول
 قوماً وليسوا بحازيماً إذا نيلوا

لا يقع العلم الا في محوهم ولا لهم عن حياض الموت تهليل
قال ابن هشام هكذا أورد محمد بن اسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً ، وقد رواها الحافظ
البيهقي في دلائل النبوة بإسناد متصل فقال اما أبو عبد الله الحافظ اما أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن
ابن أحمد الاسدي جهذان ثنا ابراهيم بن الحسين ثنا ابراهيم بن المنذر الخزاعي ثنا الحجاج بن ذى الرقية
ابن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده قال : خرج كعب وبجير ابنا زهير
حتى أتيا أبرق الغراف فقال بجير لكعب أثبت في هذا المكان حتى آتى هذا الرجل - يعنى رسول
الله ﷺ - فأسمع ما يقول فنبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الاسلام فاسلم
فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة على أى شئ ويب غيرك دلوكا
على خلق لم تلف أما ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاك
سقاك أبو بكر بكأس روية وأهلك المأمون منها وعلكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه وقال « من لقي كعباً فليقتله » فكتب بذلك
بجيراً إلى أخيه يوزكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له النجاء وما أراك تنفكت ، ثم كتب
اليه بعد ذلك إعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله الا
قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك فاذا جاءك كتابي هذا فاسلم وأقبل ، قال فاسلم كعب وقال
قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ﷺ ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ثم
دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائة بين القوم متحلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى
هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم قال كعب : فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت
رسول الله ﷺ بالصفة حتى جلست اليه فأسلمت وقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنت محمد رسول الله
الأمان يا رسول الله ، قال « ومن أنت ؟ » قال كعب بن زهير ، قال « الذى يقول » ثم التفت رسول
الله ﷺ فقال « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فأنشده أبو بكر :

سقاك بها المأمون كأساً روية وأهلك المأمون منها وعلكا
قال يا رسول الله ما قلت هكذا ، قال « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سقاك بها المأمون كأساً روية وأهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله ﷺ مأمون والله ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهى هذه القصيدة
بانت سعاد قلبي اليوم مشبول متم عندها لم يند مكبول
وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن اسحاق والبيهقي رحمهما الله عز وجل

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :
 إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
 نبئت أن رسول الله أوعدني والعمو عند رسول الله مأمول
 قال : فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في
 مغازيه والله الحمد والمنة .

قلت : ورد في بعض الروايات أن رسول الله ﷺ أعطاه برده حين أنشده القصيدة وقد نظم
 ذلك العرصري في بعض مدائحه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الاثير في الغابة قال وهي
 البردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الامور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة
 بإسناد أرتضيه فإله أعلم . وقد روى أن رسول الله ﷺ قال له لما قال بابت سعاد ومن سعاد ؟ قال
 رَوْجِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال لم تبين ولكن لم يصح ذلك وكأنه على ذلك يوم أن بأسلامه تبين امرأته
 والظاهر أنه إنما أراد البينونة الحسية لا الحكيمة والله تعالى اعلم . قال ابن اسحاق : وقال عاصم بن
 عمر بن قتادة فلما قال كعب - يعنى في قصيدته - إذا عرد السود التنايل وانما يريدنا معشر الانصار
 لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الانصار قتال بعد أن أسلم
 يمدح الانصار ويدكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن :

من سره كرم الحياة فلا يزل	في مقنب من صالحى الأنصار
ورثوا المكارم كابرآ عن كابر	إن الخيار هموا بنوا الاخيار
المكرمين السهرى باذرع	كسولف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين محمرة	كالجر غير كليلة الأبصار
والبائمين نفوسهم لنبيهم	للموت يوم تعانق وكرار
[والقائدين الناس عن أدبارهم	بالمشرفى وبالقتنا الخطار]
يتطهرون برونه نسكا لهم	بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت بطون خفية	غلب الرقاب من الأسود ضواري
واذا حلت ينحوك اليهم	أصبحت عند معاقل الاغفار
ضربوا علينا يوم بدر ضربة	دانت لوقتتها جميع نزار
لو يعلم الأقوام على كاه	فيهم لصدقى الدين أمارى
قوم إذا خوت النجوم فانهم	لطارقين النازلين مقارى

[في السفر من فسان من جرثومة أعيت محافرها على المنقار] (١)

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانث سعاد « لولا ذكرت الانصار بخير فاتهم لذلك أهل » فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له قال وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد بانث سعاد فقلبي اليوم متبول . وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني معن بن عيسى حدثني محمد بن عبد الرحمن الأنطس عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه يمجرون وكعب أشعرهما وأبوها زهير فوقهما ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سمي الفقي وهو مخبوء له القدر
يسمى الفقي لأمر ليس يدركها فالنفس واحدة والهيم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل لا تقهى العين حتى يذهب الأثر

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب الغابة في معرفة الصحابة ولكن حكى أن أباه توفي قبل المبعث بسنة فأنه أعلم . وقال السهيلي ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله ﷺ :

نجرى به الناقة الأدماء معتجراً بالبرد كالبرد جلي ليله الظلم
ففي عطافيه أو أئناء برده ما يعلم الله من دين ومن كرم
فصل فيما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هوازن بجنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت محرة الجمرات في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة . قال الواقدي : رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ليلاً يقين من ذي الحجة في سفرته هذه . قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجلندي من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدها ومن حولها من الأعراب ، قال وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الصنحال بن سفيان الكلبي في ذي القعدة فاستعانت منه عليه السلام بفارقها ، وقيل بل خيرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية فاشتتت غيره أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكرًا وكانت قابلاً فيها سلمى

(١) ما بين المربعين لم يرد في الأصل وزدناها من ابن هشام .

مولاة رسول الله ﷺ : فخرجت الى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله ﷺ فأعطاه مملوكا ودفعه رسول الله ﷺ الى أم برة بنت المنذر بن أسيد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول ، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بشعلة بين مكة والطائف وذلك لخمس بقين من رمضان منها . قال الواقدي : وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد هذيل برهاط ، هدمه عمرو بن العاص رضى الله عنه ولم يجد في خزائنه شيئا ، وفيها هدم مناة بالمثلل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه هدمه سعد بن زيد الاشلمي رضى الله عنه وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى (أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) .

قلت : وقد ذكر البخارى بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبده ويسمونه الكعبة البمانية مضاهية للكعبة التى بمكة ويسمون التى بمكة الكعبة الشامية ولتلك - الكعبة البمانية فقال البخارى : ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو أسامة عن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن جرير قال قال لى رسول الله ﷺ « ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟ » فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحسن وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده فى صدرى حتى رأيت أثر يده فى صدرى وقال « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » قال فما وقعت عن فرس بعد . قال وكان ذوالخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة البمانية . قال فأماها فحرقها فى النار وكسرها ، قال فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالازلام ف قيل له إن رسول الله ﷺ هاهنا فان قدر عليك ضرب عنقك ، قال فبينما هو يضرب بها اذ وقف عليه جرير فقال لتكسرها وتشهد أن لا اله الا الله أو لأضرب عنقك ؟ فكسرها وشهد . ثم بعث جرير رجلا من أحسن يكفى أرطاة الى النبي ﷺ يبشره بذلك ، قال فلما أتى رسول الله ﷺ قلده : يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، قال فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحسن ورجالها خمس مرات . ورواه مسلم من طرق متعددة عن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه .

تم والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات الجزء الرابع من تاريخ البداية والنهاية لابن كثير
 ويتلوه الجزء الخامس وأوله ذكر غزوة تبوك فى رجب منها

فهرس الجزء الرابع

(من البداية والنهاية)

صفحة	صفحة
٢	سنة ثلاث من الهجرة - في أولها كانت
١٦	غزوة ذي أمر
٣	غزوة الفرع من بجران
٣	خبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة وغزوم
٤	سرية زيد بن حارثة إلى عير قريش
٢٠	وكانت صحبة أبي سفيان
٥	مقتل كعب بن الأشرف اليهودي
٢٢	وتفصيل ذلك
٩	غزوة أحد وماورد في أحد من الأخبار
١٠	سياق خبر يوم أحد واجتماع قريش لحرب
٢٤	رسول الله ﷺ
١١	خروج أشرف قريش لهذه الحرب بنسائها
١٢	الرؤيا التي رآها ﷺ وكرهية خروجه من
٢٦	المدينة لحرب قريش في أحد وإياه
	أصحابه عليه
١٣	رجوع الناس إلى رأى رسول الله وإيائه
٢٩	ﷺ وكان قد لبس لأمة الحرب
١٣	أنهزال عبد الله بن أبي بن سلول ورجوعه
٣٣	من أقبه من قومه وهم ثلث الناس
٢٤	قبيلة رسول الله رجاله للحرب وتوصيته
٣٥	للرماة أن لا يبرحوا مكانهم
١٥	ذكر من ردم من الغلمان ولم يمكنهم من
٣٧	الحرب لصغرهم
١٥	عدة جيش قريش وأفراسها وذكر
٣٧	أصحاب لوائها
١٦	تحريض أهند بنت عتبة ونساء قريش
	لمشركي الكفار
	بروز أبي دجاجة للحرب وقد أعطاه رسول
	الله ﷺ سيفاً يقاتل به
	مقتل حمزة رضي الله عنه بيد وحشي غلام
	جبير بن مطعم وتفصيل ذلك
	ذكر مقاتل رجال معروفين من الطائفتين
	من المسلمين ومن المشركين
	فصل في انتصار المسلمين ثم انكشافهم
	حتى خلع العدو إلى رسول الله وذكر
	ما أصابه ﷺ من الجراح
	كلمة أبي سفيان عند انتصارهم ورد عمر بن
	الخطاب عليه وتفصيل ذلك
	إرهاق المشركين لرسول الله وهو في سبعة
	من الانصار ورجل من قريش وأخبار
	متصلة بذلك
	فصل فيما لقي النبي ﷺ يومئذ من
	المشركين قبهم الله
	فصل واصيب يومئذ عين قتادة فردها
	رسول الله بيده فكانت أحسن عيفيه
	فصل في قتال أم عمار عن رسول الله
	فصل في قتل رسول الله أبي بن خلف
	وما لحسان في ذلك من الشعر
	خبر اسلام عمرو بن ثابت الاصيرم يوم
	أحد ومقتله رضي الله عنه
	تمثيل هند بنت عتبة ومن معها من نساء
	المشركين بقتل المسلمين وانشادها شعراً

صحيفة	بذلك ورد هند بنت أمية عليها	صحيفة
٣٨	ذكر دعاء النبي ﷺ بعد الوقعة يوم أحد	٨٣ غزوة ذات الرقاع ٨٤ قصة غورث بن الحارث
٣٩	فصل في خبر سعد بن الربيع ووصيته	٨٥ قصة الذي أصيبت امرأته في هذه الغزوة
٤٠	للا نصار برسول الله وهو في سياق الموت	٨٦ قصة جمل جابر في هذه الغزوة
	ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد وما اتصل	٨٧ غزوة بدر الآخرة وفيها نزل قوله تعالى
	بذلك من الأخبار	فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
٤٦	فصل في عدد شهداء ذلك اليوم	٨٩ فصل في جملة الحوادث الواقعة سنة أربع
٤٦	فصل في انصراف رسول الله إلى المدينة	٩٢ سنة خمس من الهجرة - غزوة حومة الجندل
	وما يتصل بذلك من الأخبار	٩٢ غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب
٤٧	خبر بكاء نساء الانصار على حمزة رضي الله عنهم	٩٣ النص على وقت الخندق واختلاف أصحاب
٤٨	خبر خروجه ﷺ بأصحابه على ما بهم من	المغازي فيه
	الجراح في أثر أبي سفيان إرهاباً له ولأصحابه	٩٤ سبب الخندق ورحلة يهود بني النضير الى
	حق حمراء الأسد ٥٢ فصل فيما قاله المؤمنون	قريش وغلطان ومن تحزب معهم على المسلمين
	والكفار في وقعة أحد من الأشعار	٩٥ عمل رسول الله مع المسلمين في الخندق
٥٦	ذكر ما رثي به حمزة من الأشعار	وما أصابهم من الجهد وما ورد في ذلك من الرجز
٦١	فصل في بقية حوادث سنة ثلاث	٩٧ المعجزات التي ظهرت في حفر الخندق وما
٦١	دخول سنة أربع من الهجرة وسرية أبي	حكاة في ذلك عن ابن اسحاق
	سلمة الأسدي إلى بني أسد	٩٩ حديث الصخرة التي ظهرت لهم في حفر
٦٢	غزوة الرجيع وتفصيل ذلك وغدرهم بالمسلمين	الخندق وتولى رسول الله أمر أزالها وذكر
٦٧	ذكر ما قيل فيها من الأشعار ورتاء خبيب	ما بشرهم فيه من الفتوحات
٦٩	سرية عمرو بن أمية الضمري على أثر مقتل خبيب	١٠٢ فصل في معسكر رسول الله بعد اتمامه الخندق
٧١	سرية بئر معونة	واجتماع قريش ومن تبعهم لمحاربتة وابتداء الحرب
٧٤	غزوة بني النضير وهي التي أنزل الله تعالى	١٠٥ اشتداد الحصار على رسول الله ومن معه
	فيها سورة الحشر	من المسلمين واقتحام رجال من كفار قريش
٧٧	ذكر أجلاء بني النضير وما قيل فيه من الشعر	الخندق أو طلبهم للبراز ومقتل عمرو بن ود
٧٩	ذكر ما كان من أموال بني النضير وحكم	العامري على يد علي بن أبي طالب
	رسول الله بها	١٠٨ دفاع صفية بنت عبد المطلب وهي في حصن
٨٠	قصة عمرو بن سعد القرظي	خارج وقتلها اليهودي الذي أطاف بالحصن
٨١	غزوة بني الحيان التي صلى فيها صلاة	١٠٩ حصار المشركين للمسلمين واشغالهم عن
	الخوف بعسفان	صلاة العصر ودعاء رسول الله عليهم

صحيفة	صحيفة
١١١	فصل في دعائه عليه السلام على الاحزاب وكيف صرفهم الله تعالى بأرسال الريح عليهم وتفصيل ذلك
١١٤	ما جاء من الاخبار في وصف هذه الريح
١١٦	فصل في غزو بني قريظة وما أحل الله تعالى لهم من البأس الشديد
١٢٠	خبر أبي لبابة وارتباطه نفسه حتى نزلت توبته وتحكم سعد بن معاذ في أمر بني قريظة وحكمه بقتلهم
١٢٦	وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه وما ذكر له من المناقب ورفاه حسان بن ثابت له
١٣١	فصل فيما قيل من الاشعار في غزوة الخندق وبني قريظة
١٣٧	مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي في قصره بخيبر
١٤٠	مقتل خالد بن سفيان بن نديج الهذلي
١٤١	قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد الخندق واسلامه
١٤٣	فصل في تزويج رسول الله بأمة حبيبة بنت أبي سفيان
١٤٥	تزويجه صلى الله عليه وسلم بزينة بنت جحش
١٤٧	ذكر نزول الحجاب صبيحة عرسها رضي الله عنها
١٤٩	سنة ست من الهجرة - سرية محمد بن مسلمة قبل نجد ١٠٥ غزوة ذي قرد
١٥٤	مطلب في الاشعار التي قيلت في غزوة ذي قرد
١٥٦	غزوة بني المصطلق من خزاعة
١٦٠	قصة الافك وما نزل فيها من القرآن
١٦٤	غزوة الحديبية وأنها كانت في ذي القعدة
١٦٦	ذكر ما كان من قريش وصدم رسول الله
١٧٠	عن زيارة البيت وما كان من صلح الحديبية عن ابن اسحاق
١٧٣	ذكر ما كان من ذلك من رواية البخاري
١٧٨	ذكر سياق البخاري لعمرة الحديبية
١٨٠	فصل في ذكر السرايا والبعوث التي كانت في سنة ست من الهجرة
١٨١	فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة سنة سبع من الهجرة وغزوة خيبر في أولها
١٨٢	نزولهم على خيبر وتحريم أكل لحم الحمر الأهلية واستشهاد عامر بن الاكوع
١٨٥	خبر مقدم على واعطاء رسول الله الراية له
١٨٧	بrazمرحب صاحب أول حصن من خيبر ومقتله
١٩٠	خبر الرجل الذي قتل نفسه وشهادة رسول الله فيه بأنه من أهل النار
١٩٢	فصل فيما ذكره ابن اسحاق من فتح حصون خيبر وما ذكره البخاري من أمر تحريم المتعة
١٩٦	ذكر قصة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها
١٩٨	فصل في ذكر فتح حصون خيبر وقسمة أرضها عن الواقدي
٢٠٤	فصل فيمن رضى لهم رسول الله من العبيد والنساء ممن شهد خيبر
٢٠٥	ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو ومن كان بقي فيها من المسلمين
٢٠٨	ذكر قصة الشاة المسمومة وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها
٢١٢	فصل في انصراف رسول الله من خيبر إلى وادي القرى
٢١٤	ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة على

صحيفة	صحيفة
ما ذكره ابن اسحاق وأصحاب المغازي	٢٥٤
خبر حجاج بن علاط السلمي البهزي مع أهل مكة	٢٥٩
ما قيل من الشعر في غزوة خيبر	٢٥٩
فصل في مروره عليه السلام بوادي القرى	٢٦٠
ومصالحته قوما من اليهود بعد محاصرتهم	٢٦٢
فصل في معاملة يهود خيبر على ما يخرج منها	٢٦٤
من نمر وزرع	٢٦٨
سرية أبي بكر الصديق الى بني فزارة	٢٦٨
سرية عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام	٢٦٨
اليهودي ٢٢١ سرية بشير بن سعد	٢٦٨
سرية أبي حذرد الى الغابة	٢٧٢
السرية التي قتل فيها محم بن جثامة عامر	٢٧٣
ابن الأضبط ٢٢٦ سرية عبد الله بن	٢٧٦
عبد حذافة السهمي ٢٢٦ عمرة القضاء	٢٧٨
قصة تزويجه عليه السلام بميمونة	٢٧٩
ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد	٢٨٣
قضاء عمرته	٢٨٥
سرية ابن أبي العوجاء السلمي الى بني سليم	٢٨٧
سنة ثمان من الهجرة وفي أولها اسلام عمرو	٢٨٧
ابن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة	٢٨٧
طريق اسلام خالد بن الوليد عن الواقدي	٢٨٧
سرية شعاع بن وهب الاسدي الى هوازن	٢٨٧
سرية كعب بن عمير الى بني قضاصة من	٢٨٧
أرض الشام	٢٨٨
غزوة مؤتة وهي سرية زيد بن حارثة الى	٢٨٨
البلقاء من ارض الشام	٢٨٨
مصاب الاسلام يزيد وجعفر وعبد الله بن رواحة	٢٨٨
فصل في تأخير مصابهم على رسول الله	٢٨٨
رجوع جيش غزوة مؤتة الى المدينة	٢٨٨
فصل في فضل الامراء الثلاثة زيد وجعفر	٢٨٨
وعبد الله بن رواحة	٢٨٨
فصل في ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين	٢٨٨
حديث فيه فضيلة عظيمة لامراء هذه السرية	٢٨٨
فصل في الاشعار التي قيلت في غزوة مؤتة	٢٨٨
كتاب بعوث رسول الله الى ملوك الآفاق	٢٨٨
وكتبه اليهم	٢٨٨
خبر أبي سفيان مع هرقل ملك الروم	٢٨٨
أرساله ﷺ الى ملك العرب من النصاري	٢٨٨
الذين بالشام	٢٨٨
ذكر بعثه ﷺ الى كسرى ملك الفرس	٢٨٨
بعثه عليه السلام الى المقوقس صاحب	٢٨٨
الاسكندرية ٢٧٣ غزوة ذات السلاسل	٢٨٨
سرية أبي عبيدة الى سيف البحر	٢٨٨
غزوة الفتح فتح مكة	٢٨٨
السبب الذي اهاج هذه الغزوة	٢٨٨
عزم رسول الله على ذلك وقصة حاطب بن	٢٨٨
أبي بلتعة	٢٨٨
فصل عن ابن اسحاق في مضي رسول الله	٢٨٨
ووقت خروجه من المدينة واستخلافه عليها	٢٨٨
فصل في اسلام العباس عم رسول الله وأبي	٢٨٨
سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية	٢٨٨
الخنزومي وهجرتهم والتقاتلهم برسول الله وهو	٢٨٨
ذاهب الى فتح مكة	٢٨٨
فصل في وصول رسول الله الى مر الظهران	٢٨٨
واجتماعهم بأبي سفيان بن حرب ورفقائه	٢٨٨
وهم يتجسسون أمر رسول الله	٢٨٨
صفة دخوله عليه السلام مكة	٢٨٨
اسلام أبي قحافة والد الصديق	٢٨٨

مصحفة	مصحفة
٣٥٠ رجوع رسول الله عن حصار الطائف وذكر الرؤيا التي رآها ﷺ	٣٥٥ قول سعد بن عباد يوم الفتح اليوم يوم الملحمة ويده راية الأنصار
٣٥١ تسمية من استشهد من المسلمين في حصار الطائف	٣٥٧ أخبار عن تفصيل الفتح
٣٥١ قدوم أبي عيلة الاحمسي مدداً لرسول الله بعد انصرافه	٣٥٨ إسلام ابن الزبير وانشاده الشعر يوم أسلم
٣٥٢ فصل في مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمه غنائم هوازن وكلمة زهير بن صرد خطيبهم في السبيل ورداها عليهم	٣٥٩ فصل في ذكر من شهد فتح مكة من المسلمين وما قيل في يوم الفتح من الأشعار
٣٥٦ عتب جماعة من الأنصار على رسول الله في قسمة الغنائم لا يشار رجال من المؤلفه قلوبهم عليهم وكلمة رسول الله للأنصار في تطيب قلوبهم	٣١٢ بعث رسول الله خالد بن الوليد بعد الفتح الى بني جذيمة
٣٥٩ تسمية من آثرهم بالقسمة من المؤلفه قلوبهم وكلمة العباس بن مرداس في تفضيل غيره عليه	٣١٦ بعث خالد أيضا الى هدم العزى
٣٦١ قدوم مالك بن عوف النصري رئيس هوازن على رسول الله واسلامه	٣١٦ فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة
٣٦٢ كلمة المؤلف في اعتراض الجبهة أهل الشقاق على القسمة العادلة بالاتفاق وخبر ذوانطويصرة	٣١٧ فصل في الأحكام التي حكمها رسول الله بمكة
٣٦٣ بحى الشبابة أخت رسول الله من الرضاة واكرام رسول الله إياها وهو بالجعرانة	٣١٨ فصل عن الامام أحمد في مبايعة الناس يوم الفتح
٣٦٥ عمرة الجعرانة وذكر الاختلاف الوارد عن ابن عمر ومولاه فافع في خبر العمرة	٣٢٠ اقتطاع الهجرة بعد فتح مكة والآثار الواردة في ذلك ٣٢٢ غزوة هوازن يوم حنين
٣٦٨ استخلاف رسول الله على مكة عتاب بن أسيد وضم معاذ بن جبل معه ليقبهم في الدين	٣٣٦ فصل في كيفية الوقعة وما كان من الفرار أول الأمر ثم كانت العاقبة للمتقين
٣٦٧ إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى صاحب قصيدة بانت سعاد ٣٧٠ قصيدة بانت سعاد	٣٣٩ ما قيل في ذلك من الأشعار
٣٧٢ خبر إسلام كعب من رواية البيهقي	٣٣٩ فصل ولما انهزمت هوازن
٣٧٣ مدح كعب للأنصار	٣٣٧ فصل في أمره ﷺ بجمع الغنائم
٣٧٤ اجمال حوادث سنة ثمان من الهجرة	٣٣٧ غزوة أوطاس وسببها
تم فهرست الجزء الرابع	٣٤٠ فصل فيمن استشهد يوم حنين وبسرية أوطاس وما قيل من الأشعار في غزوة هوازن
	٣٤٥ غزوة الطائف وقصيدة كعب بن مالك الفائية في وصف غزاة حنين وبحيئهم الطائف
	٣٤٧ ذكر قبر أبي رغال واستخراج غصن الذهب الذي دفن معه وأمر رسول الله بقطع نخل الطائف وكرمها
	٣٤٨ استعمال المنجنيق وأنه أول ما استعمل في الإسلام في حصار الطائف